دعوة الحق

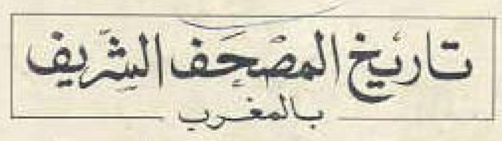
• شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
• تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب

عبد السلام ابن سودة

مؤلف أكبر موسوعة تراجم في العصر العلوي.

للدكتور محمد حجي





للأستاذ محمد المنوني

العدد 4 السنة 22 • شعبان - رمضان 1401 / يونيو - يوليوز 1981 • الثمن: 5 دراهم



طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

التمهيد

لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

تأليف:

أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

الجزء الثامن

تحقيق:

محمد الفلاح

1400 هـ — 1980 م

طبع بأمر من حضرة صاحب الجلالة مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مديرية الشؤون الإسلامية

ترتيب المدارك وتقريب المسالك

لمعرفة أعلام مذهب مالك

الجزء الخامس

تأليف

القاضي عياض بن موسى اليحصبي

المتوفى سنة ٥٤٤هـ

تحقيق

الدكتور محمد بن شريفة

من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تاريخ الطب العربي

للدكتور لوسيان لوكليرك

الجزء الأول

أعادت طبعه

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية

الرباط ـ 1980

تاريخ الطب العربي

للدكتور لوسيان لوكليرك

الجزء الثاني

أعادت طبعه

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية

الرباط ـ 1980



وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
تهنئ جلالة الملك المعظم
بعيد ميلاده السعيد

يشرف وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، وهي تواصل مسيرتها الاسلامية المباركة في الإشعاع والتوعية والتوجيه ، أن تغتنم حلول ذكرى ميلاد جلالة الملك المعظم أمير المومنين مولانا الحسن الثاني نصره الله ، لتزف إلى مقامه العالي بالله أطيب التهاني وأجمل الأماني مشفوعة بخالص الدعاء لسيدنا المنصور بالله أن يطيل المولى تعالى عمره ويبارك في جهاده ويحفظه في ولي عهده المحبوب الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه الأمير السعيد مولاي رشيد وأخواتهما الأميرات الجليلات وكافة أفراد الأسرة المالكة الشريفة .

وإن مجلة "دعوة الحق" الحريصة على القيم الفكرية السامية للعرش العلوي المجاهد ، ليسعدها أن تهنئ قائد المغرب الموحد ورئيس لجنة القدس ورائد الفكر الاسلامي الحديث ومجدده بهذه المناسبة الموحية بمعاني الصمود والاستمرار والتواصل .



بيانات إدارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي ،

مجلة «دعــوة الحــق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب: الهاتف ، 03 - 627 و 04 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل و 67 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة 8 أعداد . لايقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب ،

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

العدد 4
السنة 22

شعبان / رمضان 1401
يونيو / يوليوز 1981

هذا العدد

• • • يصدر هذا العدد مع اطلالة الذكرى الثانية والخمسين لميلاد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله. وهي مناسبة وطنية لمحاسبة النفس وتعميق الوعي وترشيد الخطى وتأكيد البيعة والولاء لهذا العرش الذي أنجب الحسن الثاني الرائد ، وحمى الملة والدين ، وشاد الحضارة ، وذاد عن الكيان ما وسعه الذود والدفاع والتصدي .

• • يتضمن هذا العدد مقالات ممتازة لطائفة من كتاب المغرب عن الدولة العلوية الشريفة واسهاماتها في بعض المجالات الحضارية . ولسنا نحسب طريقة أقوم للاحتفال بميلاد جلالة الملك من استعراض المسيرة النضالية لهذه الدولة الشامخة التي خدمت المغرب والعروبة والاسلام . اننا في الواقع نقدم للقارىء المثقف خلاصة الفكر الوطني من خلال دراسة بعض الجوانب البارزة من تاريخ العرش المغربي .

• • و (دعوة الحق) التي سايرت تطورات المغرب المستقل منذ عددها الاول الصادر في مثل هذا الشهر من سنة 1957 ، لا يسعها الا أن تظل أبدا منارة للثقافة والفكر والدراسات الجادة الهادفة في المغرب الحسني الذي ما فتىء يؤكد انحيازه المطلق الى الاصول الاسلامية والتقاليد العربية . وان المجموعة الكاملة لاعداد هذه المجلة لتنطق بما وصل اليه الفكر المغربي في عهد الاستقلال من تطور وتنوع وتفتح واستيعاب لمختلف مضامين الثقافة العربية الاسلامية والانسانية المعاصرة .

• • وان (دعوة الحق) لتفخر أن الاجيال المتعاقبة على الساحة الفكرية والادبية في المغرب ارتبطت بها وكتبت على صفحاتها . ولا يكاد يوجد قلم مثقف في بلادنا لم ينشر في دعوة الحق .

• وليس يخاف أن هذا الانفتاح على الاتجاهات الفكرية المختلفة انما هو تعبير قوي الدلالة عن الاتجاه الواعي والمسؤول الذي تسلكه هذه المجلة مسترشدة في ذلك بالفكر الحسني في اشراقاته الاسلامية والعربية والانسانية .

• (دعوة الحق) وهي منبر فكري مفتوح لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تمثل الواجهة الثقافية المضيئة في مسيرة المغرب الفكرية على مدى ربع قرن .

• وان هذه الوزارة لحريصة على أن تخدم الثقافة الاسلامية في هذه البلاد من خلال هذه الواجهة ، على هدى من الله ، وعلى بصيرة من رسالتها ، وعلى ثقة بالنفس .

(دعوة الحق)

الثمن : 5 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم



●● تنسجم الاجراءات المعلن عنها أخيرا لتنظيم الدعوة الاسلامية في المغرب مع روح المسيرة الوطنية التي يقودها باحكام ودقة ووعي امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله . فقد جاء الظهير الشريف المنظم للمجالس العلمية بالمملكة والمحدد لاختصاصات وصلاحيات المجلس العلمي الاعلى الذي يترأسه جلالة الملك ، متفقا مع أساليب التجديد التي تشهدها البلاد في اطار ارساء القواعد الديمقراطية على هدي الشريعة الاسلامية ، ومستجيبا لتطلعات العلماء والمثقفين والمفكرين ودعاة الاصلاح والتغيير الاسلامي بالحكمة والموعظة الحسنة ومن غير غلو أو تفريط أو افراط .

● لقد عبر الظهير الشريف الذي تلاه السيد أحمد بن سودة مستشار صاحب الجلالة في المؤتمر الثامن لرابطة علماء المغرب عن حقيقة المغرب الجديد المنبثق من المسيرة الخضراء ، الآخذ بأسباب القوة والعزة ، السالك لسبل الوقاية والحصانة والمناعة ، الواعي لرسالته ومسؤوليته وأمانته ، المدرك لحساسية الظرف التاريخي وخصوصية المعركة التي نذر نفسه لها .

وان الابعاد الحضارية للاجراءات الخاصة بتنظيم الدعوة في المغرب تستشف من خلال تحليل الظروف الراهنة سواء على الصعيد الوطني أو على المستوى العربي والاسلامي والدولي . ذلك ان المغرب يقف اليوم في جبهة الصمود دفاعا عن وحدته الترابية أولا وحماية للكيان الاسلامي ثانيا ، ومشاركة لاشقائه في العمل الدولي الجماعي من أجل تحرير القدس الشريف ثالثا ، وهي جميعها مهام جسيمة يتحمل الملك والشعب تبعاتها ومضاعفاتها ومسؤولياتها بصبر واحتساب وتجرد .

●● في هذا المناخ تنصرف الجهود لاعادة ترتيب البيت على أساس اسلامي متين ، بتنشيط قطاع الدعوة الاسلامية وترشيد الاساليب والوسائل المتبعة في هذا المضمار ، وخلق مجالات جديدة ، للتحرك في الاتجاه الصحيح من أجل انعاش الفكر الاسلامي وتجديده واحكام الاتصال بالقاعدة العريضة من المواطنين تنويرا لهم وتبصيرا لافئدتهم.

● والحق أن الظهير الشريف يضع اطارا حركيا للعمل الاسلامي يساعد على القيام بالمهام المنوطة بالعلماء ورجال الفكر والثقافة والدعوة في مجتمع شديد التمسك

إفتتاحية

الـدّعــوة

باسلامه . وهذا ولا شك مؤشر جديد على الآفاق المتسعة التي تفتحها الاجهزة المسؤولة في وجه العاملين في الحقل الاسلامـي ، خاصة وان الظهير المنظم لعمليات التوجيـه الديني لا يقصر هذه الوظيفة الروحية على العلماء دون سواهم ، بل يتيح الفرص أمام كل من يأنس من نفسه استعدادا لممارسة الدعوة وتحمل مسؤوليتها . وفي ذلك تشجيـع لمختلف المثقفين على النهوض باعباء الدعوة الاسلامية والصدع بكلمة الله والوقوف في وجه الانحراف والالحاد والتطرف . وبذلك يمكن أن نخلق حركة فكرية واعيـة ورشيدة ومسؤولـة .

●● وأن اقتران هذه التنظيمات المحكمة بالذكرى الفضية لاستقلال المغرب المتوجة باستكمال الوحدة الترابية ليؤكد من جهـة أخرى الارادة القوية في أن يبقى هذا البلـد ـ باذن الله ـ مصدر اشعاع اسلامي ومنطلق بعث حضاري ، وقلعة للصمود والمواجهـة والتحدي على هدى من شريعـة القرءان ومحجة سنة رسول الله .

● أن الظهير الشريـف المؤسس للمجلس العلمي الاعلى والمنظم لاختصاصات المجالس العلمية بالاقاليم يعتبر بحق ضمانة للحاضر والمستقبل ومكسبـا للدعـوة الاسلامية وأهلها في المغرب . ولا غرو أن يتصدى لهذا العمل الاسلامي العظيم أميـر المؤمنين محرر الصحراء وموحد البلاد وقاهر الالحاد والاستعمار والصهيونية . فهـذا هو الاسلوب العلمي الاصيل الذي ينهجه المغرب المسلم بقيادته المؤمنة الواعية ، وهذا هو العمق الحضاري للفكر السياسي الذي يضبط مسارنا على مختلف المستويات . وطالمـا أن المغرب يسلك هذا السبيل ، معتزا باسلامه ، مؤمنا برسالته ، فان الصعاب والعراقيل التي يضعها الخصوم في طريقه لن تنال منه منـالا .

●● وبهذا الاشراق الوجداني والتألـق العقلي يمضي المغرب في عهد جلالة الملك الحسن الثاني يصنع حاضره ومستقبله على هدى من الله ودينه الحق وسنـة رسولـه المصطفـى .



عبد القادر الإدريسي

ظهير شريف يتعلق بإحداث المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية.

●● كان أهم ما تميز به المؤتمر الثامن لرابطة علماء المغرب الذي انعقد أيام 13 و 14 يونيو بمدينة الناظور تلاوة نص الظهير الشريف المنظم للمجلس العلمي الاعلى والمجالس العلمية الاقليمية . وقد قدم مستشار صاحب الجلالة الاستاذ احمد ابن سودة لذلك بكلمة قيمة ابرز فيها العناية الخاصة التي يوليها مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله للعلم والعلماء .

دام مؤتمر علماء المغرب يومين وعرف نقاشا علميا مثمرا وجرت خلاله دراسة مستوفية لعدد من القضايا والموضوعات المتصلة بالحياة الفكرية والثقافية والتعليمية بالمغرب ، وكذا الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للمواطنين . كما أعار المؤتمرون اهتماما خاصا بمشاكل المسلمين على امتداد الخريطة الاسلامية .

وقد لفت الانتباه في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر التقرير المنهبي المفصل الذي القاه الاستاذ العلامة عبد الله كنون الامين العام للرابطة بالنظر الى حيوية الموضوعات التي تناولها الى جانب وضوح الرؤية وسداد الحكم وواقعية التحليل وشمولية الاستقطاب لمختلف المشاغل التي تستبد باهتمام الراي العام الاسلامي عموما .

ننشر في هذا العدد النص الكامل للظهير الشريف المتعلق باحداث المجلس العلمي الاعلى ●●

بسم الله الرحمن الرحيم

ظهير شريف رقم 1.80.270 بتاريخ 3 جادى الآخرة 1401 (8 ابريل 1981) يتعلق بأحداث المجلس العلمي الاعلى والمجالس العلمية الاقليمية .

الحمد لله وحده

الطابع الشريف ـ بداخله :

(الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن الله وليه)

الاسباب الموجبة

كان الاسلام ولا يزال أهم مقومات الشخصية المغربية ، وكانت وحدة العقيدة والمذهب التي من الله بها على المغرب منذ القدم ، الاس المتين الذي قامت عليه وحدة الامة ، والعامل الفعال الذي ضمن لها التماسك والاستقرار ، وجعلها بمامن من التفكك والانقسام اللذين أصابا كثيرا من الامم الاخرى ، ولهذا وذاك حرص ملوك مختلف الدول التي تعاقبت على

المغرب على العناية بشؤون الاسلام ، واجراء العمل باحكامه والذود عن عقائده ، ونشر تعاليمه الصحيحة بين الناس ، ليكونوا على بينة وبصيرة من اوامره ونواهيه في كل ما يرجع الى امور دينهم ودنياهم على حد سواء ، ولا يزال عالقا بالاذهان ما قام به في هذا المضمار والدنا المقدس صاحب الجلالة محمد الخامس طيب الله ثراه ، من جليل الاعمال ، وما بذله من حميد الجهود ، في سبيل الحفاظ على المقومات الاسلامية وترسيخها في نفوس الامة ، وتطهيرها من كل ما شاب صفوها من زيغ وبدع ، وقد سرنا منذ ولانا الله مقاليد الامة على النهج القويم الذي خطه اسلافنا المنعمون متدرعين لبلوغ الغاية المتوخاة بالاساليب التي تقتضيها روح العصر الذي نعيش فيه ويستلزمها التطور الحاصل في شتى الميادين ، وقد قر رأينا ، بعد ان اصبحنا نشاهد ما ينذر به شيوع بعض المذاهب الاجنبية من خطر على كيان الامة المغربية وقيمها الاصيلة ، ان يستمر عملنا المتواصل في اطار مؤسسات تنتظم فيها وتتناسق جهود العلماء الاعلام ، للعمل ، برعاية جلالتنا الشريفة وارشادها ، على التعريف بالاسلام ، واقامة البرهان على ان ما جاء به صالح لكل زمان ومكان في امور الدين والدنيا معا ، وان فيه غنى عما عداه من المذاهب والعقائد التي لا تمت بصلة الى القيم التي يقوم عليها كيان الامة المغربية .

ومن أجل ذلك ، واستنادا الى ما ناطه الله تعالى بعهدتنا بحكم الامامة العظمى التي اصطفانا لها وذكر به الدستور في الفصل التاسع عشر منه .

أصدرنا أمرنا الشريف بما يلي :

الفصل الاول

يحدث ، مجلس علمي اعلى يتولى جلالة ملك المغرب أمير المومنين رئاسته .

تحدث بظهير شريف كلما دعت الحاجة الى ذلك مجالس علمية اقليمية تحدد دوائر نفوذها بمرسوم يتخذ باقتراح من السلطة الحكومية المكلفة بالشؤون الاسلامية .

القسم الاول

المجلس العلمي الاعلى

الباب الاول

التاليف والاختصاصات

الفصل الثاني

يتألف المجلس العلمي الاعلى من رؤساء المجالس العلمية الاقليمية المشار اليها في الفصل الاول اعلاه .

الفصل الثالث

يجوز للمجلس العلمي الاعلى أن يستدعي لحضور اجتماعاته كل شخصية معروفة بكفايتها العلمية وبالعناية بشؤون المسلمين ، قصد المشاورة وابداء الراي .

الفصل الرابع

تناط بالمجلس العلمي الاعلى المهام الآتية :

1 – التداول في القضايا التي تعرضها عليه جلالتنا الشريفة .

2 – تنسيق اعمال المجالس العلمية الاقليمية .

3 – ربط الصلات بالمؤسسات الاسلامية العليا كرابطة العالم الاسلامي والمؤتمر الاسلامي .

الباب الثاني

التسيير

الفصل الخامس

يعقد المجلس العلمي الاعلى دورتين عاديتين في السنة ويجوز ان يجتمع فى دورات طارئة كلما رات جلالتنا الشريفة ان الضرورة تدعو الى ذلك .

وتقوم السلطة الحكومية المكلفة بالشؤون الاسلامية ، وفق توجيهات جلالتنا الشريفة ، بتحديد

جدول اعمال الدورات وتاريخها ومدة انعقادها وباستدعاء الاعضاء .

الفصل السادس

يتولى موظف سام يعين بظهير شريف مهام كتابة المجلس العلمي الاعلى .

القسم الثاني

المجالس العلمية الاقليمية

الباب الاول

التاليف والاختصاصات

الفصل السابع

يتالف كل مجلس علمي اقليمي من رئيس وسبعة اعضاء يعينون جميعا بظهير شريف .

ويجوز للمجالس العلمية الاقليمية ان تستدعي بعض العلماء ذوي الكفاية العلمية لحضور اجتماعاتها قصد المشاورة وابداء الراي .

الفصل الثامن

تناط بالمجالس العلمية الاقليمية المهام الآتية:

1 ـ احياء كراسي الوعظ والارشاد والتثقيف الشعبي بالمساجد والسهر على سيرها .

2 ـ توعية الفئات الشعبية بمقومات الامة الروحية والاخلاقية والتاريخية وذلك بتنظيم محاضرات وندوات ولقاءات تربوية .

3 ـ الاسهام في الابقاء على وحدة البلاد في العقيدة والمذهب في اطار التمسك بكتاب الله وسنة رسوله .

4 ـ العمل على تنفيذ توجيهات المجلس العلمي الاعلى .

الباب الثاني

التسيير

الفصل التاسع

تعقد المجالس العلمية الاقليمية دورتين عاديتين في الشهر ويجوز ان تجتمع في دورات طارئة كلما دعت الضرورة الى ذلك بعد استشارة جلالتنا الشريفة وموافقتها .

يتولى رؤساء المجالس العلمية الاقليمية تحديد جدول اعمال الدورات وتاريخها ومدة انعقادها واستدعاء الاعضاء .

الفصل العاشر

لا تكون مداولات المجالس العلمية الاقليمية صحيحة الا اذا حضر الاجتماع نصف الاعضاء على الاقل .

الفصل الحادي عشر

يكلف احد الاعضاء في كل مجلس علمي اقليمي بمهمة الكتابة .

القسم الثالث

مقتضيات مختلفة

الفصل الثاني عشر

تحدد عند الضرورة كيفية تطبيق ظهيرنا الشريف هذا بمرسوم يتخذ باقتراح من السلطة الحكومية المكلفة بالشؤون الاسلامية .

الفصل الثالث عشر

ينشر ظهيرنا الشريف هذا بالجريدة الرسمية.

وحرر بمراكش في 3 جمادى الاخرة 1401 (8 ابريل 1981) .

وقعه بالعطف :

الوزير الاول ،

الامضاء : المعطي بوعبيد .

تاريخ المصحف الشريف بالمغرب

للأستاذ محمد المنوني

تصميم البحث :

1 ـ الوراقة المصحفية

مقدمة ـ الخطاطون والمزوقون المصحفيون ـ الكتابة والزخرفة المصحفية ـ التسفير المصحفي .

2 ـ مصاحف وربعات نموذجية

1 ـ ربعة المرتضي الموحدي . 2 ـ شذرات من ربعة أبي سعيد المريني الاول . 3 ـ ربعة أبي الحسن المريني . 4 ـ ربعة أبي العباس أحمد الوطاسي . 5 ـ مصحف الاميرة مريم السعدية . 6 ـ مصحف الامير محمد بن عبد القادر بن السلطان الشيخ السعدي . 7 ـ مصحف الغالب السعدي . 8 ـ مصحف المنصور السعدي . 9 ـ الربع الاول من مصحف كريم صدر فى العصر العلوي.10 ـ مصحف الامير علي العلوي. 11 ـ ربعة القندوسي . 12 ـ المصحف الاول المطبوع بالمطبعة الحجرية الفاسية . 13 ـ مصحف الجبابي . 14 ـ المصحف الحسني .

I ـ الوراقة المصحفية

مقدمة :

من المؤكد أن كتابة المصاحف الشريفة بالمغرب الاقصى واكبت انتشار الاسلام بهذه الجهات ، غير انه لا يزال لم يعرف ـ على وجه التحقيق ـ اعيان هذه المصاحف القديمة ، والقليل منها ـ جدا ـ هو الذي وقع الالماع لذكره ـ فقط ـ ابتداء من أواخر القرن الرابع للهجرة . والمعني بالامر ـ أولا ـ هو

البشاري (1) عند حديثه عن اقطار المغرب الاسلامي، وهو يقول في هذا الصدد : «وكل **مصاحفهم** ودفاترهم مكتوبة في رقوق » .

الثاني : مصحف كان عند قاضي فاس : عبد الله بن محمد بن محسود الهواري الفاسي ، المتوفى عام 401 هـ / 1010 — 1011 م (2) .

الثالث : المصحف الذي يقال انه مكتوب بخط محمد المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، والمتوفي عام 524 هـ / 1130 م ، وقد كان يصحب المواكب الموحدية خلف المصحف العثماني (3) .

الرابع : ربعات قرآنية كانت موضوعة في مستودع بجامعة القرويين بفاس ، اواخر القرن السادس للهجرة (4) .

هذه هي المصاحف التي جاء التلميح للحديث عنها دون ان يقع العثور عليها لحد الآن ، ومن البديهي ان هذه ليست سوى قليل من كثير وكثير جدا . من المصاحف التي انتشرت بالمغرب الاقصى منذ الفتح الاسلامي ثم ضاعت اخبارها بضياع المصادر التي تؤرخ لهذه الفترة .

وأول ما وصل الينا في هذا الصدد ، هي الربعة القرآنية التي خطها بيمينه الخليفة الموحدي عمر المرتضى عام 654 هـ / 1256 م (5) ، وسنتحدث عن الموجود منها بعد : ضمن المصاحف والربعات النموذجية .

الخطاطون والمزوقون المصحفيون :

لا يزال هؤلاء الوراقون مجهولين فيما قبل العصر الموحدي ، وفي هذا العصر تجد في المملكة الموحدية طائفة من المصحفيين توزعوا بين المغرب والجزائر والاندلس ، وهذه زمرة منهم :

1 — أبو اسحاق ابراهيم بن فتوح بن مكحول الاشبيلي ثم الفاسي ، المتوفى نحو عام 570 هـ / 1174 — 1175 م ، قال عنه في « جذوة الاقتباس » (6) : « استوطن مدينة فاس وكان يضبط المصاحف » .

2 — عبد الله بن حريز المعروف بابن تاخميست الفاسي ، المتوفي عام 608 هـ / 1212 م كان يكتب المصاحف الشريفة بخطه الحسن ويهديها للمحتاجين لها (7) .

3 — محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن مفرج بن

---

(1) « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » لمحمد بن احمد المقدسي المعروف بالبشاري (مطبعة بريل في مدينة ليدن) الطبعة الثانية سنة 1906 م — ص 239 .

(2) « روض القرطاس » (المطبعة الحجرية الفاسية) عام 1305 هـ — ص 79 .

(3) « المعجب » مطبعة السعادة بمصر ، عام 1324 هـ — ص 166 .

(4) « روض القرطاس — ص 43 ، مع ص 47 .

(5) يذكر البعض وجود مصحف كريم مكتوب — على الرق — في قالب ثماني ، انتسخه الشيخ ابو يحيى ابن الشيخ ابي زكريا بن الشيخ ابي ابراهيم ، في شهر رمضان عام 616 هـ / 1219 م ، غير ان هذا المصحف لا يزال غير معروف ، وكاتبه ابو يحيى : ذكره المراكشي كوزير ليوسف الموحدي الثاني ، وسماه : زكريا بن يحيى بن ابي ابراهيم اسماعيل الهزرجي صاحب ابن تومرت ، وامه بنت يعقوب المنصور ، « المعجب » الطبعة الآنفة الذكر — ص 217 ، ثم أشار له ابن سعيد كامير لسبتة ، وسماه : ابا يحيى بن يحيى بن ابي ابراهيم « المغرب في حلى المغرب » نشر دار المعارف — ج 2 ص 362 ، وقدمه المقري بعنوان صاحب سبتة ابي يحيى بن أبي زكرياء صهر ناصر بن عبد المومن ، وقد اجرى ذكره بمناسبة تقديم المناظرة التي وقعت في مجلسه بين الشقندي وابى يحيى ابن المعلم الطنجي ، في المفاضلة بين الاندلس والمغرب « نفح الطيب » المطبعة الازهرية — ج 2 ص 138 .

(6) ط. ف. — ص 163 .

(7) « التشوف الى رجال التصوف » لابن الزيات ، نشر معهد الابحاث العليا المغربية بالرباط — رقم 213 .

سهل الانصاري البلنسي المعروف بابن غطوس ، والمتوفي حدود عام 610 هـ / 1213 – 1214 م ، انقطع الى كتابة المصاحف الشريفة حتى شاع عنه انه كتب الف نسخة من القرءان الكريم ، وكان متقدما في براعة خطها ، اماما في جودة ضبطها ، وتنافس الناس على طبقاتهم – الملوك فمن دونهم – فيما يوجد من خطه ، وقد خلف في ذلك اباه واخاه وكانوا – كلهم – مثلا مضروبا في اتقان هذه الصنعة التي اشتهروا بها (8) .

وقد امتدت شهرة ابن غطوس المصحفية الى الشرق العربي بواسطة اخباره ، وعن طريق بعض مصاحفه المشرقة ، وهذا الصلاح الصفدي (9) يعقب على ترجمته الواردة عند ابن الابار في « التكملة » ويقول :

« قلت : اخبرني – من لفظه – الشيخ الامام ، الحافظ ، ابو الحسن علي بن الصياد الفاسي بصفد سنة ست وعشرين وسبعمائة : أنه كان له بيت فيه ءالة النسخ والرقوق وغير ذلك ، لا يدخله احد من اهله ، يدخله ويخلو بنفسه ، وربما قال لي : كان يضع المسك في الدواة ، وكان مصحفه لا يهديه « كذا » الا بمائتي دينار ، وان انسانا جاء اليه من بلد بعيد مسافة اربعين يوما أو قال اكثر من ذلك ، واخذ منه مصحفا ، ولما كان بعد مدة فكر في انه وضع نقطا او ضبطا على بعض الحروف في غير موضعه ، وانه سافر الى تلك البلد وأتى الى ذلك الرجل ، وطلب المصحف منه ، فتوهم انه رجع في البيع ، فقال : قبضت الثمن مني وتفاصلنا ، فقال : لا بد ان اراه ، فلما اتى به اليه حك ذلك الغلط واصلحه ، واعاده الى صاحبه ورجع الى بلده ، او كما قال .

وقد رأيت انا (يقول الصفدي) بخطه مصحفا او اكثر ، وهو شيء غريب من حسن الوضع ورعاية المرسوم ، ولكل ضبط لون من الالوان لا يخل به : فاللازورد للشدات والجزمات ، واللك للضمات وللفتحات والكسرات ، والاخضر للهمزات المكسورة، والاصفر للهمزات المفتوحة ، لا يخل بشيء من ذلك، وليس فيه واو ولا ألف ولا حرف ولا كلمة في الحاشية ولا تخريجة ، وكأنه متى فسد معه شيء ابطل تلك القائمة » .

4 – محمد بن ابراهيم المهري البجائي الاشبيلي الاصل ، نزيل مراكش ، المعروف بابي عبد الله الاصولي ، والمتوفي عام 612 هـ / 1216 م ، كان يكتب المصاحف ويضبطها فيجيد (10) .

5 – محمد بن محمد بن يحيى بن خشين الاندلسي الشقري ، المتوفي حدود عام 630 هـ / 1232 – 1233 م ، قال عنه ابن الابار (11) : « كان يكتب المصاحف ، ولم يكن احد من اهل زمانه يدانيه في المعرفة بنقطها ، والبصر برسمها ، مع حسن الخط والاتقان » .

6 – الخليفة الموحدي عمر المرتضى بن السيد ابي ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن المتوفي عام 665 هـ / 1267 م ، كتب بخطه ربعة قرءانية كاملة في عشرة أجزاء ، وسنتحدث عن الباقي منها بعد ، وخطه فيها مغربي مبسوط ، جيد الوضع والضبط ، مع كتابة خواتم الاجزاء بالخط الشرقي الثلثي ، ثم كتابة توقيعات وقفها بخط شرقي نسخي ، مما يدل على أنه كان يحسن الكتابة بالطريقتين : المغربية والمشرقية .

والى جانب هذه الربعة القرءانية فان المكتبة المغربية لا تزال تحتفظ بعدد من المصاحف والاجزاء التي كتبت بالاندلس في هذه الفترة بالذات، ونذكر منها :

---

(8) « التكملة » لابن الابار ، مطبعة روخس بمجريط سنة 1886 م – رقم 927 ، مع «الذيل والتكملة» لابن عبد الملك ، مصور خ. ع. د. 2647 – لوحة 506 ، وانظر عن ترجمة عبد الله والد محمد ابن غطوس : تكملة ابن الابار – رقم 1370 .

(9) « الوافي بالوفيات » ج 3 ص 351 – 352 .

(10) « التكملة » رقم 1070 ، وانظر « الذيل والتكملة » مصور خ. ع. د 1705 ، لوحات 145–147.

(11) « التكملة » رقم 994 .

اولا : « مصحف » على رق الغـزال ، كتـب بمدينة بلنسيـة عـام 559 هـ / 1164 م ، وهـو مخطوط بمكتبة المعهد العالي بتطوان .

ثانيا : « مصحف » كتـب ـ على الرق ـ في العشر الاول من رمضان عـام 573 هـ / 1178 م ، بالمكتبة الزيدانية بمكناس تحت رقم 3593 ، وقـد صارت ـ اخيرا ـ الى المكتبة الملكية بالربـاط .

ثالثا : « مصحف » على الرق ايضا ، بتاريـخ العشر الاخر من ذي الحجة عام 598 هـ / 1202 م، في الخزانة العامة بالرباط رقم ج 934 .

رابعا : ربعة « قرءانية » مكتوبـة على الورق بمدينة مالقة في تجزئة عشرين جزءا ، وقـع الفراغ من كتابة الجزء الثامن منها يوم الثلاثاء ثاني صفر عام 620 هـ / 1223 م ، بمكتبة ابن يوسف بمـراكش رقـم 430 .

خامسا : « الجزء السادس عشر مـن ربعـة عشرينية التجزئة » ، مكتوب على الورق ـ ايضـا ـ بمدينة اشبيلية ، في العشر الاخر من ذي القعـدة عام 632 هـ / 1235 م ، بمكتبة ابن يوسف بمراكش رقـم 430 .

سادسا : « ثمانية اجزاء من ربعـة عشاريـة التجزئة » ، مكتوبة على الورق الشاطبي ، وتحمـل ادلة قوية على كتابتها بالاندلس في نفس هذا العصر، وهي ـ ايضا ـ بمكتبة ابن يوسف بمـراكش رقـم 431 ، ويلاحظ أن هذه المصاحف والاجزاء كلهـا خالية من اسماء كاتبيهـا .

* * *

وفي العصر المريني تركزت الوراقة المصحفية بالمغرب اكثر ، وكان في مقدمة المشتغلين بها :

7 ـ السلطان ابو الحسن علي بن ابي سعيـد عثمان بن يعقوب المريني المتوفي عـام 752 هـ / 1351 م ، قال ابن مرزوق في « المسند الصحيح الحسن (12) » :

« كان داب امامنا رضي الله عنه « ابي الحسن المريني » العكوف على نسخ كتاب الله في الزمـن الذي يخلو له من النظر فيما طوقه ... وكان قـد أكد عنده هذا العمل ما منحه الله تعالى من اجـادة الخط المصحفي ، وكان قد اخذه عن كاتب وقتـه ، المنفرد بتجويد هذا الخط في عصره ، « النجللي » وكان قد بلغ فيه الغاية ، فتعلم منه اصوله حتى صار خطه يختلط بخطه ، رحمة الله عليهما » .

وبعد هذا يذكر ابن مرزوق (13) كتابة ابـي الحسن ـ بخطه ـ لخمس ربعات قرآنية شريفـة : الاولى : حبسها على مشهد شالـة ، الثانيـة على المسجد النبوي بالمدينـة المنـورة ، الثالثـة على المسجد الحرام بمكة المكرمة ، الرابعة : على المسجد الاقصى بالقدس الشريف ـ عجـل الله سبحانـه بخلاصه ـ ، وسنتبين ان هذه الرابعة لا يزال جلهـا موجودا ، الخامسة : شرع في كتابتها برسم المقام الخليلي بالقدس ايضا فلم يتمها ، ثم تمم منها ابنـاه الاثنـان :

8 ـ السلطان ابو عنان فارس المتوفي عـام 759 هـ / 1358 م .

9 ـ وبعده السلطان ابو فارس عبد العزيـز الاول المتوفي عام 774 هـ / 1372 م .

وهذا يدل على ان كلا من ابي عنان وابي فارس يجيدان الخط المصحفي ، وقد وصف ابن جزي (14) خط ابي عنان بالاغياء في الحسن ، كما مدح ابن ابي حجلة (15) خط ابي فـارس ، الـذي يؤكـد ابن الخطيب (16) اشتغاله بانتساخ القرءان الكريم .

---

(12) ـ خ. ع. ق. 111 ـ البـاب 55 ، الفصل السابـع .
(13) « المسند الصحيح الحسن » ـ الباب 55 ، الفصـل السابـع .
(14) « تحفة النظار » نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر عام 1377 هـ ـ ج 2 ص 183 .
(15) « منطق الطير » مخطوطة المكتبة الملكية بالربـاط رقـم 1910 .
(16) « رقم الحلل وشرحها » ط. تونس ـ ص 86 ـ 107 .

10 ـ محمد بن احمد الجمحي المراكشي المعروف بابن شاطر ، كان بقيد الحياة عام 756 هـ / 1355 ـ 1356 م ، وداب في منتسخاته المصحفية وغيرها على أن لا يغلق حرفا مجوفا ، حتى اذا غلب على ذلك بادر لاصلاحه (17) .

11 ـ احمد بن محمد بن حسن النفزي الرندي الاصل ، ثم الفاسي ، المعروف بالسراج ، والمتوفي عام 759 هـ / 1357 ـ 1358 م ، وهو والد يحيى السراج الامام الشهير ، وكان مصحفيا مكثرا ، كتب بخطه نحو 300 مصحف شريف (18) .

12 ـ محمد بن محمد بن عنون الاصيلي ثم الفاسي ، صاحب القلم الاعلى ، كان بقيد الحياة عام 949 هـ / 1542 م ، وكتب ـ بخطه الجميل ـ ربعة قرآنية من 30 جزءا ، ورد ذكر اسمه محلى بالكاتب في فهرسة المنجور (19) ، اما الربعة الكريمة فقد بقي منها 15 جزءا في خزانة القرويين بفاس .

13 ـ السلطان ابو العباس احمد بن محمد بن ابي عبد الله محمد الشيخ رابع سلاطين بني وطاس، والمتوفي عام 961 هـ / 1553 ـ 1554 م ، كتب بخطه ربعة قرآنية كريمة سنتحدث عنها بعد عند الربعة رقم 4 ، وقد كان في خطه كابن مقلة في زمنـــه (20) .

وسيكون هذا آخر الوراقين السبعة الذين تقدمهم هذه الدراسة كنماذج للمصحفين في الفترة المرينية والوطاسية ، والى جانب هؤلاء كان يوجد مذهبون ومزوقون للمصاحف ، وقد جاء الالماع الى زمرة منهم في « العبر »(21) . عند الحديث عن ربعة قرآنية كتبها ـ بخطه ـ السلطان أبو الحسن المريني، حيث يقول ابن خلدون عن هذا السلطان ، « وجمع الوراقين لمعاناة تذهيبها وتنميقها » . وهكذا نستفيد وجود طائفة من هؤلاء اثناء الفترة المرينية ، غير اننا لا نزال لم نعرف اسماءهم .

* * *

وقد انتعشت هذه المهنة صدر دولة السعديين، حيث لمع خطاطون مصحفيون لم نقف على اسماء كثير منهم وانما يعرفون من خلال منتسخاتهم الممثلة في المصاحف السعدية الاربعة التي سنستعرضها بعد، وسيتبين انها طبقة عالية في جمال الخط ، وجودة الضبط ، وبراعة الزخرفة ، وممن عانى هذه الوراقة في نفس الفتـــرة .

14 ـ محمد بن علي العدي الاندلسي ثم الفاسي ، المتوفى عام 975 هـ / 1567 م ، قال عنه المنجور (22) : « وكان له خط رائق ، ونسخ نسخا عديدة من كتاب الله ـ عز وجل ـ للسلاطين وغيرهم، والناس يتغالون في نسخه » وكان ـ حسب نفس المصدر ـ يقصد بتصحيح نسخ القرءان الكريم من حيث المتن والرسم والضبط ، هو :

15 ـ ابو عبد الله محمد بن مجبر المساري الفاسي ، المتوفى عام 983 هـ / 1575 ـ 1576 م.

16 ـ عبد الله بن عبد الرزاق بن عبد العظيم العثماني المكناسي مستوطن فاس ، والمتوفى عام 1027 هـ / 1618 م ، وقد كتب بخطه ما ينيف على 70 مصحفا شريفا » (23) .

* * *

---

(17) « الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام » ج 3 ص 283 ، واصله في « نفح الطيب » ج 3 ص 142 .

(18) « سلوة الانفاس » ج 2 ص 65 .

(19) « الصفرى » (مخطوطة خاصة) اثناء ترجمة عبد الواحد الونشريسي .

(20) « عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل » ارجوزة لمحمد الكراس ، المطبعة الملكية ـ ص 28 .

(21) مطبعة بولاق بالقاهرة 1284 هـ ـ ج 7 ص 265 .

(22) في فهرستة الآنفة الذكر .

(23) « سلوة الانفاس » ـ ج 2 ص 329 .

وتفتتح لائحة العصر العلوي باسم سيدة فاسية خطت بيدها مصاحف كثيرة ، وهي :

17 ـ فاطمـــة بنت علي بن محمد الزبـــادي المنالي الحسني المتوفاة عام 1142 هـ / 1730 م ، فقد كتبت بخطها الجميل ما يربو عن 35 مصحفـــا شريفا (24) ، وستضاف لها ـ بعد قليل ـ سيـــدة مغربيـــة اخـــرى .

18 ـ ابو العباس احمد المزدغـــي الفاسي ، المتوفى عام 1178 هـ / 1764 ـ 1765 م ، كـــان يشتغل بنسخ المصاحف وغيرها في دكانـــه بسوق العطارين من فاس القرويين (25) .

19 ـ محمد « فتحا » بن علـــي بن محمـــد الزبادي المنالي الحسني الفاسي ، المتوفى عـــام 1209 هـ / 1794 م ، وهو شقيق فاطمـــة الآنفـــة الذكر ، كتب بخطه مصاحف كثيرة وغيرها (26) .

20 ـ عائشة بنت الحاج مبارك الشلح التكي، يوجد بخطها مصحف شريف كتبته عـــام 1237 هـ / 1821 ـ 1822 م ، وخطها مغربي بـــدوي واضـــح متوسط مشكول ملون ، يوجد هذا المصحف بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 4225 .

21 ـ الحاج المعطـــي التادلـــي الفاسي ، المتوفي عام 1262 هـ / 1846 م ، كتب بخطه 500 مصحف شريف وكان له خط جيد (27) .

22 ـ محمد بن ابـــي القاسم القندوسي ثـــم الفاسي ، المتوفى عام 1278 هـ / 1861 م ، قال في ترجمته من « سلوة الانفاس » (28) : « وكان له خط حسن جيد ، كتب به عدة من الدلائل ، واخبرت انه كتب مصحفا في اثني عشر مجلدا قل ان يوجد نظيره في الدنيا » ، وسنتحدث بعد : عن هـــذا المصحف الذي لا يزال بقيد الوجود .

23 ـ محمد بن عبد القادر التادلي الرباطي ، تاريخ وفاته غير مضبوط ، وهو والد ابي اسحـــاق التادلي شيخ الجماعة بالرباط ، الذي يذكر عنه (29) انه كان يضرب المثل بخطه في الاتقـــان ، وجـــل منتسخاته هي المصاحف الشريفة ودلائل الخيرات للجزولـــي .

24 ـ محمد بن الحاج محمد الريفي التمساني الصويري الاستيطان ، المتوفى ـ بطنجـــة ـ عـــام 1313 هـ / 1895 ـ 1896 م ، كان له خـــط حسن ينسخ به المصاحف وغيرها ، ويكتبها بخط دقيق على ورق رقيق ، فينجز منتسخاته في حجم صغير جدا ، يسعـــه داخل اليد (30) .

25 ـ محمد البهالي المستاري من دوار لاوة: قرية بني يمل ، توفي صدر هذه المائة الجارية 14 هـ، وكان خطاطا مصحفيا كتب مصاحف شريفة عديدة .

وهؤلاء اربعة خطاطين مطبعيين كتبوا بخطوطهم الجيدة بضعة مصاحف كريمة ، وخامسهم قام بزخرفة احد هذه المصـــاحف ، وهم :

26 ـ الفاطمي بن ابراهيم بـــن الطالـــب ابن سودة المري الفاسي ، المتوفى عام 1318 هـ / 1900م،

---

(24) انظر محمد المنوني : « مركز المصحف الشريف بالمغرب » ، مجلة (دعوة الحق) العدد الثالـــث السنة الحادية عشر ـ ص 76 .

(25) « سلوك الطريق الوارية » للزبادي الآتي الذكر ، مخطوطة خاصة ـ عند الباب الثامن .

(26) نفس المصدر ـ عند الباب السادس ، أثنـــاء ترجمة محمد بن قاسم جسوس .

(27) « ذكر من اشتهر امره وانتشر ممن بعـــد الستين من اهل القرن الثالث عشر » لمحمد الفاطمي الصقلي ، مخطوطة خاصة ، مع « سلوة الانفاس » ج 3 ص 25 .

(28) ج 3 ص 41 .

(29) في مقيدات له ضمن كناشة بمكتبة العلامة الجليل محمد بن بوبكر التطواني بسلا ، حيث وقفت عليها اثناء عام 1374 هـ / 1955 م ، ولهـــذا الخطاط ترجمة في « مجالس الانباط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط » لمحمد بن علـــي بن أحمد دنية الاندلسي الرباطي ، نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 779 ـ ج 1 ص 222 ، حيث يذكر انه لم يقف على تاريخ وفاته .

(30) « زهر الآس في بيوتات فاس » لعبد الكبير بن هاشم الكتاني خ. ع. د. 1281 ج 1 ص 369 .

كتب ـ بخطه ـ مصحفين شريفين نشرا بالمطبعة الحجرية الفاسية عامي : 1309 و 1311 هـ (31) .

27 ـ ابو حفص عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد ابن سودة ، كاتب المصحف الشريف المنشور بنفس المطبعة عام 1313 هـ (32) .

38 ـ الوافي بن ابراهيم ابن سودة اخ الفاطمي الآنف الذكر ، يوجد بخطه المصحف الشريف الذي كتبه برسم نفس المطبعة عام 1332 هـ .

29 ـ محمد بن الغالي العلمي الفاسي ، وهو مصحح المصحف الاخير ، والغالب انه هو ـ ايضا ـ راقم ما طبع به من الزخرفة الجميلة في بدايته ونهايته وعند أوائل الارباع القرآنية ، ومن المعروف انه كان بارعا في زخرفة الكتب .

30 ـ احمد بن الحسن زويتن الفاسي ، المتوفى في 20 ربيع الثاني عام 1381 هـ / 1 أكتوبر 1961 عن 75 عاما ، وهو كاتب المصحف الشريف المطبوع ـ على الحجر ـ بمصر ، بعناية الحاج محمد المهدي الحبابي ومحمد الحبابي الفاسيين عام 1347 هـ / 1929 م ، وقد أعيد طبعه ـ بنفس الخط ـ عام 1349 هـ ، وسنعود للحديث عنه باوسع مما هنا ، ثم كتب ـ بخطه ـ مصحفا شريفا ثانيا برسم مكتبة الحاج عبد السلام ابن شقرون بالقاهرة، حيث طبع بها على الحجر اكثر من مرة . وقد صارت هذه المصاحف المكتوبة بخطه هي المتداولة ـ اكثر ـ بالمغرب .

الكتابة والزخرفة المصحفية :

يبدو ان كتابة المصاحف المغربية الاولى كانت ـ في الاكثر ـ توافق رسم قراءة الامام حمزة ، التي كانت تغلب على اقطار المغرب ، ثم استقرت على قراءة الامام نافع (33) من رواية تلميذه ورش ، والغالب ان هذه المصاحف الاولى كانت بالخط الكوفي الذي كان شائعا في الكتابة المغربية ءانذاك (34) .

اما المصاحف والاجزاء المغربية المعروفة ، فاغلب القديم منها مكتوب بخط اندلسي او مغربي ، واكثرها بحروف عريضة ، وخطوط مبسوطة جيدة ، وقد تشدد المغاربة في التزام قواعد الرسم العثماني، واستنكروا كتابة المصحف الشريف حسب القواعد العامة للاملاء ، وفي هذا يقول في المدخل (35) في صدد آداب ناسخ القرءان الكريم :

« ويتعين عليه أن يترك ما احدثه بعض الناس في هذا الزمان ، وهو ان ينسخ الختمة على غير مرسوم المصحف الذي اجتمعت عليه الامة ، على ما وجدته بخط عثمان بن عفان رضي الله عنه » .

وكانت الكتابة ـ في الغالب ـ بالحبر الاسود الحالك او الباهت قليلا ، او بمحلول قشر الجوز ، وقد يصنع الحبر من مادة عطرة ، مثل الواقع في مصحفي ابي الحسن المريني بالقدس وابي العباس المنصور السعدي بالاسكوريال ، حيث كان مداد الاول من فتيت المسك وعطر الورد ، وربما اضيف لهما في بعض الاحايين الزعفران الشعري ، بينما اقيم مداد المصحف السعدي من فائق العنبر، المتعاهد السقي بالعبير المحلوك بمياه الورد والزهر (36) .

اما الشكل فكان ـ في الغالب ـ يلتزم الالوان التي يوصي بها أبو عمرو الداني الذي يقول معبرا عن الشكل بالنقط :

« وارى أن استعمل النقط لونين : الحمرة والصفرة ، فتكون الحمرة للحركات والتنوين والتشديد والتخفيف والسكون والوصل والمدة ، وتكون الصفرة للهمزة خاصة ، قال : وعلى ذلك

(31) محمد المنوني : « الطباعة الحجرية الفاسية» ، مجلة (تطوان) ، العدد 10 ، ص 149 .
(32) نفس المجلة والعدد ـ ص 146 .
(33) « الاستقصا » ط. دار الكتاب بالدار البيضاء ، ج 1 ص 126 .
(34) هذا يوخذ من « المقدمة » لابن خلدون ، المطبعة البهية المصرية ، ص 366 ـ 367
(35) (المطبعة الوطنية) بالاسكندرية ، عام 1293 هـ ج 3 ص 232 .
(36) انظر المصحفين رقم 3 ورقم 8 من قسم المصاحف والربعات النموذجية .

مصاحف اهل المدينة ، ثم قال : وان استعملت الخضرة للابتداء بالفات الوصل على ما احدثه أهل بلدنا فلا ارى بذلك بأسا ، قال : ولا استجيز النقط بالسواد لما في ذلك من التغيير لصورة الرسم»(37).

وعلى هذه الطريقة جرى شكل اكثر المصاحف المغربية القديمة : الموحدية والمرينية والسعدية ، مع اضافة لونين جديدين ، حيث يرسم التشديد والسكون الحي بلون الزرقة في الاكثر ، او بلون الخضرة .

وقد كانت بعض المصاحف المغربية يتخلل كتابة القرءان الكريم فيها مزج بخط دقيق عقب كل طائفة من الآيات ، لبيان كيفية رسم تلك الآيات ، مع بيان الهجاء حسب رسم المصحف العثماني ، ويوجد — على هذه الصفة — جزءان قرءانيان مختلفان ، وهما — معا — بخزانة القرويين بفاس ، مع التنصيص في احدهما — الذي يحمل رقم 826 / 40 — على ما اتفقت عليه مصاحف الصحابة وما اختلفت فيه من ناحية الرسم ، بينما ثبت على الثاني — وهو الذي يحمل رقم 877 / 80 — للاشارة الى انه من تحبيس الحاجب ابي العباس القبائلي نيابة عن سلطانه على جامع الاندلس بفاس (38) .

وهناك مصاحف مغربية أخرى رسم بين سطورها او بهوامشها — بلون مغاير — رموز احدى القراءات السبع او كلها ، ولا يتعدى المعروف منها — لحد الآن — العصر العلوي .

وابتداء من اوائل القرن العاشر للهجرة حدث في المصحف المغربي وقوف جديدة من اختيار محمد بن ابي جمعة الهبطي الصماتي ، المتوفى — بفاس — عام 930 هـ (39) / 1523 — 1524 .

وكثير من المصاحف المغربية تتخلل كتابتها فواصل تشير الى الآيات والسجدات والسور والاحزاب واجزائها ، وتزيد بعض المصاحف على هذا بفواصل اخرى تشير الى الاخماس والاعشار :

---

(37) نقله في « صبح الاعشى » ج 3 ص 164 .

(38) وقفت على عين الجزءين الكريمين في خزانة القرويين التي يديرها الاستاذ الكبير محمد العابد الفاسي الفهري ، صبيحة يوم الثلاثاء 24 / 9 / 1968 م .

(39) انظر ترجمته من « سلوة الانفاس » ج 2 ص 67 — 70 .
هذا وقد وقع فيما قيد عن الهبطي من هذا الوقف بعض كبوات ناقشه فيها بعض العلماء المغاربة ، ومنهم محمد المهدي بن احمد بن علي بن ابي‌المحاسن الفاسي الفهري ، المتوفى عام 1109 هـ / 1698 م ، وله في هذا الصدد رسالة سماها « الدرة الغراء في وقف القراء » لم نقف عليها ، وقد تحدث عنها محمد بن عبد السلام الفاسي الفهري المتوفى عام 1214 هـ / 1799 م ، واقتبس فقرات من اولها في كتابه « اتحاف الاخ الاود المتداني بمحاذي حرز الاماني » وهو المشهور بالمحاذي ، خ. ع. ك 312 س 83 ، كما وضع هذا الاخير بدوره تأليفا في نفس الموضوع ، واثبت قسما مهما منه في كتابه المحاذي ، وتوجد منه ثلاث نسخ على حدة بالمكتبة الملكية بالرباط تحمل ارقام : 195 و 1953 و 9346 ، وهذا الرقم الاخير انما يشتمل على القسم الثاني من التاليف الذي اشار اليه — ايضا — في سلوة الانفاس ج 2 ص 67 ، واسمه : « الاقراط والشنوف في معرفة الابتداء والوقوف » .
وممن انتقد وقف الهبطي من مشايخ سوس : احمد بن عبد الله الصوابي ، المتوفى عام 1149 هـ / 1737 م ، وقد اثبت له الحضيكي في ترجمته ج 1 ص 89 — 94 كلاما طويلا في هذا الموضوع، وجاء في آخره : « وكان رضي الله عنه — يخبر بأن الرجل الصالح سيدي موسى الوسكري اول من جاء سوس بهذا الوقف الهبطي ، وانه لا يجود به الا لمن يردف بالقراءات ويقول : انما وضعه واضعه لذلك ، وينهى طلبته واولاده الذين ادركناهم أن يقرءوا به الحزب الراتب ، وأن يجودوا به للمتعلمين الذين لم يقرأوا بالقراءات » الى أن يقول : « وهذا شيخ وقته ، وامام عصره ، سيدي احمد بن عبد العزيز السجلماسي قد تنبه لذلك ، فصار يحمل الناس على القراءة الصوابية السنية القديمة ، وألف على خطا هذه الحادثة وفسادها » .

« كل خمس او عشر آيات » ، والى الاسباع التي تقسم القرءان الكريم الى سبعة أقسام ، بالنسبة لمن يعتاد الختم اسبوعيا ، وبعض المصاحف السعدية تضيف تجزئة اخرى الى سبعة وعشرين قسما ، اعتبارا بابتداء تلاوة المصحف الشريف اول يوم من رمضان ، وختمه يوم السابع والعشرين منه .

وقد تفتن عدد من وراقي المصاحف المغربية، في زخرفة وتذهيب وتلوين هذه الفواصل كلها او بعضها ، خلال الكتابة وعلى الهوامش ، مع تنويع الزخارف واختيار الالوان المناسبة ، وفي بعض الصفحات تاتي اكثر من مناسبة لزخرفة الهوامش ، فتبدو مرصعة من أعلاها الى اسفلها بالتراجم المتلاحقة والمتنوعة في زخرفة اخاذة ، حسب الواقع في المصاحف السعدية الآتية الذكر ، هذا زيادة على التراجم التي تملأ لوحتين او اكثر ، بمناسبة ابتداء المصحف الشريف واختتامه .

والى جانب المصاحف المجموعة في سفر ، توجد مصاحف تفرق على اجزاء يختلف عددها حسب الغاية المتوخاة من كتابتها ، وقد جرى على هذا النوع من المصاحف اسم « الربعة » ، الذي يطلق في الاصل على التابوت الذي توضع فيه ، قال ابو حامد الفاسي : (40)

« ان المراد بالربعة صندوق مربع الشكل من خشب ، مغشى بالجلد ، ذو صفائح وحلق ، يقسم داخله بيوتا بعدد اجزاء المصحف ، يجعل في كل بيت منه جزء من المصحف ، واطلاقها على المصحف مجاز » .

واخيرا : يلاحظ ان المصاحف المغربية وان سارت في وراقتها على تقليد المصاحف الاندلسية ، فقد اخذت تتميز عنها ـ حسب المصاحف المغربية المعروفة ـ ابتداء من الفترة المرينية ، وقد ظهر هذا ـ بالخصوص ـ في اشكال أوضاع الخط ، وفي اغفال تنقيط الحروف الاخيرة التالية :

ن . ف . ق . ي ، كما ظهر في التزام عدم تقطيع حروف اللفظة الواحدة بين آخر السطر وأول السطر التالي ، على عكس بعض المصاحف الاندلسية التي لا تبالي باستعمال هذا التقطيع ، الذي يفصل بين حروف اللفظ الواحد ويوزعها بين سطرين ، ومن الاجزاء القرآنية التي يظهر انها كتبت في العصر المريني على الطريقة المغربية .

1 ـ « الربع الاول من القرءان الكريم » :
خ . ع . ج . 661 .

2 ـ الجزء الثاني عشر ، من تجزئة 30 :
خ . ع . ج . 732 .

3 ـ الجزء السابع ، من تجزئة 30 :
خ . ع . ك . 382 .

وقد كتب أصل هذا الاخير بخط اندلسي صميم ، وتمم الناقص من اوله ـ في 49 ص ـ بخط مقارب ، على الطريقة المغربية .

التسفير المصحفي :

بعد كتابة المصاحف وزخرفتها ، ياتي دور تسفيرها ، وقد كان للقوم اعتناء خاص به ، وفي كتاب « التيسير في صناعة التسفير » (41) ـ المؤلف باسم يعقوب المنصور الموحدي ـ يهتم مؤلفه ـ كثيرا ـ بشرح طريقة تسفير المصاحف ، ويبين العمل في كل من نوعيها الاثنين : المصاحف

(40) فيما شرح من دلائل الخيرات للجزولي ، خ. ع. ك. 1532 ص 179 ـ 180 ، وفي القاموس وشرحه : والربعة بالفتح الجونة : جونة العطار ، واما الربعة بمعنى صندوق فيه اجزاء المصحف الكريم ، فان هذه مولدة لا تعرفها العرب ، بل هي اصطلاح اهل بغداد ، او كانها ماخوذة من الاولى، واليه مال الزمخشري في الاساس ، « تاج العروس » ج 5 ص 343 .

(41) مؤلفه ابو عمر وبكر بن ابراهيم بن المجاهد اللخمي الاشبيلي ، وقد نشر نص هذه الرسالة بعناية الاستاذ الكبير عبد الله كنون ، في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، في مدريد ، المجلدان السابع والثامن « مزدوج » ، سنة 1959 ـ 1960 مع مقدمة وتعاليق وفهرس للمواضيع ص 1 ـ 42 .

السفرية ، وهي التي تسفر دون استعمـال اللوح ، ثم المصاحف الملوحة ، وهو يخصص بابا على حدة لبيان عمل اقربة المصاحف : التي يقصد بها اوعية الاسفار المصحفية ، وقد ذكر فيها ثلاثة انواع ، ومن حسن الحظ انه لا يزال بقيد الوجود جملة من أعيان أسفار مصحفية مصنوعة في العصر الموحدي ، وقد درس بعضها م. ب. ريكار ، مفتش الفنون المغربية ومدير متحف الاثار بفاس سابقا (42) ، وهذه نماذج لبعض الاهتمامات المغربية بتسفير المصاحف :

لما استجلب لعبد المومن الموحدي « المصحف العثماني » من جامع قرطبة ، احتفل في الاعتنـاء بكسوته التي كانت من جلد ، فأبدلها ــ حسب ابـن طفيل (43) ــ بسفر من الواح مصفحـة بصفائـح الذهب والفضة ، فيه صنائع غريبة من ظاهره وباطنه، لا يشبه بعضها بعضا ، قد ادخل فيها مـن الـوان الزجاج الرومي ما لم يعهد له مثيـل ، ونظـم على صفحتيه وجوانبه لآلىء نفيسة ، فيها فاخر الياقوت ونفيس الدر وعظيم الزمرد ، من ارفع ما كان عنـد هذا الخليفة ، ولم يزل بنوه ــ بعده ــ يتأنقـون في زيادة جليل الجواهر وفاخر الاحجار على مـا كان محلى به ، حتى استوعبوا دفتيه بذلك بما لا قيمة له ولا نظيـر .

ثم كسى عبد المومن هذا السفر بصوان لطيف من السندس الاخضر ، ذي حلية عظيمة خفيفـة لا تفارقه ، وصنع له محمل غريب الصنعة بديع الشكل، مغشى كله بضروب من الترصيع ، وفنون من النقش البديع ، في قطع من الابنوس والخشب الجيـد ، محاط بصنعة قد أجريت في صفائح من الذهـب ، وصنع للمحمل كرسي يوضع عليه عند الانتقـال ، مرصع مثل ترصيعه ، وصنع لذلك كله تابوت يحتوي عليه ، مكعب الشكل سام في الطول ، حسن المنظر، مغشى بغلاف صفائحه من الذهب مرصع بالياقوت .

وقد ادخل في تركيب كل من التابوت والكرسي والمحمل صناعات ميكانيكية ، ينفتح بها ــ تلقائيا ــ باب التابوت ويخرج الكرسي ويركب المحمل عليـه ، ثم كذلك الشان في عودة الكرسي والمحمل وانسداد الباب تلقائيـا .

وكان للتابوت هودج يحمل فيـه في مقدمـة المواكب الموحدية ، ويكون على اضخم بختي يوجد ، وهو ــ حسب ابن عبد الملك ــ (44) عبارة عن قبة حريرية حمراء ارتفاعها نحو عشرة اشبار ، وعرض كل وجه من وجوهها الاربع نحو اربعـة اشبـار ، وبأعلاها جامور (45) محكم الصنعة على نحو جوامير الاخبية ، من اتقن ما أنت راء جمالا ، وفي اعلى كل ركن من أركان القبة عصية ركب فيها ستين مذهب ، وقد ربطت بها راية من حرير حمراء ، لا تزال تخفق عذباتها بأقل ريح ، ولو لم يكن الا بهز الجمل اياها في سيـــره .

وعبارة ابن صاحب الصـلاة (46) في هـذا الصدد : « ... وعلى مصحف عثمان كلـه حمـراء تصونه ، والمصحف المكرم منظم حـول حفاظـه بالجوهر النفيس ، والياقوت الاحمر والاصفر والاخضر الغريب ، والزمرد الاخضر النفيس العجيب ، قـد جلبت احجار الياقوت والزمرد والجوهر الى الخليفة الاول الرضى : خليفة المهدي ، ثم لابنه أمير المومنين ابن امير المومنين ، ونظم بها حفاظ هذا المصحف المكرم ، وكلل بها جوانبه اكليلا ... » .

---

(42) مجلة « هسبريس » المجلد 17 ، العدد 2 ، سنة 1933 م ، ص 109 ــ 127 ، حيث درس اربعة اسفار موحدية ، فيها ثلاثة تكسو الاجزاء 4 ، 9 ، 10 من ربعة المرتضى الموحدي .

(43) في رسالة مطولة في « نفح الطيب » ، المطبعة الازهرية المصرية ، سنـة 1302 هـ ج 1 ص 287 الى 288 ، مع اضافات من « الذيل والتكملة » مخطوط المكتبة الملكية بالرباط رقم 269 ج 1 ص 83 ، و « الحلل الموشية » ط. تونس ص 116 .

(44) « الذيل والتكملة » المخطوط الآنف الذكر ، ج 1 ، ص 84 ، مع اضافات من « البيان المغرب » لابن غذاري ، ط. تطـوان ، ص 92 ، و « الحلل الموشية » ، ص 116 .

(45) المراد به عمود منتفخ الوسط ، انظر ملحق المعاجم العربية لدوزي ج 1 ص 212 .

(46) « تاريخ المن بالامامة » تحقيق الاستـاذ الدكتور عبد الهادي التازي ، نشر دار الاندلس ، لبنان ص 439 ــ 440 .

ولما كتب المرتضى الموحدي الربعة القرآنية المتكررة الذكر ، وضعت — بعد تسفيرها بالجلد المزخرف بالذهب — في تابوت ابنوس بحلية نحاس مذهبة ، طوله ثلاثة اذرع ، وله ثلاثة مقابض : واحد في اعلاه ، واثنان في عرضيه ، وأركانه معقودة من نحو الحلية ، ومغلقة كذلك من نحو الحلية المذكورة ايضا ، وعلى التابوت غشاء جلد مغالقه كلها فضة مثيلة (47) .

وفي العصر المريني يتحدث في « العبر » (48) عن تسفير المصحف الذي استنسخه « ابو يعقوب يوسف بن يعقوب » برسم وقفه على الحرم المكي الشريف ، وهو يقول في هذا الصدد :

« ... وعمل غشاءه من بديع الصنعة ، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت ، وجعلت منها حصاة وسط المغلق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا ، واستكثر من الاصونة عليه » .

ثم يتحدث — نفس المصدر (49) — عن تسفير احدى الربعات الكريمة التي خطها — بيمينه — ابو الحسن المريني ، وفي هذا يقول :

« ... وصنع لها وعاء مؤلفا من خشب الابنوس والعاج والصندل ، فائق الصنعة ، وغشي بصفائح الذهب ، ونظم بالجوهر والياقوت ، واتخذ له اصونة الجلد المحكمة الصنعة ، المرقوم اديمها بخطوط الذهب ، من فوقها غلاف الحرير والديباج ، واغشية الكتان » .

ولا يزال بقيد الوجود اسفار مصحفية مرينية تكسو الباقي من اجزاء الربعة الشريفة التي وقفها ابو الحسن المريني على المسجد الاقصى بالقدس الشريف (وسنتحدث عنها بعد) وقد ألمع الى وصف هذه الاسفار — باحث معاصر (50) — ، وذكر انها من جلد ناعم الملمس ، مخيط بخيوط دقيقة من الذهب والفضة ، ولها صندوق بديع الصنع ، مزين بالنقوش الفضية والميناء المختلف الالوان .

وفي ترجمة السلطان العلوي عبد الله ، انه وجه — مع ركب الحج لعام 1155 هـ — 23 مصحفا شريفا بين كبير وصغير محلاة بالذهب مثبتة بالدر والياقوت (51) .

ثم في عام 1202 هـ احتفل السلطان محمد الثالث العلوي في هدية للسلطان العثماني عبد الحميد الاول ، وكان فيها مصحف كريم محلى بالذهب ، مرصع بالالماس ، يساوي مائة الف دينار حسب تقدير مؤلف درة السلوك (52) .

II — مصاحف وربعات نموذجية

وسندرس منها 14 ، تبتدي من أواخر العصر الموحدي حتى العصر العلوي ، وتشتمل على ما تسنى لي الوقوف على عينه أو على وصفه من المصاحف والربعات والاجزاء المخطوطة ، مع اضافة ثلاث طبعات قرآنية مغربية ممتازة .

1) ربعة المرتضى الموحدي :

كتبها — بخطه — عمر المرتضى من أواخر خلفاء الموحدين — وقد سبق ذكره سادس الخطاطين المصحفيين ، وتتألف هذه الربعة من عشرة أجزاء ، يحتوي كل جزء على ستة احزاب ، وكانت توجد تامة بمكتبة ابن يوسف بمراكش حتى عام 1149 هـ (53)—

(47) هذا يوخذ من بقايا وقفية مكتوبة على كل من الجزءين : الاول والرابع من هذه الربعة التي سنتحدث عنها بعد .
(48) ج 7 ص 226 .
(49) 7 ص 265 .
(50) هو الاستاذ الجليل عبد الله مخلص في صحيفة « الفتح » السنة الخامسة ، العدد 237 .
(51) « البستان الظريف » للزياني عند حوادث عام 1155 هـ .
(52) اسمها الكامل : « درة السلوك وريحانة العلماء والملوك » تأليف الامير عبد السلام الضرير بن السلطان محمد الثالث — القسم السادس منها ، مخطوطة خاصة .
(53) محمد المنوني : « العلوم والادب والفنون على عهد الموحدين » ص 287 — 288 .

1736 – 1737 م ، ثم تفرقت بعد ذلك ، والمعروف منها لحد الآن تسعة بين أجزاء كاملـة وابعـاض ، مسطـرة كـل جزء 9 ، ومقياسه : 290 / 220 . وهـي مكتوبـة – على ورق جيد – بقلم غليـظ ، وخط مغربي يميل للاندلسي ، مبسوط مليح ، يضرب حبره للسواد ، مع تنويع الوان الشكل : فمداد اللك للضمات والفتحات والكسرات والمدات ، والخضرة الباهتة للشدات والسكون ونقط الفات الوصـل ، والصفرة الباهتة ايضا للهمزات القطعية وغيرهـا ، عناوين السور بالخط الكوفي داخل اطار مستطيل ، مزخرف بمحلول الذهب المرسوم بالمداد والملـون بالاحمر والازرق ، وقد طوقت هوامش الكتابة بتراجم مذهبة ملونة ومتنوعة الاشكال ، وكتب – على ارضها الحمراء – بالخط الكوفـي : عناويـن التجزئـات القرآنية المختلفة ، بالنسبة للاخمـاس والاعشار : « كل خمس او عشر آيات » ، وبالنسبـة للاحزاب واجزائها والسجدات ، وفي آخر كل جـزء كلمـة ختامية بخط شرقي ثلثي ، مكتوب بالذهب المصبور بالمداد ، ومجدول بزخرفة ذهبية مصورة بالمـداد ايضا ، وتتضمن الكتابة رقم الجزء وتاريخ الفراغ منه ومكان الانتساخ واسم الناسخ .

ويلاحظ ان بعض أجزاء الربعة لا يزال مكسوا بسفره الموحدي الاصلـي (54) ، كما يوجـد على الجزءين الاول والرابع وثيقة عدلية بوقفيـة هـذه الربعة من طرف ناسخها عمر المرتضى على جامـع السقاية بمراكش : « جامع علي بن يوسف » بتاريخ رجب عام 656 هـ / 1258 م ، وهي مذيلة بتصحيح الوقف بتوقيع المرتضى نفسه ، المكتـوب بخـط شرقي نسخي (55) .

ويوخذ على كتابة هذه الربعة أنها قد يقع فيهـا تقطيع اللفظة الواحدة بين آخر السطر واول السطر التالي ، وهي طريقة كانت شائعة في بعض المصاحف الاندلسية القديمة ، وقد انتقدها القلقشندي (56) – تبعـا لغيـره – .

* * *

وهذا ما وقفت عليه – لحد الآن من هذه الربعة ، بين اجزاء كاملة وشذرات :

العشر الاول : بمكتبة ابن يوسف بمـراكش رقم 432 ، به 75 ورقة ، ووقع الفراغ من كتابته في 20 جمادى الثانية . عام 654 هـ / 1256 م ، وهو قيد الاصلاح بالخزانة العامة بالرباط .

العشر الثاني : بالخزانة العامة بالرباط رقم ج 658 : مبتور الاول والآخر بنحو ورقتين ، ويبتدي هكذا : « بالتوراة فاتلوها ان كنتـم صادقيـن » ، الآية 93 من سورة آل عمران ، ثم ينتهي عند آخـر الحزب 12 : الآية 83 من سورة المائدة . بـه 72 ورقة مرممة بنفس الخزانة ، ووقع الفراغ من كتابته يوم السبت 27 جمادى الثانية عام 654 هـ / 1256م، ولا يزال مجلدا بسفره الموحدي .

العشر الثالث : لم يبق منه بمكتبة ابن يوسف بمراكش سوى الورقة الاخيره التي تشتمل على تاريخ الفراغ منه يوم الاحد 6 رجب عام 654 هـ / 1256م، وهي موضوعة ضمن محفظة رقم 432 / 3 .

العشر الرابع : بمتحف الاودايـة بالربـاط رقم 47.1754 ، به 74 ورقة مرممة ترميما جيـدا بباريز ، ووقع الفراغ من كتابته يوم الاحد 13 رجب عام 654 هـ / 1256 م ، ولا يزال موضوعا في سفره الموحـدي .

العشر الخامس : توجد قطعة مهمة منه بمكتبة ابن يوسف بمراكش رقم 432 ، وتبتـدي هكـذا : « افئدة من الناس تهوى اليهم » الآية 39 من سورة ابراهيم ، الى آخر سورة الكهف حيث نهاية هـذا

---

(54) سبق في التعليق رقم 42 ذكر مرجع الدراسة التي قام بها م. ب. ريكار عن ثلاثة اسفار لاجزاء هذه الربعة : الرابع والتاسع والعاشر .

(55) هناك دراسة لوقفية الجزء الرابع من هذه الربعة قام بها الاستاذان : كاستون دوفيردان ومحمد بن عبد السلام الفياني ، مجلة هسبريس ، المجلد 41 ، عام 1954 ، ص 414 – 417 .

(56) انظر « صبـح الاعشى » ج 3 ص 151 .

الجزء ، به 59 ورقة قيد الاصلاح بالخزانة العامة بالرباط ، ووقع الفراغ منه يوم الاربعاء 23 رجب عام 654 هـ / 1256 م .

العشر السادس : توجد منه سبعة اوراق بمكتبة ابن يوسف بمراكش ضمن محفظة تحمل رقم 432 / 2 ، وكلها من سورة مريم ، ابتداء من قوله تعالى : « وهزي اليك بجذع النخلة » الآية 24، ثم تنتهي هكذا : « ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات سيجعل لـ » الآية 97 ، وهي — ايضا — قيد الاصلاح بالخزانة العامة بالرباط .

العشر السابع : توجد منه أربع ورقات بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ج 1278 : ثلاث ورقات من اوائله متصلة فيما بينها ، وكلها من سورة الفرقان ، ابتداء من قوله تعالى : « حجرا محجورا» : الآية 22 ، الى قوله تعالى : « ولو شئنا لبعثنا في كل قر » : الآية 51 ، أما الورقة الرابعة ففيها ختام هذا الجزء اثناء سورة الاحزاب ، حيث تبتدي — عند الصفحة الاولى — هكذا : « سها ، وكان الله على كل شيء قديرا » : الآية 27 ، الى ان ينتهي هذا العشر في نفس الصفحة عند الآية 30 ، وفي الصفحة الموالية توجد الكلمة الختامية التي تتضمن تاريخ الفراغ من الجزء : يوم الاربعاء 7 شعبان عام 654 هـ/ 1256 م .

وقد وضعت هذه الورقات الاربع داخل محفظة جلد عادية في ظاهرها ، وفي داخلها الصقت بها ورقتان على طول لوحتيها ، وزخرفتا زخرفة جميلة، ثم كتب على الجهة اليمنى في اعلى الورقة : كلمة « لامير المومنين » ، وفي اسفلها : « مولانا السلطان»، بينما كتب في الجهة اليسرى في اعلى الورقة : « محمد بن السلطان » ، وفي اسفلها : « مولانا عبد اللـه » .

وهكذا تتبين عصر هذه المحفظة ، وتستفيد ان لها اتصالا بحياة السلطان العلوي محمد الثالث ، كما تستلفت لها الانظار لدراستها من طرف المعنيين بهذا الموضوع .

العشر الثامن : لا يزال غير معروف .

العشر التاسع : بمكتبة ابن يوسف بمراكش رقم 432 ، به بتر يسير من اوله وآخره ، ويبتدي هكذا : « من قبل وظنوا ما لهم من محيص » ، الآية 47 من سورة فصلت ، الى ان ينتهي عند قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا » الآية 26 من سورة الحديد ، به 77 ورقة ، ووقع الفراغ من انتساخه اثر صلاة الجمعة 23 شعبان عام 654 هـ (57) / 1256 م ، اصلح بعضه بالخزانة العامة والباقي قيد الاصلاح .

العشر العاشر : بمتحف الاوداية بالرباط رقم 7.1757 أ ، مبتور من الورقة الاولى والآخرة ، ويبتدي هكذا : « يظهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم » ، الآية 2 من سورة المجادلة ، به 88 ورقة مرممة ترميما جيدا بباريز ، ووقع الفراغ منه بعد صلاة الصبح من يوم الجمعة فاتح رمضان عام 654هـ/ 1256 م ، وهو موضوع في سفره الموحدي ، وبه ننتهي هذه الربعة التي نختم الحديث عنها بتقديم نموذجين من كلماتها الختامية بالنسبة لخاتمة العشر الاول وخاتمة العشر الاخير ، وهذا نص النموذج الاول على ما فيه من اندثار بعض الكلمات :

« كمل العشر الاول من الكتاب العزيز (58) بحمد الله تعالى . . . نفع الله تعالى به وتقبله على يدي عبد الله تعالى : عمر أمير المومنين ، المومن بالله تعالى أجره الله . . . نار جهنم برحمته وكمل في الموفي عشرين لجمدى » كذا » الثانية ، عام أربعة وخمسين وستمائة / بحضرة مراكش امنها الله تعالى واهلها والحمد لله وحده كثيرا » .

اما النموذج الثاني فهذا نص الموجود منه بعد ضياع الصفحة المتممة له :

(57) لوحة التاريخ ضاعت من هذا الجزء ، ووردت صورتها ضمن دراسة الاستاذين : دوفيردان والفياني ، المشار لها عند التعليق رقم 55 .

(58) هذه العلامة تشير الى نهاية السطر حسب كتابته في خاتمة الجزء الموصوف ، وسنسير على اثباتها عند تقديم الخواتم الاخرى للربعات أو المصاحف الشريفة التي تناولتها هذه الدراسة ووقفت عليها مباشرة .

« كملت الربعة الكريمة من الكتاب العزيز ، بحمد الله تعالى وعونه ، وذلك بعد صلوة « كذا » الصبح يوم الجمعة ، اول يوم لرمضن « كذا » المعظم المكرم ، عام اربعة وخمسين وستمائة ، بحضرة الموحدين — اعزهم الله بالطاعة — مراكش حرسها الله تعالى وأهلها ، وكتبها بخط » .

2) شذرات من ربعة ابي سعيد المريني الاول

وهي اربع ورقات — في الرق — من الجزء 16 من القرءان الكريم ، تجزئة 30 جزءا ، مسطرة 6 ، مقياس 190 / 170 ، خ. ع. ك. 2849 ، ضمن ملف يحتوي على قطع قرآنية مختلفة مكتوبة على الرق .

تشتمل هذه الورقات الاربعة على آيات كريمة من سورة « طه » ، وقد تتابعت الورقتان الاوليان منها ، حيث تبتدي من قوله تعالى : « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » ، الآية 118 ، الى ان تنتهي الورقة الثانية عند قوله تعالى : « فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع » ، الآية 121 ، وهنا يقع بتر بالنسبة للورقة الثالثة التي تبتدي الصفحة الاولى منها هكذا: « آياتك من قبل ان نزل ونخزي » ، الآية 133 ، ثم في آخر نفس الصفحة ينتهي هذا الجزء 16 عند تمام سورة « طه » ، وقد كتب في الصفحة الموالية والتي بعدها : خاتمة الجزء الآتية وشيكا .

خط الكتابة القرءانية اندلسي عريض مبسوط جميل ، مكتوب بمحلول قشر الجوز ، ومشكول بالوان متنوعة : فالحمرة للضمات والفتحات والكسرات والمدات ، والزرقة او الخضرة الشدات والسكون ، والصفرة للهمزات القطعية وغيرها ، والخضرة — وحدها — لنقط الفات الوصل ، اما الكلمة الختامية فهي مكتوبة — بالذهب المصور بالمداد — بخط شرقي ثلثي جميل ، داخل اطار مستطيل مزخرف مصور بالذهب ، وهذا نصها :

« كمل الجزء السادس عشر بحمد الله تعالى / وحسن عونه ، وصلواته الطاهرة على / سيدنا ومولانا محمد رسوله ، وعلى ءاله / وصحبه وأزواجه وذريته، مما نسخ لخزانة / مولانا الملك العادل ، التقي الاطهر / امير المسلمين ، وخليفة رب العالمين / ابو « كذا » سعيد بن مولانا الملك الاشهر / الخاشي لله تعالى ، الخاشع المجا / هد في سبيل الله ، المقدس المرحوم / ابو « كذا » يوسف يعقوب بن عبد الحق / ايد الله تعالى سلطانهم ، وعمر / بوفور البشائر اوطانهم بمنه » .

ورغما عن خلو هذه الخاتمة من تاريخ الفراغ من الكتابة ، نستطيع حصره بين عام 710 هـ / 1311 م، الى 731 هـ (59) / 1331 م ، وهي المدة التي حكم المغرب فيها ابو سعيد عثمان ابن يعقوب المريني ، الذي وقعت الكاتبة برسم خزانته .

ويلاحظ انه كتب في هذه الشذرات كلمة « جمص » بواسطة الثقوب في الرق ، وهذا — فيما يظهر — تقليد للموحدين الذين يوجد مثل هذا على بعض محبساتهم .

3) ربعة ابي الحسن المريني .

بالمتحف الاسلامي بالقدس الشريف ، عجل الله — سبحانه — بخلاصه ، وهي الوحيدة التي لا تزال معروفة من بين الربعات التي كتبها — بخطه — السلطان ابو الحسن المريني سابق الذكر عند تعداد الخطاطين المصحفيين ، وقد كانت كاملة في 30 جزءا ، ثم ضاع منها 5 اجزاء عوضت باخرى بخط مغربي عام 1221 هـ ، وبهذا يبقى من هذه الربعة بخطها الاصلي 25 جزءا يرجع تاريخ كتابتها الى عام 745 هـ / 1345 م .

مكتوبة — على الورق — بخط مغربي جميل عريض ، في مسطرة 5 ، كل سطر مؤلف من بضع كلمات ، ومداده من فتيت المسك وعطر الورد ، وربما اضيف اليهما في بعض الاحايين الزعفران الشعري : لان الخط يشتد سواده واشراقه في بعض الصفحات، ويصفر في البعض الآخر ، وفي بعضها يكون قليل السواد ، وقد كتب بآخر كل جزء ما ياتي :

« كمل الجزء ... من هذا المصحف الكريم المجزء ثلاثين جزء ، وكتب جميعها — بخطه — عبد الله علي امير المسلمين ، بن امير المسلمين ابي سعيد

---

(59) انظر — مثلا — روضة النسرين لابن الاحمر ، المطبعة الملكية بالرباط ، ص 23 — 24 .

عثمان ، بن امير المسلمين ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق ملك المغرب ، نفعه الله ، ووقفها على التلاوة فيها بالمسجد الاقصى شرفه الله ، لما رغب فيه من ثواب الله ، نفعه الله ، وغفر له ولوالديه ولمن دعا لهما بالرحمة ، ءامين ، و ذلك في اواخر ذي الحجة (60) ، سنة خمس واربعين وسبعمائة ، بحضرة فاس حرسها الله ، الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما » (61) .

4) ربعة ابي العباس احمد الوطاسي .

رابع سلاطين بني وطاس الذي سبق ذكره في عداد الخطاطين المصحفيين ، وقد كتب هذه الربعة – بخطه – في ثلاثين جزءا ، وفرغ من انتساخها يوم الخميس 17 رمضان 946 هـ / 1540 م ، ثم بعث بها الى المدينة المنورة ، ولا تزال غير معروفة ، وقد جلى خبرها ابو حامد الفاسي فيما شرحه من دلائل الخيرات (62) – وساق القصة هكذا – :

« رايت بخط الشيخ الامام ، مفتي فاس وقاضي الجماعة بها ، ابي محمد عبد الواحد بن الشيخ الامام ابي العباس الونشريسي – رحمه الله – ما نصه : « ومما قلته يوم ختم السلطان ابي العباس احمد بن السلطان ابي عبد الله محمد بن السلطان ابي عبد الله الشيخ الوطاسي – أيده الله – للربعة الكريمة التي كتبها بخطه ، وذلك يوم الخميس السابع عشر من رمضان عام ستة واربعين وتسعمائة :

يا أيها الملك الهمام الاسعد
الماجد البطل الهمام الاوحد

خطت اناملك الكريمة مصحفا
فله المصاحف بالبراعة تشهد

اخلصت فيه لوجه ربك نية
فبها لك الذخر الذي يتابد

وجمات في شهر الصيام تمامه
فثوابه متضاعف متاكد

والى الثلاثين انتهت اجزاؤه
عدد ايديم جزاءكم ويخلد »

في ابيات بعد هذه تركتها اختصارا ، وقد كنت « يقول ابو حامد » سمعت انه بعث بهذه الربعة الى المدينة المنورة » .

5 – مصحف الاميرة مريم السعدية

كتب برسم خزانة الاميرة الست مريم بنت السلطان محمد الشيخ السعدي (63) ، بتاريخ فاتح شعبان عام 967 هـ / 1560 م ، خ. ع. ح. 656 ، ص 502 ، مسطرة 17 ، مقياس 250 / 200 ، خال من اسم الناسخ ، مجلد تجليدا حديثا .

خطه مغربي مليح يميل للمبسوط ، مكتوب بالسواد الباهت قليلا ، على ورق متصلب غير ناصع البياض ، وهو مشكول بالالوان : فالحمرة للضم والفتح والكسر والمد وعلامات الحذف ، والخضرة او الزرقة للتشديد والسكون ، والصفرة للهمزات : قطعية وغيرها ، اما نقط الفات الوصل فهي بالخضرة او على لون الكتابة ، وعلامات الوقف – للهبطي – بلون اخضر باهت .

وتتخلل الكتابة تراجم صغيرة مزخرفة بالذهب المصور بالمداد ، تزينها نقط ملونة ، وقد تنوعت هذه التراجم بحسب ما تشير له : منها فواصل الآيات والاحزاب واجزائها وتجزئة رمضان الى 27 جزءا ، وهذه – جميعها – يعلم عليها بترجمة مثلثة الوضع ، تتالف من دائرتين تعلوهما ثالثة ، ويحيط بها اربع نقط : زرقاوان عموديان ، وحمراوان افقيان، وهناك فواصل للخمس : « عند كل خمس آيات » ، وتوضع على شكل مصغر شبه حلزوني ، تعلوه

---

(60) هكذا ورد في المصدر الآتي وشيكا ، والذي اثبت نص الكلمة الختامية ، ولعله (اواخر ذي الحجة هو تاريخ الجزء الاخير لهذه الربعة .

(61) عبد الله مخلص : « المصحف الشريف » صحيفة « الفتح » ، السنة الخامسة ، العددان : 237 و 238 .

(62) المخطوط السالف الذكر – ص 178 .

وتسفله نقطتان زرقاوان ، مع نقطتيـــن حمروايـــن متراكبتين من الجهة اليسرى ، اما فواصـل العشر « عند كل عشر آيات » فهي ذات ستة اضلاع محاطة بست نقط يتناوب تاوينها بين الحمرة والزرقة .

وقد رصعت هوامش الكتابة بتراجـم اكبـــر ، وموازية لعلامـــات الاخمـــاس والاعشار والاحزاب وتجزئة رمضـــان والسجـدات وفواتـــح الســور ، حيث وضعت على اشكال متنوعة حسب التجزئـــة التي تقابلها ، وهكذا تاتي تراجم الاخماس والاعشار والاحزاب مستديرة استدارات متفاوتة ، بينما جعل لتجزئة رمضان اطار مستطيل ، وللسجدات اطـــار عريض ، وللتراجم المهمشة لفواتح السور زخرفـــة كبيرة مستديرة ، مذهبة ملونة بالزرقـــة المنمقـــة ـ يسيرا ـ بالحمرة ، مع تنويعهـــا بحسب الســور ، والتراجم ـ كلها ـ أرضها حمراء ، تحف بها زخرفه ذهبية ملونة بنقط حمراء ، قد ينضاف اليها ـ قليلا ـ نقط زرقاء ، وكتابتها ـ جميعا ـ بالخط الكوفـــي ، غير تجزئة رمضان المكتوبة بخط الثلث الشرقي .

اما اسماء السور فهي بخط كوفي مذهب ملون، وقد عنونت سورة الفاتحة ـ بالخصوص ـ بخـــط شرقي يميــــل للثلث .

وفي المصحف الشريف ست لوحات رائعة : اثنتان منها في اوائله ، واربعة باواخـــره ، وقـــد زخرفت اللوحتان الاوليتان مع الخامسة والسادسة زخرفات ـ غير متشابهة ـ بالذهب والالوان ، بينما خصصت اللوحتان الثالثة والرابعة للكلمة الختامية ، التي كتبت ـ في الصفحتين معا ـ بخـط شرقـــي ثلثي : بالذهب على ارض زرقاء ، ووضع كل سطـــر داخل اطار افقي مذهب ملون ، وهذا نـــص الكلمـــة الختاميــــــة :

« كمل المصحف الكريم ، بما فيه من الآيـــات والذكر / الحكيم ، بحمد الله وحسن عونـــه ، وصلى الله على سيدنا / محمد نبيه وعبـــده ، وعلى ءالـــه واصحابه وءال بيته / المنتسخ لخزانـــة الحـــرة الطاهرة ، الجليلة / الفاضلة ، فريدة زمانها ، مريـــم بنت مولانا السلطان / الامجد ، المنصور المؤيـــد ، ابو « كذا » عبد الله محمد / الشيـــخ الشريـــف الحسني احسن الله اليه ، بن / موالينا الشرفـــاء الاكرمين ، رحمة الله عليهم / اجمعين ، وكان الفراغ منه فاتح شعبان ، الذي من / عام سبعة وستيـــن وسبعمائة ، عرفنا الله خيره » .

6 ـ مصحف الامير محمد بن عبد القـــادر (بن السلطان محمد الشيخ السعـــدي (64))

كتب برسم خزانته ، ووقع الفراغ منه بتاريخ اوائل رمضان عام 968 هـ / 1561 م ، خ. ع. ج. 606 ، ص 540 ، مسطرة 17 ، مقياس 210/275 ، خال من اسم الناسخ ، مجلد بسفر يظهر انه من عمل اندلسي موريسكي مزخرف مذهب . خط مغربـــي عريض يميل للاندلسي ، مبسوط حسن ، مكتـــوب بالحبر الحالك على ورق متصلب غير ناصع البياض، وشكله مماثل في تلوينه لضبط المصحف الاخيـــر رقم 5 ، باستثنا علامات الوقف على مذهب الهبطي، حيث رسمت بالحمرة .

تتخلل الكتابة تراجم صغيرة ، مزخرفة بالذهب المصور باللون الاحمر ، والمنقط بالالـــوان ، وقـــد تنوعت هذه التراجم بحسب ما تشير له ، حيـــث جاءت فواصل الاخماس على شكل صغيـــر شبـــه حلزوني ، تحف به ثلاث نقط زرقـــاء ، وفواصـــل الاعشار مستديرة تحيط بها ثمانية نقط زرقاء ، امـــا فواصل باقي التجزئات القرآنية فقد وضعت تراجمها على هيئة مثلث يتكون من ثلاث دوائر صغيرة ، يحيط بها اربع نقط : ثلاث زرقاء ، وواحدة حمراء .

ثم ازدانت هوامش المصحـــف الشريـــف ، بتراجم مكبرة ، وموازية للتجزئات القرءانية ، بما فيها

---

(63) ورد ذكرها في « الاستقصا » ج 5 ص 68 .

(64) كان وزيرا لعمه عبد الله الغالب الذي استخلفه بمكناس ، ثم قتله في 20 جمادى الثانية عام 975هـ/ 1567 م ، وكان شجاعا اديبا يقول الشعر ، انظر عنه « درة الحجال » رقم 643 و « تاريخ الدولة السعدية » لمؤرخ مجهول الاسم ، نشر جورج كولان ـ ص 33 ـ 35 مع « الاستقصـــا » ج 5 ص 55 ـ 57 .

تجزئات الاسباع التي تقسم المصحف الكريم الى سبعة اجزاء، وهو شيء انفرد به هذا عن سابقه ، وقد زخرفت هذه التراجم في اوضاع مختلفة حسب التجزئات المساوقة لها : فتراجم الاخماس على شكل اجاصة صغيرة ، والاعشار ترجمات مستديرات ، مكتوب فيها وفي سابقتها بالخط الكوفي ، ورؤوس الاحزاب في اطار مربع مذهب ، مكتوب فيه بالخط الشرقي الثلثي ، واجزاء الاحزاب بالخط الكوفي المصور باللون الاحمر دون اطار ، وتجزئة رمضان والسجدات داخل اطار مربع مكتوب فيه بالخط الكوفي ، وفواتح السور بهوامشها تراجم مزخرفة ، بينما كتبت تجزئات الاسباع بالذهب بخط شرقي ثلثي ، داخل مربع مذهب ، وجميع تراجم هذه التجزئات مرقومة على ارض زرقاء ، في زخرفة فائقة في صنعها ، متناسبة في تلوينها ، مع تفنن في الاوضاع حتى بالنسبة لزخارف التجزئة الواحدة ، حيث تتنوع في الاخماس وتتنوع في الاعشار ، وهكذا البواقي .

اما عناوين السور فبالخط الكوفي دون اطار باستثناء سورتي الفاتحة والبقرة فهما بخط شرقي ثلثي مكتوب بالازرق المصور بالذهب داخل اطار ذهبي مستطيل ، ملون بالحمرة المرسومة بالذهب .

بأول المصحف اربع لوحات مزخرفة زخرفة متنوعة ، وفي آخره تاتي الكلمة الختامية ، وقد ابتدئت كتابتها من الصفحة الاخيرة منه واستغرقت نحو ثلثيها ، ثم تممت في اربع صفحات تالية ، تليها لوحتان ختاميتان في زخرفة متنوعة ، والكتابة في الكلمة الختامية بخط شرقي ثلثي متشبك ، داخل اطر مستطيلة مزخرفة ، وجميع زخارف هذه اللوحات بالذهب الملون بالازرق والاحمر ، وفيما يلي نص خاتمة المصحف الشريف :

« كملت النسخة المباركة ، المكتتبة بقصر خزانة / مولانا الامام الذي شيد من معالم الفخار ما وهى / واندرس ، واحيى « كذا » من مراسم المجد ما عفى / وانطمس ، وثنى ازمة تجانب عزمه عن دواعي الصبا ، / ولم يستمله لذلك مهب جنوب ولا نسيم صبا ، / فارتشف في ريعان شبابه رضاب اركان المعالي ، / وانتسخ منها عين المقدم والتالي ، فجاء / ـ بحمد الله ـ نادرة الايام والليالي ، ووا / سطة اسلاك اللئالي ، ان قلت الندى / فحاتم طيه ، او البيان فمن سنا قلمه / تتفجر ينابعه ، ومن رياض بلاغته تند / فق منابعه ، او السياسة فهو قطب / رحاها ، وبدر ليلها وشمس ضحاها ، / قد اخذ من الشجرة الهاشمية العلوية / بذؤبتها ، ومن الولادة الفاطمية / باغصانها ومنابتها ، مولانا محمد / ابن مولانا عبد القادر ، امده الله / بيسره وتوفيقه في الموارد والمصا / در ، ولما حليت هذه النسخة بالانتساب / لمعناه ، وازدهرت شرفا بحلولها / حضرة مغناه ، واضيفت الى اسمه / ومسماه ، لحضنتها « كذا » احداق النظار « كذا » / بانواع المحاسن والمقاصد ، و / بضروب الاجادة واصناف المحامد ، / ضربت في الحسن بالسهم المصيب ، وماست / في ثوب من الجمال قشيب ، وحازت من الفضائل / اوفر نصيب ، كستها ابنة الصناع / حللا رقيقة الحواشي ، وصيرتها / علما يهتدى به الراكب والماشي ، / وامتطت صهوات منائر البدائع / ومالت ، وهزت اعطافها على / تلك المراقي وقالت :

ايا ناظرا رقمي / وحسن صنائع
ومستنشقا / عرفي واذكى بدائع

لك الله قادع / للمعلم انه
امام له دانت جميع الصنائع /

وكان الفراغ منها اوائل رمضان / المعظم ، الذي من عام ثمانية وستين ، / وتسعمائة ، عرفنا الله خيره ووقا / نا ضيره بمنه ، والصلاة والسلام / على الذي اضاءت احلاك الشرك / بطلعته ، واستنارت بسائط الدين / برؤيته ، خلاصة الكونين ، وسيد الثقلين / صلى الله عليه وعلى ءاله وصحبه وسلم » .

7 ـ مصحف « الغالب » السعدي

وهو ابو محمد عبد الله الغالب ، بن السلطان محمد الشيخ السعدي ، ملك المغرب من عام 965هـ/ 1557 م ، الى عام 981 هـ (65) / 1574 م ، وقد

(65) انظر عنه ـ مثلا ـ « الاستقصا » ج 5 ص 38 ـ 57 .

كتب هذا المصحف برسم خزانته ، ووقع الفراغ منه في أوائل رمضان عام 975 هـ / 1568 م ، ثم صار الى مكتبة المتحف البريطاني ، حيث ورد وصفه في « ملحق فهرس المخطوطات العربية » بهذا المتحف (66) .

وحسب هذا المصدر فان المصحف الشريف يقع في 400 ص ، مسطرة 17 ، مقياس 10 ونصف/8 بوصة ، والخط الاصلي للمصحف انما يبتدي من الورقة 13 ، عند قوله تعالى : « بعد قامتعه قليلا ثم اضطره » الآية رقم 125 من سورة البقرة ، وقبل هذا توجد 12 ورقة بخط حديث .

والخط الاصلي للمصحف مغربي عريض واضح ومزخرف ، مشكول بالالوان ، حيث جاءت علامة الهمزة نقطة صفراء ، ثم لون بالخضرة نقطة الف الوصل والشدات والسكون .

الآيات مفرقة بدوائر ذهبية ، وهوامش المصحف مغطاة بزخارف ذهبية ايضا في عدة اشكال بالنسبة لكل صفحة ، وبمناسبة التقسيمات المختلفة ، فالثمن والربع ... يوضع في الهامش مزخرفا ، وكذلك أوائل الاحزاب وتجزئات رمضان الى سبعة وعشرين ، هذا الى زخارف اخرى توازي كل خمس آيات وكل عشر آيات ، وأسماء السور مكتوبة بالخط الكوفي بالذهب ، وهناك زخارف اخرى في سائر هوامش السور .

وفي الختام توجد كتابة بخط واضح أبيض على صفحة زرقاء ، وهذا نصها :

« كملت النسخة المباركة — ولواهب العون الحمد بلا غاية ، والشكر بلا نهاية ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما — المنتسخة برسم الخزانة السعيدة : خزانة مولانا السلطان الكبير ، الجليل الشهير ، الاعلى العادل ، الفاضل الكامل ، الاعطف الاراف الاوفى ، الامضى الاكفى .... جمال الاسلام ، علم الاعلام ، فخر ظلال الليالي والايام ، ابي محمد عبد الله ، بن مولانا السلطان الكبير ، المؤيد المعان ، امير المسلمين ، وعاضد الدين ، الخليفة الامام ، مذل الشرك ومعلي الاسلام ، المبارك السعيد ، المقدس المرحوم ، ابي عبد الله محمد الشيخ ، الشريف الحسني ، اعلى الله على كل مقام مقامه ، ونصر الويته الخافقة واعلامه ، وبلغه في الاعداء ءامولة ومرامه ، وجعل النصر العزيز قائده وامامه ، والفتح القريب مكافحا خلفه وامامه ، وذلك في أوائل شهر رمضان المعظم ، سنة خمس وسبعين وتسعمائة » .

8 — مصحف المنصور السعدي

وهو ابو العباس احمد بن السلطان محمد الشيخ السعدي ، ملك المغرب من عام 986 هـ / 1578 م الى عام 1012 هـ (67) / 1603 م ، ولقد كتب هذا المصحف لخزانته ، وكمل بجامع قصر البديع بمراكش يوم الاربعاء 13 ربيع الثاني ، عام 1008 هـ / 1599 م ، ثم صار الى مكتبة الاسكوريال باسبانيا حيث هو معروض في القاعة الكبرى منها ، ويحمل رقم 1340 في قائمة أ . لا . ف بروفنسال ، التي جاء فيها الوصف التالي لهذه الذخيرة (68) :

مكتوب بخط مغربي مبسوط منمق ، ومشكول بالاحمر ، وبالنسبة للشدات والسكون باللون الازرق، عناوين السور مزخرفة جيدة ، ومكتوبة بالخط الكوفي المذهب ، والملون بالزرقة الباهتة ، وهناك زخارف لامعة في اللوحات ذات الارقام : 1 و 2 و 264 و 265 ، وخصصت اللوحة 264 للكلمة الختامية التي كتبت مذهبة على صفحة زرقاء كما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وءاله ، / انتسخ هذا المصحف الكريم، والذكر الحكيم ، المشتمل على كلام الله / تعالى القديم ، الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من

---

(66) ص 43 ، رقم 68 ، حسب ترجمة الاستاذ حسن ابراهيم فرزو ، المحاضر الاول في كلية عبد الله بايرو — جامعة احمد بللو ، في نيجيريا .

(67) انظر عنه — مثلا — « الاستقصا » ج 5 ص 89 — 194 .

(68) ص 34 — 36 .

خلفه تنزيل / من حكيم حميد ،الضارب بسيف الاعجاز في صدر كل ذي لسان جديد ، / المتحدى بعشر قواحد فافحم المعاند العنيد ، المزري في محكم نظمه وانسجام / سلسبيل نسجه بكل عقد نضير ، وبحر في البسيط مديد ، المنزل على / من اوتي جوامع الكلم ، من تكونت لاجله العوالم ولولاه لم يصلي الله عليه / صلاة لا تحد بلسان ولا قلم ، برسم الخزانة العلية ، الكريمة النبوية ، الحسنية الاما / مية ، الاحمدية المنصورية ، وهو المصحف الشريف الذي اخمل زهر الخمائل تفويفا ، / واضحى للخزانة العلية اماما بل تم به مصنفاتها مزية وتشريفا ، كلما رمقته عيونها / اطرقت من هيبته فتكاد تموت في جلدها ، واذا استفتح تالقت انوار فواتحه / تالق الحياة في عقدها ، منمق الكتابة بالمداد المقام من فائق العنبر ، المتعاهد / السقيا بالعبير المحلوك بمياه الورد والزهر / تنويها وتعظيما لكلام الله تعالى المنزه عن / كلام البشر ، ووافق تمامه يوم الاربعاء الثالث عشر من ربيع الثاني ، عام ثمانية بعد الف سنة ، / بجامع الايوان الكريم من قصور الامامة العالية ، خلد الله شريف آثارها ، وانار جهات البسيطة / بساطع انوارها ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى ءاله وسلم تسليما».

به 265 ورقة ، مقياس 270 / 190 .

9 – الربع الاول من القرءان الكريم « صدر العصر العلوي »

استنسخه الكاتب الارفع عبد الواحد بن احمد العمراني الحسني (69) ، ووقع الفراغ عنه آخر جمادى الاولى عام 1090 هـ / 1679 م خ. ع. ج . 737 ، ص 290 ، مسطرة 13 ، مقياس 205/260 ، موضوع في سفر من ورق مقوى مهلهل ، خال من اسم الناسخ .

مكتوب – على الورق – بخط مغربي مبسوط جميل مجدول ، رقم فيه اسم الجلالة بالذهب المصور بالمداد ، وشكله ملون ، فالشدات والسكون باللون ازرق ، والهمزات – قطعية وغيرها – بمداد اصفر ، ونقط الفات الوصل بالخضرة ، بينما لون باقي الشكل بالحمرة التي رسم بها – أيضا – علامات الوقف للهبطي .

فواتح السور بخط كوفي مكتوب بالذهب المصور بالمداد على صفحة زرقاء ، وداخل اطار مستطيل مذهب وملون بالحمرة ، مع تذييله – في الهامش – بترجمة ذهبية مستديرة ، وملونة بالاحمر والازرق او الاخضر ، وقد زينت هوامش المصحف – مرة اخرى – بتراجم للاحزاب مستديرة مزخرفة مكتوب فيها بالكوفي على ارض زرقاء ، بينما كتبت اجزاء الاحزاب بالكوفي ايضا دون زخرفة .

باول هذا الجزء لوحتان غاية في الزخرفة والتذهيب والتلوين ، ثم عند اختتام الكتابة القرآنية، وابتداء من منتصف الصفحة ، توجد ترجمة ذات اطار مذهب ، يحيط بارض زرقاء ، كتب فيها – بالذهب المرسوم بالسواد والحمرة – تاريخ الفراغ من الكتابة بخط شرقي ثلثي هكذا :

« كمل الربع الاول ، والحمد لله / تعالى ، وصلى الله على مو / لانا محمد وءاله وصحبه ، / ءاخر جمادى الاولى ، تسعين وألف » .

وبعد هذا تبرز لوحتان ختاميتان ، في زخرفة فائقة تذهيبا وتلوينا ، وقد كتب في اللوحة الثانية الكلمة الختامية بخط شرقي ثلثي بالذهب المصور بالمداد ، وهذا نصها :

« الجزء الاول من كتاب الله العزيز ، استنسخه / الكاتب الارفع ، الهمام السميذع ، المقتفى / اثر اسلافه الجهابذة الافاضل ، الحائز قصب / السبق في الفواضل ، الذي سمت هامة / همته على الثريا ، الراجي من المولى الكريم / بلوغ الامال في الآخرة والدنيا ، ابو محمد سيدي / عبد الواحد بن احمد العمراني الحسني ، غفر الله / له ولوالديه وللمسلمين ءامين » .

10 – مصحف الامير علي العلوي

كتب برسم الامير العلوي : علي بن محمد بن السلطان ابي الفداء ، بخط مغربي عام 1142 هـ /

---

(69) لم اقف على ترجمته .

1729 – 1730 م ، محلى ومنقوش بالذهب والالوان، وهو معدود من ذخائر دار الكتب المصرية ، حيث يحتفظ بها تحت رقم 25 (70) .

11 – ربعة القندوسي

بخط محمد بن ابي القاسم القندوسي سابق الذكر في عداد الخطاطين المصحفيين ، كتبها برسم السفير المغربي الحاج ادريس بن الوزير محمد بن ادريس العمروي الفاسي (71) ، وفرغ منها يوم الجمعة آخر شوال ، عام 1266 هـ / 1850 م .

تقع في 12 جزءا بنسبة خمسة احزاب في الجزء ، وتبرز اهميتها في الحجم الذي كتب فيه كل واحد من اجزائها ، وفي الفخامة التي رسم بها خطها، حيث كتبت بخط عريض وحروف بارزة مبسوطة ؛ بين كلمتين وأربعة في السطر ، وقد بلغ عرض الخط في أكثر الاجزاء نصف سانتيم ، وذلك ابتداء من الجزء الخامس حتى نهاية القرءان الكريم ، وقد صارت هذه الربعة – بكاملها – الى المكتبة الزيدانية بمكناس ، حيث تحمل رقم 3595 من الفهرس الجديد .

12 – مصحف شريف مطبوع بالمطبعة الحجرية الفاسية

وهو اول مصحف مطبوع بالمغرب ، حيث صدر عن مطبعة الحاج الطيب بن محمد الازرق بفاس ، ووقع الفراغ منه يوم الخميس 4 شعبان ، عام 1296 هـ / 1879 م .

خط مغربي لا باس به ، مبسوط مشكول مجدول ، موقف على طريقة الهبطي ، وخال من اسم الناسخ .

به 251 ص ، مسطرة 19 ، مقياس 180/225، موضوع في سفر مغشى بجلد أحمر مذهب ، من نوع تجليد المطبعة التي أخرجته .

13 – مصحف الحبابي

قام بطبعه الحاج محمد المهدي الحبابي مع محمد الحبابي ، الفاسيان صاحبا المكتبة التجارية بفاس ، وتكرر طبعه – على الحجر ايضا – بالمطبعة التجارية الكبرى بمصر ، حيث تمت الطبعة الاولى في متم شوال ، عام 1347 هـ / 1929 م .

مكتوب – على ورق متين ضارب للصفرة – بخط مغربي جميل ، مبسوط مشكول مجدول ، ومزخرف بالمناسبة بالحمرة او على لون الكتابة ، موقف على مذهب الهبطي ، مع تصحيحه على يد ثلاثة من مشايخ القراءات بالمغرب ، ومراجعته من طرف مراجع المصاحف الشريفة بمشيخة المقارىء المصرية الشيخ علي محمد الضباع .

يشتمل على أربعة ارباع يجمعها سفر واحد :

الربع الاول :	159 ص
الربع الثاني :	174 ص
الربع الثالث :	166 ص
الربع الرابع :	200 ص

مسطرة 15 ، مقياس 240 / 160 .

وقد ذيل بكلمة ختامية تشرح خطه الطبع ، مع تسمية كاتب المصحف الشريف ومصححيه المغاربة، وتاريخ الطبع المذيل بامضاء الناشرين ، وهذه هي الكلمة الختامية :

« الحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعده ، وبعد : فهذه خدمة جرى في أنفسنا أن نقدمها للدين والوطن ، ورأينا ان التحري فيها وحسن الاختيار ، واجب لا مناص منه ولا فرار ، فاخترنا من

---

(70) فهرس دار الكتب المصرية ج 1 ص 2 .

(71) ترجمته في « اتحاف اعلام الناس » ج 2 ص 32 – 41 ، مع « فواصل الجمان » لمحمد غريط ص 142 – 162 ، و « الاغتباط بتراجم اعلام الرباط» لمحمد بوجندار مخطوط خ. ع. د 1287– ج 2 ص 38 – 41 .

بين الخطوط المغربية أحسنها ، ومن بين المصححين أكثرهم حفظا واتقانا ، لكن « راينـــا ان طبعـــه في المطابع المصرية ، وزيادة تصحيحه ومقابلته على يد مشايخها الكبار ، مما يزيد في اتقان العمل الـــذي آلينا على أنفسنا ان نقوم به داخل وطننا المغربـــي وخارجه ، فوكلناه الى مشيخة المقارىء المصريـــة للفحص والتصحيح ، وقد بذلت غايـــة جهدهـــا في القيام بتصحيحه الى اقصى درجة مستطاعة .

اما كاتب هذا المصحف الشريـــف . فهـــو الاستاذ الفاضل ، السيد أحمد بن الحسن زويتـــن ، واما مصححوه من الاساتذة المغاربة فهـــم ثلاثـــة مشهورون بالحفظ والاتقان والتجويـــد ، أولهـــم : الشيخ الكبير ، السيد محمد بن عبد الله ، من كبار علماء القرويين ، وثانيهم : الحافظ المقرىء الشيـــخ الحسن بن محمد الزروالي ، وثالثهـــم : الاستـــاذ الجليل ، أبو الشتاء القشتالي .

وكان طبع هذا المصحف الشريف في عهـــد سلطاننا المنصور بالله ، مولاي محمد بـــن يوســـف اطال الله حياته لخدمة الدين والبـــلاد ، ورزقنـــا التوفيق والنجاح بمنه وكرمه ، انه سميع مجيـــب ، حرر بمصر القاهرة ، في متم شعبان الابرك ، عـــام 1347 ، محمد المهد « كـــذا » الحبابـــي ، محمد الحبابـــي » .

الرباط : محمد المنوني



إقرأ لهؤلاء في العدد الممتاز عن "القدس"

- عبد الله كنون
- عجاج نويهض
- روحي الخطيب
- محمد الفاسي
- ابو بكر القادري
- محمد ابراهيم الكتاني
- د. عبد الهادي التازي
- عبد العزيز بنعبد الله
- الحسن السائح
- محمد الحلوي
- زين العابدين الكتاني
- احمد عبد السلام البقالي
- احمد معنينو
- محمد العربي الشاوش
- عثمان بن خضراء
- محمد قشتيليو
- عبد الرحمن الكتاني
- محمد حمادي العزيز
- د. امنة اللوه
- رضا الله ابراهيم الألغي
- علال البوزيدي
- محمد الرقيوق
- احمد البورقادي

عبد السلام ابن سودة

مؤلف أكبر موسوعة تراجم في العصر العلوي.

للدكتور محمد حجي

تعرفت على الاستاذ عبد السلام ابن سودة بفاس في أوائل الستينات ، وقضيت أوقاتا طويلة في مكتبته الاحمدية بالروض المقابل لبيته ، اطلعت فيها على بعض ذخائر المخطوطات سبق ان عرفت عناوينها في كتابه **دليل مؤرخ المغرب الاقصى** ، ووقفت على عدد من مؤلفاته الاخرى ، لا سيما كتب التراجم الثلاثة التي تكون مجتمعة اكبر موسوعة مغربية في تراجم اعلام العصر العلوي ، وهي :

— **زبدة الاثر**

— واختصاره **اتحاف المطالع**

— **وذيله التابع** الذي كان ما يزال مشتغلا بتحريره .

— * —

لقد اطلع المرحوم عبد السلام بن سودة على معظم ما كتبه المغاربة والاندلسيون من تراجم عبر القرون ، سواء في كتب الطبقات او الفهارس او الاجازات او المناقب او غيرها ، وتأثر بصفة خاصة بعلمين من اعلام المترجمين المغاربة ، هما احمد ابن القاضي المكناسي الفاسي ، ومحمد ابن الطيب القادري الفاسي . ذلك ان احمد ابن القاضي اكمل الكتابين الشهيرين في التراجم : **وفيات الاعيان** لاحمد ابن خلكان ، **وشرف الطالب في أسنى المطالب** لاحمد ابن القنفذ . ذيل ابن القاضي **وفيات الاعيان** بكتابه **درة الحجال في أسماء الرجال** مبتدئا بترجمة ابن خلكان نفسه المتوفى عام 681 ، ومنتهيا بعام 999 ؛ كما ذيل كتاب **شرف الطالب** بكتابه **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد** ،مبتدئابعام700،ومنتهيا كذلك بعام 999 . وهنا نشير الى ان احمد ابن القاضي اعتبر نهاية القرن او المائة سنة بعام 99 . وبداية القرن او المائة التالية بالعام الموفي مائة .

وجاء محمد بن الطيب القادري فذيل كتابي ابن القاضي **درة الحجال ولقط الفرائد** بكتابه المطول **نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني ،** ومختصره **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر ، من اخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر ،** بداهما معا بعام 1001 ، وانتهى الى عام 1170 . وهنا يستلم الزمام فقيدنا العزيز عبد السلام ابن سودة .

نعم الف المغاربة بعد محمد بن الطيب القادري عشرات الكتب في التراجم ، لكنها لم تصطبغ بصبغة الشمولية والاحاطة ، فلم ترق الى درجة كتب ابن القاضي وابن الطيب القادري. ومن اشهرها **الدرر المرصعة ، في اخبار أعيان درعة** لمحمد المكي الناصري الدرعي ، **وطبقات الحضيكي** السوسي ،

وسلوة الانفاس لمحمد بن جعفر الكتانـــي الفاسي ، **وأتحاف اعلام الناس** لعبد الرحمـــان ابن زيـــدان العلوي المكناسي ، **والاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام** لمحمد ابن ابراهيم المراكشي ، **والمعسول** لمحمد المختار السوسي . هذه الكتب وغيرها ـ على اهميتها وطول نفسها ـ بقيت جزئية محلية محدودة، وادخر الله للمرحوم عبد السلام ابن سودة فضـــل ربط سلسلة تراجم أعيان هذه البلاد السعيدة مـــن عصر النبوة الى أيام الناس هذه ، فتهيأ بذلك ليكون ثالث اعلام التراجم البارزين بالمغرب دون منـــازع : احمد ابن القاضي في القـــرن العاشر ، ومحمد بـــن الطيب القادري في القرن الثاني عشر ، وعبد الســـلام ابن سودة في القرن الرابع عشر .

— * —

1) **زبدة الاثر ، مما مضى من الخبر ، في القـــرن الثالث والرابع عشر .**

وهو الكتاب الاساس الذي ذيل به عبد السلام ابن سودة نشر المثاني . يبتدىء من حيـــث وقف القادري ، أي عام 1171 ، وينتهي بعـــام تمام تأليفه وهو 1370 . يتفق كتاب ابن سودة هذا مع كتب ابن القاضي وابن الطيب القادري في المزاوجة بين تراجم الاشخاص ، والاشارة الى اهم الاحداث التاريخية المعاصرة لهـــم ، سياسية كانت او طبيعية او اجتماعية ، ويتفق اكثر مع كتب القادري في ترتيب التراجم على السنين . ويختلف كتاب **زبدة الاثر** عن مؤلفات ابن القاضي والقادري في اقتصاره على تراجم رجال المغرب الاقصى ، في حيـــن يترجـــم الآخران لعدد من أعلام المسلمين غير المغاربة .

2) **اتحاف المطالع بوفيات اعلام القرن الثالـــث عشر والرابـــع .**

وهو اختصار **لزبدة الاثر** ، يبـــن المؤلـــف سبب اختصاره في مقدمة الاتحاف بقولـــه : « فجاء ـ يعني **زبدة الاثر** ـ كتابا كبير الحجم، عظيم العلم ، يسع نحو اربعة أسفار ضخـــام ، يصعب على المستعجل البحث فيه والاستفادة منه ، وهو على منوال **نشر المثاني** ,واسلوبه . . . ولما جمعته وخرجته من مسودته ، ظهر لي ان اختصره في هذه العجالة ، واجعله ذيـــلا على كتاب **التقاط الدرر** على منوالـــه واسلوبـــه ، ورتبته على السنين ـ كأصله ـ ، من اول عام 1171 ، الى عامنا هذا عام سبعين وثلاثمائـــة والـــف » .

لقد احسن المرحوم عبد السلام ابن سودة صنعا بهذا الاختصار ، واصبح بذلك **اتحـــاف المطالع** مجردا مـــن كـــل حشو يشوش على القارىء ، سهل الاستعمال ، قريب المأخـــذ للمتعجل والمتأني على السواء .

واتحاف المطالع ، فضلا عن كونه وحيدا في بابه ، لا يحل غيره محلـــه ، ولا يسد مسده ، يمتاز بمحاسن كثيرة ، نشير الى بعضها :

أ ـ تثبت المؤلف في تحلية المترجمين ، ـ الا عند ما يجمح به القلم في التحامـــل على بعض المنحرفين في نظره ـ وتحريه غالبا فيما يستحقون من ألقاب علمية أو دنيوية ، بحيـــث يتمكن القارىء من أن يعرف دون عنـــاء هويـــة المترجم ، ويدرك ما اذا كان فقيها او اديبا او مشاركا او شيخا متصوفا او حاكما صالحا او فاسدا ، او قائدا حربيا . ويحيل من يريـــد مزيدا من التوسع في بعض التراجم على الاصل **زبـــدة الاثـــر** .

ب ـ حرصه على ذكر تآليف المترجـــم ، ووصف ما وقف عليه منها ، والتنبيه على مـــا عرف من عناوينها ومحتواها أثنـــاء مطالعاتـــه وقراءاته في الكتب المخطوطة بصفة خاصة .

ج ـ امانته في النقل ، اذ يعزو كل شـــيء اقتبسه الى صاحبه ، ويتوقف عندما لا يقف على تاريخ وفاة ، او تحديد مكان ، او تعليـــل حادثة . وكم رايته ـ رحمه الله ـ في السنوات التي قضاها بالخزانة العامة بالرباط ، مبتهجا في بعض الايام اشد الابتهاج ، وبيـــن يديـــه مخطوطة او اضبارة يأبى الا ان يطلعني على ما عثر فيها من كنز أو كنوز ، قد لا تتعدى تاريخ وفاة شخصية ظل يبحث عنه السنين الطوال،

او ذكر اسم كتاب ، او نص رسالة او قصيدة او وثيقة تاريخية او ما الى ذلك .

3) الذيل التابع لاتحاف المطالع .

يزداد التشابه ويشتد التقارب بين معاجم التراجم لكل من ابن القاضي والقادري وابن سودة ، ذلك انهم جميعا انهوا كتبهم في تواريخ محددة ، ومد الله في اعمارهم فاضافوا تراجم اخرى الحقت بكتبهم . فابن القاضي الذي توقف في **درة الحجال ولقط الفرائد** عام 999، كتب تراجم من توفوا في العشرة الاولى من القرن الحادي عشر ، وادمجها هو او ادمجت بعده في الكتابين . ومحمد بن الطيب القادري الذي اتم **نشر المثاني والتقاط الدرر** عام 1170 ، كتب بعد ذلك تراجم اخرى اثبتها في المقصد الثاني من خاتمة **التقاط الدرر** ، استمرت الى عام 1180 .

اما عبد السلام ابن سودة فقد عاش بعد انهائه **اتحاف المطالع** ثلاثين سنة كتب فيها ثلاثة ذيول :

ا ـ يتناول الذيل الاول ـ وهو الذي سماه **الذيل التابع لاتحاف المطالع** فترة ست سنوات : 1371 ـ 1376 هـ / 1951 ـ 1956 م . اطلق فيه لقلمه العنان في تسجيل الدواهي والفواجع التي عرفها المغرب مع نهاية عهد الحماية ، والاحداث المجيدة التي عاشتها البلاد في فجر الاستقلال ، واثبت عددا من النصوص والوثائق ، خوفا على ضياعها ـ كما قال ـ . وبذلك طفت الحوادث على الوفيات ، واربى الذيل على الاصل ، اذ خرج في مجلدين تنيف صفحاتهما على 700 . ثم اختصره في كتيب مفيد سماه : **وفيات الذيل التابع** .

ب ـ ويسجل الذيل الثاني وفيات ووقائع احدى وعشرين سنة : 1377 ـ 1397 هـ .

ج ـ بينما يختص القسم الثالث من الذيل بالسنوات الثلاث الاخيرة : 1398 ـ 1400 هـ ، لان المرحوم ظل يكتب الى ما قبل وفاته ببضعة ايام .

وقد شاء القدر الا تطوى صفحة الفقيد الا بعد ان طوى تراجم القرن الرابع عشر وما قبله كاملة مستوفاة . لكن من ذا يا ترى سيخلف عبد السلام ابن سودة في البحث والتنقيب وتسجيل تراجم اعلام القرن الهجري الخامس عشر ؟ ومن سيوطن نفسه للقيام بهذا الواجب العلمي ـ الوطني ، ايمانا باصالة هذه البلاد وعملا على صلة الخلف بالسلف ؟

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

ان الحفاظ على تراث الفقيد والعمل على نشره حق لاهله وعليهم . واراني اتحمل معهم بخصوص **اتحاف المطالع،وذيله التابع** ، تبعة السهر على تخريجه ونشره ، فقد طلب مني ذلك الفقيد بالحاح، وكلفني به شفويا وكتابيا ، وقال لي رحمه الله بصدده مازحا جادا ـ على عادته ـ : لقد خلعت شاشية التاريخ والبستك اياها ، كما خلع سيدي عبد الرحمان المجذوب شاشية الولاية والبسها للشيخ ابي المحاسن الفاسي . بل اتفقت واياه على خطة نشر سلسلة كاملة للتراجم المغربية ، من فجر الاسلام الى ايامنا هذه . وبدا العمل فعلا بنشر **الف سنة من الوفايات** في ثلاثة كتب : شرف الطالب لابن القنفذ ، **ووفيات احمد الونشريسي ، ولقط الفرائد** لاحمد ابن القاضي وهي تمتد من وفاة الرسول عليه السلام عام 11 الى عام 1000 للهجرة . وتلا ذلك تخريج **نشر المثاني** الكبير لمحمد بن الطيب القادري، فطبعنا الجزء الاول منه ويمتد من 1001 الى عام 1050 . والاجزاء الثلاثة الباقية منه هي الآن قيد الاخراج والطبع ، وتمتد ـ كما راينا ـ الى عام 1170 هـ .

وقد ذكرت في مقدمة الجزء المطبوع من **نشر المثاني** ان الخطوة التالية هي نشر **اتحاف المطالع** للاستاذ عبد السلام ابن سودة ، ثم **الذيل التابع** الذي وصل فيه آنذاك الى عام 1397 ، وبلغ بعد ذلك عام 1400 ، متم القرن الهجري الرابع عشر ، وستكون ترجمته الموسعة ـ بحول الله ـ في كتابه يوم ينشر خاتمة المطاف ومسك الختام .

سلا : محمد حجي

مستقبلية التعليم بالمغرب

للأستاذ الحسن السائح

نحن في عصر لا يعيش فيه الانسان وحده ، وبالاحرى ان تعيش فيه الامة وحدها ، او لوحدها.. بل في عصر يجب ان تترك فيه الفرصة للتأمل والغفوة ، كميدان لعبة كرة القدم يجب ان نحرس المرمى ، ونرد القذفات وندافع عن فريقنا ونهاجم ونراوغ . والا كان الاقصاء عن ساحة التاريخ بدون شفقة او رحمة .

لذلك فهمومنا اليوم في ميدان التعليم اكثر من هموم آبائنا ، لاننا نريد العدة للمستقبل اكثر من الواقع ، ولذلك حرصت ان يكون موضوع المقال عن مستقبلية التربية والتعليم في المغرب . فماذا اريد بالمستقبلية ؟ ان (المستقبلية) ينظر اليها من عدة زوايا ، فقد تعرف المستقبلية من خلال الماضي ، او من خلال المعطيات الموقتة المعاصرة .

واني اؤكد ان نظرتي الى المستقبل هي من خلال المعاصرة والماضي معا ، ولكن بكثير من الايجاز .. والاقتضاب ، ذلك ان طبيعة الثقافة الاسلامية تفرض النظرة الاستقبالية ومنهجية التخطيط للمستقبل .. وبالاخص في ميدان التربية والتعليم ... لانها تسعى الى الاعداد للمستقبل ، في ميدان التربية ، والاعداد في المفهوم الاسلامي ، يجب ان يكون (تطورا) لا (تغييرا) اي سيرا الى الامام لا تغييرا في الخط ... ولذلك فالمشهور عند المربين المسلمين كلمة الامام على (ربوا اولادكم على غير تربيتكم لانهم خلقوا لزمان غير زمانكم) ، وطبيعة التطور تفرض تكوينا مغايرا لغة وسلوكا وعلما ومعرفة ونظرة للحياة .. دون استيلاب او قطع الجذور الحضارية .. واذا فالنظرة الاستقبالية من طبيعة الثقافة المغربية التي من روافدها الاصلية الثقافة الاسلامية وهي ثقافة منفتحة متطورة غنية بالقدرات والمواهب وذلك ما يجعلها ثقافة تطلعية .. لا تاخذ الاشياء على غرة .. بل تستعد للمستقبل .

ومن العجيب ان الثقافة الاوربية دخلت اليوم لهذه المرحلة متاخرة عنا لتعصب الفكر الاوربي للتاريخ والكلاسيكية .. بل ظهر في العلوم اليوم ما يسمى بالاستقبالية والغدية ، والتحسبية . والعالم اليوم يستعد للمفاجآت ولا يركن الى الماضي . ومن ثم فان علم المستقبليات غير النظرة الى الامور كلها ، ومن ثم أيضا فاصحاب الاصالة بمعنى الاغراق في الماضي هو تعبير عن مجتمعات راكدة هاشمية ... مجتمعات في مرحلة الشيخوخة حيث تضعف قوى الجسم لتتسع قوة الخيال ... ان الاصالة تفهم اليوم على انها وعي المرحلة الحاضرة والمستقبلية بدقة ، وهذا لا يعيدها الى المعنى التاريخي الذي يعد امتدادا وليس كماض فقط ، وثقافتنا الاسلامية تربط حاضر الانسان بالاخروية أي استقبالية الجزاء التي تجعل المسلم يجري لاهثا باستمرار لتحقيق المستقبل الافضل ، ومن ثم تطور المجتمع الاسلامي نظرا لما في هذه الفلسفة من وعي للحاضر ، وهذا ما يجعل طموح المجددين المسلمين ان يفرغوا المعنى الاخروي من سلبية العمل الدنيوي تحقيقا للمعادلة الاسلامية .. (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا) .. وتقديرا لارادة الانسان في تغيير حاله باستمرار الى ما هو اسمى لتحقيق السوبرمان بمفهومه الاسلامي . ولسنا هنا بصدد عرض فلسفي

عن الانسان وارادته .. وانما اريد ان أؤكد على جانب مهم من الثقافة المغربية الحريصة على النظرة الاستقبالية .. حتى ان القصص في القرءان لم تعرض (كتاريخ) بقدر ما عرضت (كمعرفة) لوعي المستقبل ، بل أؤكد ان الاسلام يعرف عن التاريخ بمفهوم الزمان ويريد ان يؤكد على الحركة فقط لشحن طاقة الانسان المستقبلية ، غير ان الثقافة الاسلامية ترى ان التخطيط للمستقبل لا يمكن انيطبع بالتفاؤل التام ، بل (لا تقولن لشيء اني فاعله غدا الا ان شاء الله) لان التغيرات او المفاجآت التي ياتي بها الغد تجعل الانسان (قلقا) قلقا تفاؤليا لتنميته.. رجاء الغد المشرق ، وهذا القلق هو المحرك لدينمية التاريخ والمجتمعات . لاستمرار الثورة الهادفة المتطورة لتحقيق الحضارة النموذجية للانسان .

ويستلزم التخطيط معرفة موضوعية بطبيعة فكر الامة ووجدانها .. ذلك لان التخطيط هو محاولة استقبالية .. والاستقبالية لها صلة بالتاريخانية واشكالية الانسان المعرفية والبيئية ... ولذلك فان النظرة الاستقبالية والتخطيط للغدية يعتمدان على عناصر اساسية نجملها في الماهيات الآتية :

1 — ما هي هوية الشخصية المخطط لها ؟
2 — ما هي فلسفة التربية وسياستها ؟
3 — ما هي التجربة التاريخية في هذا الميدان ؟
4 — ما هي التجارب المقارنة ؟

يجب البحث في أعماق الشخصيه المغربية لاستكناه عناصرها ومميزاتها حتى يتاتى ان نخطط للمستقبل من خلال ما نستبينه من معالم شخصيتنا ... ولا يمكن وضوح صوره الشخصية دون ان نجد لها بطلا يشخص معالمها في سلوك نموذجي وقيم متفق عليها . واذا كان لكل ثقافة بطلها الذي يستقطب كل القيم في تعابيره وسلوكه واهدافه فان البطل المغربي تعتمد شخصيته على جذور تاريخية لقيمه وفضائله .. فهو يقف دائما في اخلاق وسطية يحمل السيف والقلم والوردة ، يدافع عن الشرف ليموت مجيدا ويعبر عن عواطفه ببلاغة وروعة ، ويقدم الورود والرياحين احتفاء بالانسان المسالم المتعاطف ... وشخصية البطل المغربي مثقفة ثقافة مغربية ، ثقافة تحتم التاريخ والمعاصرة ، وذات امتداد ، افقي وعمودي ... ومن هنا كانت شخصية قلقة متوثرة.. قلقة لاشفاقها على الماضي ومتوترة لملاحقتها للمعاصرة تبحث دائما عن ذاتها الاستقبالية وتخترق المجهول دون التخلي عن مميزاتها وخصائصها ، كما انها شخصية مؤمنة تؤمن بالروح والغيب ، وتدافع عن الجمال والسمو . والبطل المغربي يعيش لمجتمعه متماسكا معه تماسكا دينيا وعقائديا فهو يذوب في المجتمع ليصبح جزءا منه ، ويحتفظ بشخصيته ، وذاته وبذلك يحقق صورة المغربي الحق .

وهو شجاع لا يقر الهزيمة الجسدية التي تعتبر الفناء والموت ، وانما يقر الانتصار الروحي بالخلود، واستمرار القيم ، وازمة الشخصية المغربية ، او ازمة البطل المغربي هي ازمة فقدان توازن مكوناته الشخصية والاجتماعية .. فطغيان المادية التي طبعت انسان هذا العصر .. جعلته قلقا متوترا ، حائرا .

وباختصار فان الشخصية المغربية واضحة لدينا في سلوك ابطال تاريخنا في مختلف الميادين الوطنية والعسكرية والعلمية والفنية .. وهذه الشخصية هي التي يجب الحفاظ عليها .

وبعد الشخصية المغربية والبطل المحدد لهذه الشخصية ، تعتمد ثقافتنا على خصائص تربوية ذات فهم خاص للتعليم ، ذلك لان التربية هي محاولة لنقل التجربة الوجدانية والفكرية من جيل الى جيل ... ولذلك فهي تفرض جهد المستطاع من تكرار معارف الاجيال وانما تحافظ على الاصول والخصائص الاولية ، وهذا تفسره الآية القرآنية التعليمية (وعلم آدم الاسماء كلها) : فالتعليم هو معرفة الاسماء والمسميات لنقلها من الاسمية الى المعايشة .. ولا شك ان التعليم يعني خلق ملكة المعرفة اللغوية لاستحالة احاطة كل جيل بالمعارف الانسانية ، (اولا) ولان اللغة تحرك خلايا الفكر التي لا تحصى عددا ... ولكن جعل الانسان قابلا لاستيعاب الصالح منها لفائدة استمرار النوع الانساني ... حسب امكانات المعرفة في كل عصر وحسب بيداجوجية التعليم لتنمية المعرفة وتواصلها بين الاجيال والبيئات .

وهكذا فان التعليم لا يعني المعرفة كلها لاستحالة استيعاب كل انسان المعارف كلها وانما يعني التعليم تكوين الملكة وخطة لحيوية الفكر ... حيث تجدد المعرفة نفسها حسب التطور الانساني وعلاقة الانسان بالبيئة والمحيط حتى لا يكرر

(الانسان) نفسه ، لان التربية والتعليم ملاءمة الانسان مع البيئة الزمانية والمكانية لتعطي للعقل والوجدان فرصة الادراك الدقيق ، والرؤية الواضحة والقدرة على السيطرة على الكون والملاءمة معه ... لخدمة الانسان وتطوره متساميا ، وقد تفطن فلاسفة التربية المغاربة كابن خلدون وابن العربي الى ان فساد التعليم في المغرب نشأ عن تغافل الملكة والاهتمام بالنص وشرحه والتعليق عليه والخضوع له ... وبذلك تعطل الفكر المغربي وتأخر التعليم وفسد الذوق ونجح امتداد الاستعمار الغربي ، اذ لا شك أن الشرح في التعليم خضوع لعقلية جيل خاص لا يجوز اطلاقا الخضوع له ، والا تعطل الفكر وتوقفت المعرفة ، وحنطت الثقافة ، وهذا ما وقع فعلا ، ودعوتنا الى مراجعة المواد المقررة لحذف المكرر ، والهدر ، والاحتفاظ بمكونات الملكة ، واصول المعرفة، وخصائص الثقافة ومميزات الشخصية التربوية المغربية ، فالمواد المقررة تحتوي على الثابت والمتحرك ، وتعني بالثابت المعارف المحورية التي تتغير من العصر الى العصر ،، ومن البيئة والاخرى ، (فاللغة) مثلا يجب أن يحتفظ بها ولكن يجب تغيير المدلول وحذف الاسم الذي فقد مسماه ، وخلق المسمى للمولودات التي لم نعطيها بعد حالتها المدنية.

وليس معنى ذلك حذف المواد نفسها ، ولكن معنى ذلك الاحتفاظ بروح المواد وتطويرها ، والتطور العلمي في مختلف شعب المعرفة ... ولا يمكن للملكة ان تنمو الا اذا كانت معتمدة على حرية الفكر وحرية التعبير وحرية الارادة وتجاوزت العقد الفكرية والتاريخية والوجدانية والقيود التي يرزح تحتها تعليمنا منذ قرون ، بل منذ بداية عصر الانحطاط الممهد للاستعمار ، فالاستقلال الفكري يستلزم تربية جديدة قوامها حرية التفكير والانعتاق من ربقة الماضي ومن المعارف الوهمية ، والمرحلية لخلق معارف حقيقية ثابتة شمولية متطورة تكون قاعدة لبناء تربية وتعليم جديدين تزدوج فيهما المعرفة العقلية ، والتربية الروحية .

الم يكن اجدادنا يعلمون فى المدارس المعرفة الاكاديمية والعقلانية ، ويربون الشعب بمختلف طبقاته في جماعات اجتماعية ذات نزعات وجدانية صوفية ، فلم لا نعود من جديد الى تركيز التعليم الاكاديمي في المدارس والمعاهد والكليات وتركيز المعارف الاخلاقية والاجتماعية في الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية الحرة ؟ ! .

لقد اخلص المربون القدماء لهذا الاسلوب التربوي حيث ترى (ابن عاشر) مثلا كمؤلف لكتاب تربوي أولي ، يهتم بالعقائد ، ثم العبادات ، ثم التصوف ، الذي كان يعني التربية الاجتماعية وتنمية الاحسان الانساني في الاخلاق الفردية والاجتماعية .

لنقرأ الفصل الاخير من كتابه لنرى (الاحسان) اساس هذا الجانب التربوي ، وهو يعني العلاقات الانسانية والصفاء والاخلاص ، في المعاملات وتطهير النفس من الكذب والنفاق والرياء الخ ..

وقد اهمل هذا الجانب في تربيتنا رغم محاولتنا تقليد برامج الغرب في تعليم (التربية الوطنية) التي تعني معرفة التنظيم الاداري والسياسي في البلاد دون اي تركيز على الجانب الاخلاقي في تربية النشء. ففقد مجتمعنا بذلك خصائصه الاخلاقية في التزاماته بالصدق والوفاء والاخلاص مع الانغماس في الانحلال الفكري والاخلاقي ... وليست هذه الا دعوة دينية صادقة ، والامر الذي لا شك فيه ان اعرق الامم في المادية الجدلية تحتفظ دائما بخصائص المقومات الاخلاقية حسب اسلوبها التربوي ، ولا نستطيع ان نجد مربيا يدعو الى التفسخ والانحلال والكذب والخيانة والغدر ، ولن نجد كائنا انسانيا اجتماعيا ، يدعو الى التفسخ والعبث ، وحتى المفكرين والكتاب والفلاسفة الفوضويين والوجوديين العبثيين ، لا يروجون للانحراف والانحلال ، وانما يرصدون في انتاجهم هذه المرحلة ويبلورون اسبابها الطبقية ، وتجلية الظاهرة ، دون دعوة الى ذلك .

ومن الغريب ان التعليم العالي في المغرب لا يهتم ولو تاريخيا بدراسة هذا الجانب العميق في تاريخ الفكر المغربي ... مع ان التقدم الحق يستلزم معرفة عقلية الشعب عقليا ووجدانيا ، فدراسة التصوف والطرقية والزوايا يجب ان تاخذ حظها من عناية علماء الاجتماع الذين يجب ان يكون همهم بهذه الدراسات تطوير المجتمع المغربي واستغلال كل خصائصه الانتربولوجية والاجتماعية .

ان التربية (استمرار) على مستوى المعاصرة والماضي والمستقبل والا عرضت النشء للغربة والقطيعة ، تلك العوامل التي تؤدي الى القطيعة الكاملة بين الآباء والابناء ، والاساتذه والطلاب ، فقد جهل الآباء لغة الابناء وجهل الابناء لغة الآباء ، ولم يعد الابناء في حاجة الى وصاية الآباء بقدر ما اصبح الآباء في حاجة الى عناية الابناء .

وفي بلاد الغرب المتطورة ... شعور بالازمة ، وقدرة على التغلب عليها لاسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ، وفي بلادنا النامية تتخذ الازمة شكلا آخر هو التيه والحيرة والانفصام ، فما هو دور المربين في مواجهة هذه القضايا ؟ ؟

لست محللا للموضوع تحليلا سياسيا . وانما هو مسؤولية ربانيين ومربين مثقفين ازاء حضارتنا ومستقبلنا ، لا تشبثا بالماضي الحضاري ، ولكن امعانا في الارتباط بالمستقبل لئلا تقتلع الرياح جذورنا ، وتلقي بنا في متاهة القلق والركود .. والهزيمة والعبودية .

واولا .. يجب ان نعرف ابناءنا ونتجاوز انانيتنا .. وان نعرف عصرنا لنكون منتمين اليه .. وان لا نفصل النضال السياسي التربوي ، فالحركة السياسية للتعبير الصادق المخلص ، ومن حق الجميع ان يهتم بالبناء التربوي من رجال الاقتصاد الى رجال الفكر ، ورجال الاعمال بمفهوم الذين يكدحون بجدية ووفاء ، مع الاعتراف والاقرار باننا لسنا وحدنا الاوصياء المخلصين ، فنحن نخطىء وبصراحة لا نعترف بأخطائنا ،، ونؤكد دائما بانانيتنا على حسن قدرتنا وتجربتنا .

وينشأ ناشىء الابناء منا
على ما كان عوده ابوه

وان المغرب جزء من العالم العربي ، ومن العالم الاسلامي ومن افريقيا ، ومن الدول النامية لذلك فمهما حاولنا ان نخطط لانفسنا فسنكون مخطئين اذا اسقطنا من حسابنا ما يجب ان تعده التربية المعاصرة لابنائنا لحتمية الجوار والمرحلة التاريخية .

وسيظل المغرب رائد افريقيا ... وفي ذلك مصلحته الاقتصادية والسياسية ... لذلك فيجب ان يتوفر تعليمنا على دراسات معمقة لافريقيا ... وصلاتها التاريخية والثقافية بالمغرب ... وصلتنا باوربا وطيدة ايضا فنحن جيرة حوض الابيض المتوسط . وهذا ما يستلزم دراسة معمقة للتطور الغربي وبالاخص بعد عصر ربط افريقيا باوربا ...

واذا كانت اوربا تطور اسلوبها التربوي والعلمي نتيجة دخولها مرحلة التقنية ونتيجة كونها على عتبة عصر ما بعد التصنيع . واذا كانت صلاتنا مع اوربا ستظل **تزداد قوة** ، فان **تعلم اللغات الغربية** كالفرنسية والانجليزية ، يكاد ان يكون امرا ضروريا للتطور العلمي . والتعمق في الدراسات الغربية امرا لا مناص منه والا عرضنا انفسنا للعزلة التربوية ، وهي اخطر من العزلة السياسية ، فمن واجبنا ان نرصد كل مرحلة (تربوية) اوربية لئلا نتخلف دائما عن ملاحقة نتائج تنمو على حسابنا ، فأوربا تتقدم بسرعة مذهلة في انتاج الذي تجاوز الانتاج الطبيعي الى الكيماوي ، واستغلال الطاقات على اختلاف مصادرها فعلينا ان نلاحق الدراسات الغربية بيقظة واستمرارية .

ومن حقنا نحن كمربين ان نطالب بنشاط (البحث التربوي) .. وهو عمل لا يجوز تناسيه في هذه المرحلة التربوية ، والبحث لا يشمل مضمون التربية بقدر ما يشمل المضمون والشكل ، ولذلك (فالمادة) الملقنة يجب ان يعاد النظر فيها بجدية وجراة وواقعية . والملقن يعاد النظر في تكوينه ، والادوات المتنقلة كالكتاب المدرسي ، من مشمولات اعادة النظر لتصاغ صياغة جديدة .

... والعلاقات بين (المعلم والمقرىء والتلميذ) اصبحت تستوجب البحث من جديد في صياغة اخرى للتعليم ، اما الادارة فقد تغيرت وظيفتها التربوية ، فلم تبق ادارة ضبط فقط ولكنها اداة انسجام بين الاستاذ والتلميذ والاسرة ... واصبحت طاقة موجهة لاستثمار التعليم ، والتربية ذاتها لم تعد مرحلية — تربية استمرارية ، والمعرفة نفسها لم تعد موسوعية بل اصبحت تخصصية .. والتعلم لم يعد ثقافة بل اصبح مردودا اقتصاديا .

وتفجر النمو الديموغرافي حيث عرض اسلوبا تعليميا جديدا ، طغى على كل تقديراتنا وحساباتنا ، هذه بعض رؤوس اقلام لمشاكل واشكالات ، كل خطا في تقديرها يؤدي الى ماساة باهضة الثمن .

بمناسبة مرور خمسين سنة على استصدار الظهير البربري في 16 ماي 1930.

الذكرى الخمسينية (اليوبيل الذهبي)

لانتصار الوطنية المغربية في أخطر معاركها النضالية

للأستاذ محمد حمادي العزيز

في البدء، وفي هذا اليوم التاريخي بالذات، لا بد من حمد الله اللطيف الخبير المستعان حمدا واقرا كثيرا على جليل الطاقه، وعظيم افضاله، وواسع نعمه، واساله دوام الالطاف والافضال والنعم انه سميع مجيب.

بحلول يوم 16 مايو 1980 يكون الظهير البربري قد مرت عليه خمسون سنة كاملة.

خمسون سنة، او مدة نصف قرن، تعد بحق سجلا حافلا بالاحداث التاريخية العظيمة في حياة الوطن، تفرض علينا الوقوف على معالمها للتامل، والتنقيب، والتقييم، والتقدير والتخليد، والاكبار، والاعتبار، والاستلهام قصد الافادة من دروسها في الحاضر والمستقبل.

ان صدور الظهير البربري في بداية النصف الثاني من شهر مايو 1930 سجل حادثين متزامنين، متقاطعين ومتناقضين في آن واحد في حياة المغرب السياسية والاجتماعية أثناء الحماية.

— الحادث الاول : الفعل الاستعماري.

— الحادث الثاني : رد الفعل المغربي.

فبالنسبة للحادث الاول، يعتبر استصدار الظهير البربري اعتداء استعماريا خطيرا وصارخا على المقومات الكيانية الاصلية للمغرب، وعلى وحدته السكانية (البشرية) وعلى وحدته الترابية لانه كان يستهدف انتهاج سياسة بربرية تمزق شمل المواطنين شر تمزيق باحداث تفرقة عنصرية مقيتة تمكن سلطات الحماية في ظل مبدأ «فرق تسد» من تحقيق اغراضها السياسية الاستعمارية البعيدة المدى والرامية الى ادماج المغرب في فرنسا، وفرنسة مواطنيه وتجنسهم، والعمل على تنصيرهم، وزعزعتهم عن دينهم الحنيف، وصراطهم المستقيم، لينقلبوا بعد اسلامهم مرتدين كفارا، ملحدين ولا دينيين.

وكان تقسيم المغرب الى عدة مناطق للنفوذ الاستعماري دعيت باسماء اصطلاحية سياسية متنوعة لم يعد كافيا في نظر سلطات الحماية الفرنسية للسيطرة عليه السيطرة التامة المبتغاة فعمدت الى السياسة البربرية لاضافة تقسيم آخر بشري واجتماعي وترابي وعقيدي وفكري يمكنها من تحقيق ما تريد بلوغه من اهداف.

ولعلها كانت تترقب من وقت طويل الفرصة المواتية لقضاء مآربها هذا باستصدارها التشريع اللازم في غفلة من يقظة المواطنين ووعيهم، او في حالة تاثرهم النفسي الاليم العميق بصدمة المغلوب الواقع في قبضة الغالب، وخاصة بعد فشل المقاومات التحريرية التي نشبت في الجبال والبوادي والصحراء

المغربية بين الوطنيين المجاهدين وبين الاحتلال الاستعماري ، ولم تواتها هذه الفرصة المنتظرة الا في سنة 1930 .

اما بالنسبة للحادث الثاني ، فانه يمثل رد الفعل المغربي الذي تصدى لمقاومة الفعل الاستعماري فور بدئه تصديا شجاعا جريئا ، واخذ يندد به تنديدا بطوليا مبرزا مراميه وابعاده واخطاره ، ويدينه في كل مناسبة وحين .

وقد بدا رد الفعل المغربي بالمبادرات الوطنية التي شهدتها مساجد وجوامع مدن سلا والرباط وفاس والمتمثلة في ذكر اسم الله اللطيف والاستماع الى الخطباء وهم يقومون بتوعية المواطنين بها بحقائق الاخطار الجسيمة التي تهددهم وتتوعدهم وتترصدهم من جراء تنفيذ السياسة البربرية طبقا للظهير البربري .

وكان رد الفعل هذا يحق نقطة البروز والتدفق للحركة الوطنية المغربية التي انبثقت ظاهرة من الخفاء الى عالم الواقع لتباشر بصورة مباشرة وعلنية مهام مقاومة الاعتداءات الاستعمارية كيفما كان نوعها، وتعمل على توعية المواطنين ليصبحوا واعين بحقيقة الوعي الوطني الجديد .

كان الظهير البربري بمثابة « القبر » الذي حفرته سلطات الحماية الفرنسية لتدفن فيه «مغربية» المغاربة ليتسنى لها امتلاك المغرب امتلاكا تاما !

ولكن رد الفعل المغربي حال دون تحقيق هذا الغرض الاستعماري ، فباء بالفشل الذريع بفضل حركة ذكر اسم الله اللطيف في المساجد والجوامع بسلا والرباط وفاس ، وبفضل الاحتجاجات والمظاهرات ، وبفضل تضحية المواطنين الوطنيين الذين عذبوا ، وسجنوا ، واستشهدوا وجرحوا .

لم يكن الحادثان ، اذن ، مجرد حادثين عابرين وانما كانا حادثين مهمين وخطيرين وحاسمين .

وكلل حادث رد الفعل المغربي بالفوز والنصر .

ونظرا لاهمية الحادثين المذكورين فان حلول ذكراهما الخمسينية تتطلب الاهتمام بتخليدهما بانجاز مقصدين وطنيين هما :

— التذكير بالفعل الاستعماري المقصود من استصدار الظهير البربري ، وباخطار ابعاد السياسة البربرية ، ومراميه الاستعمارية والادماجية والاستيطانية لتنوير جميع الاجيال المغربية بحقيقة الاستعمار ، وحقيقة الاحتلال الاجنبي ، ومدى الاخطار والاضرار التي تترتب عليهما في الحياة السياسية والاجتماعية والوجدانية بالبلاد ، ولتاكيد الوحدة الوطنية القائمة على اساس الاخوة بين جميع المواطنين ، والمتدعمة على الامتزاج والالتحام .

— التذكير برد الفعل المغربي ، والمقاومة المغربية للظهير البربري والسياسة البربرية وتمجيد شجاعة المواطنين المشاركين فيها كلهم دون أي استثناء، المعروفين منهم وغير المعروفين ، والرحم على من انتقل منهم الى الرفيق الاعلى ليجاور رسول الله الحبيب الشفيع في عليين وتخليد الحركة الوطنية المجيدة التي تفجرت من مكامن خفائها لتباشر مهام التوعية الوطنية علنا على مرأى ومسمع من سلطات الحماية بعد ان تجلت بشائر ارهاصاتها منذ بداية العشرينات .

ان الوطنية المغربية موجودة دائما في ارواح المواطنين المغاربة وعقولهم وقلوبهم ، وتجلت واقعيا في المقاومة التحريرية المسلحة للاحتلال الاستعماري في الجبال والبوادي والصحراء المغربية .

والمواطن المغربي ، المؤمن المسلم ، الذي يعرف جيدا مقصد قول رسول الله (ص) : « حب الاوطان من الايمان » مواطن وطني بعقيدته ، وبفطرته، وباقتناعه ، ولا بد أن يكون وطنيا والا لما تمكن من الارتقاء الى مصاف المجاهدين الابرار الذين رووا بعرقهم ودمائهم التراب الوطني في كل العهود التاريخية .

هذه الوطنية التي كانت قبل الثلاثينات جهادا دينيا ووطنيا تجلت في اوائلها في صورة نضال وطني سياسي جديد يلائم العصر ، ومتطلبات ظروفه، وملابسات احداثه .

ومهما كانت الصورة الجديدة المتخذة فان النضال الوطني بالنسبة للمواطن المغربي المؤمن المسلم ، يندرج في اطار الجهاد الاكبر الذي يباشر

واجباته ومهامه مباشرة يومية ابتداء من عقده الثاني حين وفاتـــه .

فالجهاد الاكبر هو الذي يمد الجهاد الاصغـــر بمتطلبات التصدي والصمود والتحدي والمثابـــرة والصبر للانتصار على الظالمين المعتدين ، ودحرهم والحيلولة دون الوقوع في المكاره وهو الذي يزود النضال الوطني بما يحتاج اليه من مقومات وامدادات معنوية وفكرية ومادية ضرورية لتدعيم الصمـــود والاصرار والاستمرار .

هذه هي وضعية المواطن المغربي ، الوطنـــي المناضل ، في جهاده ، وفي نضالـــه السياسي في حقيقتها الجوهرية ، ذلك لان الدوافع التي تدفعـــه للتجرؤ على اقتحام الاخطار وتجشم ركوب الاهوال كيفما كانت شدتها وقوتها لا يمكن ان تكون دوافـــع ظاهرية تنظيميه فقط ، وانما لا بد أن تكون لها من اسباب العمق الروحي والمعنوي والعقيدي ما يمده بالقوة المعنوية التي يتفوق بفضل الايمان بها على كل قوة مادية كيفما كانت قدراتها وطاقاتها .

في ظل الحقيقة فقط نستطيع ان نفهم كيـــف انتصر الوطنيون المغاربة على سلطـــات الحمايـــة ونجحوا في افشال السياسة البربرية واحباطهـــا ، وهي السياسة التي كانت تعتمـــد على الجيـــوش الجرارة في البحر والبر والجو والتي حشدت لتخيف وترهب وترعب بسلاح روحي معنوي هو ذكـــر اسم الله اللطيف في المساجد والجوامع داعين العلـــي الاقوى قائلين في تضرع وخشوع وابتهال : « اللهم يا لطيف نسالك اللطف فيما جرت به المقادير ، ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر » .

وطبعا كان لزاما على الوطنيين ، لكي يتمكنوا من مواجهة سياسة « فرق تسد » ان ياخذوا مقولـــة : « وع ، واجمع ، ووحد ، لتناضل وتقاوم » ، اخذا مبدئيا ، ويطبقوها تطبيقا حازما ، ذلك لان التوعيـــة والتوحيد يكونان القوة الحقيقية التي تقف في وجه التفريق ، وفي الوقت الذي ينهار فيه اللاواعـــون بسرعة ويتفرقون اشتاتا يصمد الواعون ، ويثبتون ، وينتصـــرون .

وقد نجحت التوعية وآتت اكلها في حينها وبعد حينها في الاحداث والمواقف التي كانت .

— 2 —

مرت على المغرب في عدة عهود تاريخية شعوب كثيرة مرورا مدنيا ، ومرورا عسكريا ، فوط ، سلت، رومان ، وندال ... الخ . وبالرغم مـــن المحاولات الرامية الى ادماج الشعب المغربـــي ذي الارومـــة الامازيغية العربية التي تنتهي الى مازيغ اخي يعرب، فيها فان ايا منها لم يتوصل الى بلوغ ما هدف اليـــه من مروره على أرض المغرب او احتلاله .

لكن العرب المسلمين الوافدين اليه اعتبارا من القرن الاول للهجرة المحمدية حاملين معهم الديـــن الاسلامي الحنيف ، وكتاب الله القرءان الكريـــم ، واللغة العربية الفصحى هم الذين استطاعوا وبسهولة تلفت الانظار وتثير الاندهاش والتعجب ، ان يتمازجوا مع المغاربة ، ويلتحموا بهم ، وينصهروا واياهم انصهارا تاما اعطى للمغرب منذ القرن الهجري الاول الشعب المغربي الحالي الذي يحمل في عروقه دماء عربيـــة امازيغية ، او امازيغية عربية ، متاصلة زكاها الاسلام، وطهرها ورعاها القرءان .

امام هذه الحقيقة الكبرى في وقائع التاريـــخ المغربي لا بد للدارس الاريب ان يقف وقفة تامـــل وفحص ليطرح سؤاله التالي :

— لماذا انسجم السكان الاصليون للمغرب مع العرب ، وامتزجوا بهم ، وانصهروا معهم ولـــم يحصل لهم ذلك مع الشعوب السابقة التـــي مـــرت عليهم في العهود السالفة للاسلام ؟

السؤال المطروح سؤال وجيه وهو موضـــوع بحث تاريخي طريف يحتاج الى جهود واعتناء زائد .

لكن يمكن اختصاره كما يلي :

— لانهم عرب مثلهم ينتمون الى أصل عربي واحـــد .

والفرق الوحيد بينهما هو : ان ابـــناء مازيـــغ هاجروا الى المغرب قبل الاسلام ، وابناء يعـــرب هاجروا اليه بعد ظهور الاسلام .

نعم ، الامازيغيون ، ابناء مازيغ هـــم عـــرب هاجروا الى المغرب قبل الاسلام من شبه الجزيرة

العربية ، وبالاخص من صنوفها حاملين معهم اللهجات والعادات ، والتقاليد والطقوس العربية القديمة ، وتعود اصولهم الى العرب العاربة والعرب المستعربة، وسلكوا في هجرتهم الى المغرب طريقين :

الطريق الاول : من اليمن ، وعبر مضيق باب المندب ، الى الصومال والسودان ومنه الى التبستر في التشاد ، والى النيجر والهقار وانتشروا في ليبيا (سبهة وغريان) وفي الجنوب التونسي وفي الجزائر ، ثم اخيرا وصلوا المغرب حيث استقروا .

الطريق الثاني : هو الطريق البري الذي يمر بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الاحمر سلكوه متجهين شمالا الى بلاد الشام حتى اذا ما وصلوا الى العقبة استداروا غربا الى شبه جزيرة سيناء وعبروا برزخ السويس ومروا بمصر الى ليبيا فتونس والجزائر ليصلوا الى المغرب .

هذه حقيقة تاريخية ثابتة لا يشك ، او يشك فيها الا ذو غرض .

ومن اراد ان يتأكد منها فعليه ان يقوم بدراسة الجهات الامازيغية في المغرب ومقارنتها باللهجات الامازيغية نظيرتها على طول الطريق الاول الصحراوي الى بلاد اليمن ، وعبر الطريق الذي مرت عليه افواج العرب المهاجرين من جنوب بلاد العرب قبل الاسلام عبر مضيق باب المندب والبحر الاحمر ، وعلى طول الطريق الساحلي للبحر الابيض المتوسط من المغرب الى مصر وسيناء وعبر الطريق الساحلي المحاذي للبحر الاحمر الى اليمن .

ان هذه الدراسة تتضمن لجونا ميدانية في مجالات متعدد : اللهجات ، والعادات والتقاليد والطقوس القديمة ، والاثار ، تدون كتابة وتسجيلا على الاشرطة وتدعم بالوثائق المصورة والمكتوبة وبالمصادر التاريخية .

اما في جنوب البلاد العربية ، وفي اليمن بصفة خاصة حيث سادت الحضارات القديمة (1) قبل الاسلام فينبغي القيام بدراسة عميقة وشاملة للغات واللهجات والتقاليد والعادات والطقوس مدعمة بالوثائق والمصادر التاريخية المهمة .

بعد هذه الدراسات والبحوث تاتي مرحلة المقارنة والفحص ، والتحقيق التي تهدف الى تاكيد عروبة الامازيغ .

ولا ريب فان هذه الدراسات والبحوث تتطلب جهودا كبيرة ، وتعاونا وثيقا بين البلدان المعنية ، وتحتاج الى وقت طويل ، وتفرغ ، وتمويل .

ومهما كانت الصعوبات التي يمكن ان يواجهها من يريد ان يقوم بها ليتاكد من عروبة الامازيغ بواسطة دراسة اللهجات التي يتكلمون بها في بلدانهم بالمغرب ومقارنتها باللهجات القديمة وما بقي منها في جنوب بلاد العرب ، فانها ليست مثل الصعوبات التي واجهت العالم البحار النرويجي تورها يردال في رحلاته العلمية البحرية في المحيط الهادي على متن الرمث « تون كيتي » وفي المحيط الاطلسي على متن القارب رع وفي المحيط الهندي على متن « دجلة » .

وكيفما كان الامر فان هذه البحوث ستضيف معارف جديدة تثرى ، ما هو معروف ، وستصل بالاضافة الى تأكيد عروبة الامازيغ الى تاثير اللغات واللهجات العربية القديمة نهى اللغات في اللهجات الاوربية والافريقية بالاضافة الى معرفة الكثير عن العادات والتقاليد والطقوس القديمة .

لقد كان المغاربة يعرفون انهم شعب مكون من امتزاج ملتحم بين الامازيغ (السكان الاصليين) والعرب معرفة بحقيقة مؤكدة جدا اعتبارا من القرن الاول للهجرة .

لكن لماذا حرصت سلطات الحماية على استصدار الظهير البربري ؟

— اليتذكر المغاربة هذه الحقيقة ؟

ان كان الامر يتعلق بمعرفتها فهم يعرفونها جيدا ، ولا داعي للتذكير بها .

(1) الحضارات : القتبانية ، السبئية ، المعينية .

ــــ ام لانها اكتشاف جديد في ميدان المعرفة يحصله المغاربة ؟

ــــ ام حبا في الامازيغ وهياما في سواد عيونهم ؟

ــــ ام لحاجات اخرى « نفس يعقوب » ؟

ومهما كان الامر فان التذكير بهذه الحقيقة ، ان كان فيها جديد ، يمكن ان يجرى بواسطة المحاضرات والدروس التاريخية التي تلقى في مؤسسات الوزارة المختصة وحتى في مؤسسات الوزارة الاخرى كالانباء مثلا ، وهذا لا يحتاج الى استصدار ظهير بربري .

اذن ، وبعد تقليب الراى في جميع جوانب الموضوع يتضح ان المقصود من الظهير البربري لم يكن التذكير العلمي ، ولا احاطة المغاربة علما باكتشاف علمي جديد ، ولا حبا في الامازيغ وهياما بعيونهم ، وانما كان توخيا لبلوغ حاجات اخرى كامنة في نفس يعقوب : وهي حاجات املتها السياسة الاستعمارية الرامية الى السيطرة على المغرب سيطرة تامة ، وادماجه مع فرنسا ادماجا تملكيا كاملا عجزت عنه روما في عهود عظمتها ، وطبقا لمقتضيات المبدا الاستعماري « فرق تسد » تم استصدار الظهير البربري لانتهاج السياسة البربرية انتهاجا قانونيا علنيا .

انها الاستراتيجية العليا التي تستقصى المتأصلات التجمعات كيفما كانت واينما كانت استقصاء ذكيا لتتعرف على مكامن الضعف فيها للاستفادة منها في تسديد ضربات قوية اليها قصد النفاذ منها الى مآربها هي التي استقصت « التمفصل » السكاني في المغرب وقررت ضربه بالسياسة البربرية لتحقيق الاغراض الاستعمارية .

وتلكم حقيقة يعرفها العارفون ، ولا تخفى حتى على الغافلين والساذجين والعوام والجاهلين اللهم الا من في قلبه مرض .

فما هي اهداف السياسة البربرية ؟

استهدفت سلطات الحماية من استصدارها للظهير البربري تامين بلوغ ثلاثة اهداف :

ــــ الهدف الاول : عسكري .

ــــ الهدف الثاني : سياسي

ــــ الهدف الثالث : اجتماعي وحضاري .

ويتوخى الهدف الاول ، العسكري ، عزل سكان الاطلس المتوسط بصفة خاصة عن بقية المغاربة وعن التراب الوطني لتامين ما يمكن ان يسمى « بحزام أمني عسكري » تمهيدا لاسكات اصوات رصاص المجاهدين ، والقضاء على مقاومتهم التحريرية التي ابتدات منذ فرض الحماية على المغرب .

ويرمي الهدف الثاني ، السياسي ، الى تمزيق شمل المغاربة شر تمزيق واخطره باحداث تفرقة عنصرية تذكي نعرتها السياسة البربرية التي ترتكز، فيما ترتكز عليه ، على تعليم اللهجة البربرية ، وكتابتها بالحروف اللاتينية ، وعدم تعليم القرءان الكريم ، والدين الاسلامي في المدارس البربرية ، وهذا لعمري هو التنصير بعينه !

اما الهدف الثالث ، الاجتماع الحضاري فانه يتوخى فصل الحياة الاجتماعية للبربر وعزلها عزلا تاما عن الحياة الاجتماعية السائدة في المجتمع المغربي وذلك باحياء التقاليد والاعراف البربرية .

والاهداف الثلاثة تتكامل تكاملا منسقا يكون في مجموعة السياسة البربرية ، يدعم كل هدف منها الهدفين الاخرين ، ويزيد في فاعليتهما ونشاطهما ، فالتطويق العسكري للاطلس المتوخى من الهدف الاول يمهد له التطويق السياسي الذي يستهدفه الهدف الثاني ، ويدعمهما معا التطويق الاجتماعي والحضاري (التشريعي والفكري والاقتصادي والسلوكي) الذي يستهدفه الهدف الثالث .

وان الاهداف الثلاثة تكون خطرا عظيما على وحدة المغرب الترابية والسكانية بتطبيق السياسة البربرية كما ارادتها سلطات الحماية وخططت لها .

ولكن ماذا يهم سلطات الحماية اذا ما تكون « كيان انفاصلي » داخل أرض الوطن الواحد الموحد والذي التزمت اتفاقية الحماية بصيان وحدته « ما دامت مصالحها الاستعمارية الكبرى يجب ان تمر هي

الاولى وتحظى بالاسبقية ؟ وما دامت غايتها تبـرر الوسيلـة ؟ » .

ولم تكن الوحدة الترابية والسكانية المغربيـة وحدها التي يتهددها السياسة البربرية وانما مصير حضارة مغربية اسلامية عربية ازدهرت في ربوعهـا منذ 13 قرنا ، واشعت بانوارها على أوروبا .

* * *

— 3 —

قبل الحماية لم تكن في المغرب سياسة بربرية، والمغاربة يعرفون هذا ، والتاريخ يعرفه ، وسكـان الكرة الارضية يعرفونه كلهم معرفة جيدة ايضا .

وقبل الحماية ، ومنذ 13 قرنا خلت ، لم يكن هناك اى داع لاصدار قانون باحترام التقاليد البربرية.

فما ذا حدث بالمغرب حتى تاتي سلطات الحماية وتستصدر في 11 سبتمبر 1913 الظهيـر الاول ، المهدد للسياسة البربرية ، القاضي باحترام التقاليد البربرية ، ولما يمض على اتفاقية الحمايـة الا 17 شهرا و 14 يوما فقط بالعد والحساب .

ان الذي حدث بالمغرب هـو ان « الحمايـة فرضت عليه فرضا لم يكن له فيه اى اختيـار وان سلطات الحماية ارتات احترام التقاليـد البربريـة فاستصدرت لذلك نصا تشريعيا ! » .

وطبعا ، ان القوات الاستعمارية التي استطاعت فرض الحماية يسهل عليها فرض احترام التقاليـد البربريـة .

اجل وكيف لا ما دامت قد استطاعت بفضـل الصناعة الحديثة التغلب على المغـرب الفلاحـي التقليـدي .

وهنا سر محنة المغرب والمغاربة .

ان البلدان الاوروبية ، وفرنسا ضمنها جعلت منها الثورة الصناعية التي ابتدات في النصف الثاني من القرن الثامن عشر قوة صناعيـة وسياسيـة وعسكرية وبحرية ذات نفوذ كبير فى العالم ترايـد اعتبارا من النصف الثاني للقرن التاسع عشر حيث شرعت تتنافس في الحصول على المستعمـرات في افريقيا وآسيا التي كانـت بلدانها زراعيـة ذات حضارات فلاحية وتقليدية لانها تتصل بأسباب الثورة الصناعيـة .

وفي صراع حضاري تواجه فيه حضارة فلاحية تقليدية حضارة حديثة يتم النصر بحكـم مفهـوم المقولة المعقولة : « البقاء للاقوى » للحضارة الاقوى التي طورت دواليب مدنيتها تطويرا جديدا يلائم روح العصر ، واصبحت بفضل اخذها بتعاليـم الثـورة الصناعية حضارة صناعية تنتج منتوجات وخبـرة وتحتاج الى اسواق استهلاكية ومواد خام كثيرة .. الامر الذي يستوجب البحـث عن المستعمـرات والحصول عليها باية كيفية ووسيلة كانت .

وعند ما تنهار حضارة فلاحية تقليدية امـام حضارة صناعية حديثة فان الفكر الحضاري الفلاحي التقليدي هو الذي ينهار ويغلب على امره لانه ضعف أمام الفكر الحضاري الصناعي الحديث وعجز ووهن.

اما القيم العليا الاخرى الاساسية الضروريـة لقيام الحضارات كالدين والروحيات والمعنويات فان توفرها او عدم توفرها بعد ذلك سيان !

واذا ما انهارت حضارة ما بسبب تخلفها وضعفها وعدم قدرتها على الصمود امام حضارة أقوى منهـا فانها ستنال من الويلات ما يسوءها كثيرا .. وكثيرا جـدا .

هذا منطق الحياة الحضارية منذ بدا التاريخ ، ومنذ بدات الحضارة طبقا للمقولـة الشهيـرة : « الويـل للمغلـوب » .

وما دامت قضية الانتصار في الصراعات قضية حضارية فان العقل الذي يوجد في حالة حضاريـة فلاحية تقليدية يصبح مطالبا بأن ياخذ بالفكر الحضاري الصناعي الحديث ، ويحيـط بأنماطـه وأساليبـه ومناهجه ، ويمارسها ويباشرها ، ويلم الالمام الواجب بأسرارها ، ويطبقها تطبيقا عمليا واقعيا في الحيـاة المجتمعية للانتقال من الحضارة الفلاحية التقليديـة الى الحضارة الصناعية الحديثـة ذات الابداعـات

التقنولوجية العديدة الابعاد ، المتنوعة والمتجـددة باستمـــــرار .

وفي حضارة عريقة تعيش عصرها ، وتفهـم روحه ، لا بد من سريان توازن حضاري بين القيـم الاساسية الحضارية الفلاحية التقليدية وبين القيـم الاساسية للحضارة الصناعية الحديثة وبين القيـم العليا الاصلية (الجوهرية الروحيـة والمعنويـة) الضرورية لتاطيرها العقيدي والفكري .

وطبقا للتفاوت في المفاهيم الحضاريـة بين البلدان ذات الحضارات الفلاحية التقليديـة وبين البلدان ذات الحضارات الصناعية فان المنهارين في الصراع الحضاري ، المغلوبين على امرهـم ، وهـم بالطبع ينتمون الى الحضارة الفلاحية التقليديـة ، يعاملون معاملة المتخلفين البدائيين الذين ما يزالون في حاجة الى التمدين والتحضير ، وترتب على هذه المعاملة وجود حالات استعمارية عرفت باسماء كثيرة: الانتداب ، الوصاية ، الحماية ، المستعمرات ، أماكن النفوذ ، امكان السيادة ... وغيرها ، وكلهـا في حقيقة امرها ، اسماء لمسمى واحد ومفهوم واحد هو الاستعمار المفروض بالقوة العسكرية ، وبالاحتـلال والغزو عمدا وعنوة من طرف البلدان ذات الحضارات الصناعية الحديثة على البلـدان ذات الحضـارات الفلاحية التقليدية التي لا تملك أسباب الدفاع الجيد الحديث عن نفسها فانهارت وانهزمت .

فبمنطق الانتماء الى حضارة صناعية حديثـة متفوقة ، والى عقلها الممتاز تنظر سلطات الحماية الى المغاربة الذين تراهم بسطاء ، سذجا ، متخلفيـن جاهلين لا يستطيعون ان يفهموا نوايا وخفايا السياسة الاستعمارية المصوغة في تعابير منمقة براقة ..

وطبعا ليس بغريب ان ينظر العقـل العلمـي الصناعي الحديث الذي يفهم جيـدا المعـادلات الجبرية ، والتراكيب الكيماوية الدقيقة وغيرها من العلوم ذات الرموز والشفرات التي تتطلب من الفكر ان يكون ذكيا الى العقل المغربـي ذي الحضـارة الفلاحية التقليدية نظرة ازدراء واحتقار وصغار .

والعجيب الغريب ان العرب والمسلمين هـم الذين اخترعوا الجبر ، وهم الذين كان لهم في الكيمياء باع طويل ، فهم الذين اخترعوا الاميق وغير الاميق ، وهم الذين كان منهم اول طيار في العالم عندما كانت أوروبا ما تزال في عهود الظلام ، وهم .... الخ .

والعجيب الغريب ان اوربـا من اليونـان الى الرومان بلدانها المعروفة بعدهما ، تعلمـت علـوم العرب ، وحكمة العرب ، وفلسفة العرب في العهود السابقة لميلاد السيد المسيح وتعلمتهـا ايضا في العهود المسيحية ايضا ابان ازدهار الحضارة الاسلامية العربيـة العريقـة .

فمن التلميذ ومن المعلم ؟

ومن يجهل ، او يريد ان يتجاهل ، هذه الحقيقة فليقرا التاريخ بنباه بصدقها .

فوا عجبا للمعلم كيف انهار امام التلميذ .

حقا انها « بضاعتنا ردت الينا » ولكن بعقل غير عقلنا ، وبيد غير يدنا ، وبتكاليف باهضة تثقل كاهلنا .. وعلى كل حال انها دورة الحضارة وعودتها .

في هذه اللمحة الخاطفة الوجيزة جدا عن صراع الحضارات تتجلى لنا بوضوح وضعيـة الحضـارة العربية (حضارات الشرق العربـي او الشـرق الاوسط ، قبل الميلاد) والحضارة الاسلامية العربية بالنسبة للحضارة الصناعية ، التقنولوجية الحديثة ، انها وضعية الحضارة الام ، الحضارة الاصل ، فكيف تصاب ، اذن ، بمركب النقص ، وتقف عن متابعـة الابداع الحضاري ؟

كنا السـابقين الاوائل الى حيـاض الحضارة فاصبحنا من اللاحقين المتخلفين .

ولعل السبب الاول لوقوع المغـرب تحـت « الحماية » هو عدم الاهتمام بالثـورة الصناعيـة وانعزاله وعدم مجاراة الدول الاوروبية في مجالاتها.

بل هو السبب الاول بدون « لعل » لان المغرب لو كان قد اخذ باسبابها لكان اقوى مما كان ، ولكان بامكانه الصمود والاستمرار حرا مستقلا .

فرضت الحمايـة على المغـرب ، واخـذت « الويلات » تنزل على المغاربة كالصاعقـة ، وكان اخطرها جميعا « ويل » السياسة البربرية .

فبعد ظهير 11 سبتمبر 1913 صدر ظهير 16 مايو 1930 .

وبين ظهير سنة 1913 وظهير سنة 1930 مدة 16 سنة و 7 اشهر و 18 يوما .

وهنا يتبادر الى الذهن السؤال التالي :

— ما دامت سلطات الحماية كانت قد نزعت كل في سياستها البربرية في سنة 1931 فلماذا صبرت كل هذه المدة حتى تستصدر الظهير الثاني المشهور بالظهير البربري والذي ارادته ان يكون حاسما ؟

والجواب عليه يمكن ايجازه تخمينا كما ياتي :

بسبب نشوب الحركة العالمية الاولى .

بسبب نشوب الحرب التحريرية في الريف .

بسبب نشوب الحرب التحريرية في الجنوب بقيادة الشيخ الهيبة بن ماء العينين .

بسبب نشوب حركات تحريرية في تافيلالت وفي الاطلس الكبير .

عدم مساعدة الظروف السائدة انذاك على استصداره .

اما الجواب الحقيقي فعلمه عند سلطات الحماية ، ولعل البحوث المقبلة تكشفه .

ولا شك ان القاري الاريب يلاحظ ملاحظة موضوعية مضمونها :

— ما دامت سلطات الحماية قد استصدرت الظهير الاول بتاريخ 11 / 7 /1914 اي مباشرة بعد فرضها الحماية على المغرب بفارق زمني قصير ، سنتان و 5 اشهر و 12 يوما ، فلا بد انها تكون قد اعدت اعدادا مسبقا مخططها للسياسة البربرية الذي جاءت به جاهزا لتطبيقه في المغرب .

وما دامت هذه الملاحظة الموضوعية مهمة جدا، وتتطلب بالحاح جوابها فهل هناك مؤشرات مسبقة قبل فرض الحماية تؤيدها تكون بمثابة الجواب الايجابي عليها .

فعلا ، هناك مؤشرات تقود الى القرن التاسع عشر ، وبالضبط الى الربع الاخير منه .

* * *

— 4 —

احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830 .

ومنذهذا التاريخ وقعت احداث عظيمة . مقاومة الامير عبد القادر الجزائري ، معركة ايلي 1844 ، اتفاقية ثانية 1845 وغيرها .

ومنذ اختفاء الامير عبد القادر الجزائري من ميدان المقاومة بعد جهاد بطولي دام 15 سنة استتب الامر لفرنسا بالجزائر ، واخذت تتوسع جنوبا وشرقا ، شرعت صحافتها الرسمية والاستعمارية تمهد لاحداث التفرقة العنصرية بين العرب والامازيغ (البربر) (2) .

وفي سنة 1859 اصدرت سلطات الاحتلال الفرنسية بالجزائر قانونا يقضي باخراج الامازيغ (البربر) الساكنين في منطقة جبال جريرة (القبائل) من احكام الشريفة (3) الاسلامية ، وكانت تهدف من وراء اصداره الى تنصيرهم . وكان هذا القانون سببا من اسباب اندلاع ثورة 1870 — 1871 بقيادة الشيخ محمد الحداد والحاج محمد المقراني .

واصرارا منها اي من سلطات الاحتلال الفرنسية بالجزائر على مواصلة السياسة البربرية ، بادر الاسقف لافيجيري الى تأسيس جماعة الاباء البيض سنة 1868 والاخوات المبعوثات الى افريقيا في سنة 1869 في اطار العمل لتنصير المسلمين .

وكرد فعل انتقامي لثورة 1870 — 1871 اصدرت قانون الانديجنا الذي عاش الجزائريون في ظله وكأنهم في سجن كبير .

---

(2) مجلة الوطن العربي — عدد 166 صفحات 34 — 35 — 36 باريس (من 18 — 24 / 4 / 1980 .

(3) الاستاذ رابح تركي — الشيخ عبد الحميد بن باديس — الجزائر .

وفي سنة 1881 استولت على تونس وفرضت عليها حماية ... كان ذلك في عهد مولاي الحسن الاول الذي كان عظيما وبعيد النظر ، فقد ارسل أول بعثة علمية للدراسة الى البلاد الاوروبية لتتعلم علومها لاجل تحديث المغرب .

ولم تكد سنتان على استيلائها على تونس حتى بادرت القيادة العسكرية الفرنسية في سنة 1883 الى الارسال ضابط مدفعي لامع شاب يعمل في جهاز استخباراتها هو المسيو دوفوكول الى المغرب للقيام بجولة استطلاعية في ربوعه متنكرا في زي يهودي مغربي ، بدأ جولته من احدى مدن الشمال ، ومنها توجه الى وزان ، ففاس فالاطلس .

وكان أثناء جولته يسجل كل ما يرى ويسمع ويلاحظ ، وكل ما يهمه في كراسه .

ولما عاد الى الجزائر بعد سنة وضع ما دونه خلال جولته بالمغرب في تقرير رفعه الى رؤسائه .

وقد حظي تقريره باهتمام كبير لدى القيادة العسكرية الفرنسية ، وكان للمعلومات الواردة فيه أثر مهم في احتلال فرنسا للمغرب فيما بعد .

هذا مهم ، ولكنه ليس المطلوب .

غير ان هذا الضابط اللامع لم يلبث طويلا في الحياة العسكرية لانه فضل الحياة الدينية وانخرط في جماعة الاباء البيض التي اسسها الاصقف لافيجيري في سنة 1868 بهدف تنصير المسلمين في اطار السياسة البربرية ، وسافر الى الجنوب الجزائري سنة 1901 ثم الى الهكار بلاد الطوارق في سنة 1905 حيث استقر في تمانراست .

وقام خلال اقامته بالهكار فيما قام به من اعمال بالاضافة الى اعماله الدينية بدراسات انترولوجية كان من اهمها دراسة لهجات الطوارق البربرية ، وبخاصة لهجة تماشقت واعد القاموس البربري الفرنسي الاول واكتشف ابجدية تفيناغ التي تكتب بها ، وقواعد نحوية .

هذا هو المهم ، هذا هو المطلوب ، لان نتائج اعماله ودراساته الانتلوجيا مدت سلطات الاحتلال الفرنسي بمنطلق علمي مهم سارعت الى الاستفادة منه في العودة الى توجيه سياستها البربرية على اسس علمية جديدة .

كان للسياسة البربرية دعاتها في صفوف الجيش والرهبان وغلاة المستعمرين ، لهذا لم يكن شارل دوفوكو وحده ، وانما كان واحدا ضمن عدد كبير يضمه رجال الاستخبارات الفرنسية ، وواحدا من بين الرهبان العديدين المتحمسين الذين بادروا بالتبشير للدين المسيحي لتنصير من يمكن اجباره على التنصير من سيء الحظوظ الذين تضعهم ظروف الحياة القاسية في سبيلهم .

وبعد فشل سلطات الحماية في تجربة السياسة البربرية في المغرب في سنة 1930 عادت لتجربها من جديد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في القطر الجزائري وفي منطقة جبال جرجرة (القبايل) التي تتكلم اللهجات البربرية للمرة الثانية بعد ثمانية سنة وبحماس اكثر بالاستعانة هذه المرة بأعمال شارل دوفوكو التي انجزها في تمانرست بالهكار ، وهي : قاموسه البربري الفرنسي ، وابجدية تيفيناغ والقواعد النحوية .

ولم تنجح ايضا ، اذ تصدت لها الحركة الوطنية الجزائرية بقيادة حزب الشعب الجزائري وانهتها .
عودة السلطات الاستعمارية الفرنسية لتجربة السياسة البربرية بالجزائر بعد فشلها بالمغرب بأعمال شارل دوفوكو تدل دلالة واضحة على ان اعماله ودراساته الانتلوجيا في الهكار اتت بنفس جديد يقوي المنطلق القديم للتفرقة العنصرية باعتماده على أساس علمي .

واذن في نطاق التجارب الاولى للسياسة البربرية التي اجرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ، في اعمال ودراسات الاب شارل دوفوكو وغيره من غلاة المعمرين والصليبيين الحاقدين على الاسلام والمسلمين ، من ضباط ورهبان سواء كانوا بيض او غير بيض يمكن تقصي الحقائق بداية السياسة البربرية التي ارادت سلطات الحماية الفرنسية انتهاجها بالمغرب .

هذا هو ما يفسر لنا سرعة استصدار سلطات الحماية لظهير 11 / 9 / 1914 القاضي باحترام التقاليد البربرية بعد سنة واحدة وخمسة اشهر

واربعة عشر يوما من اتفاقيات الحماية اي بسرعة خاطفة .

فليس ظهير 11 / 9 / 1914 الا نسخة طبق الاصل من قانون 1959 الذي حاولت سلطات الحماية تطبيقه في منطقة جبال جرجرة (قبايل) منذ نصف قرن وليست قوانين الاندجينا التي طبقت في المغرب الا نفس القوانين التي وضعت للجزائريين .

فالتجربة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر هي التي بادرت سلطات الحماية لتطبيقها في المغرب بعد اتفاقية الحماية ، لانها تجربة جاهزة للتطبيق .

ولا غرو في ذلك فان الجنرال ليوطي كان ضابطا تابعا للقيادة العسكرية الفرنسية في الجزائر التي كانت قاعدة تنطلق منها الحملات لغزو المغرب واحتلال اراضيه قبل أن يصبح مقيما عاما .

* * *

— 5 —

هل نفذت السياسة البربرية كما ارادتها سلطات الحماية ، ومن اي تاريخ ؟

روى شاهد وطني امازيغي الاصل ما مضمونه :

طبقت سلطات الحماية السياسة البربرية بعد صدور ظهير 13 / 9 / 1913 .. فمنذ هذا التاريخ، وفي اطار احترام التقاليد البربرية حتى صدور ظهير 1930 المشهور بتاريخ 16 مايو 1930 كانت محاكم الجماعة قائمة في مجموع الاطلس المتوسط والكبير باستثناء اقاليم سوس وبعض قبائل تازا ، وكان نشاط الاباء البيض في أوجه في المدارس الاطلسية كما أسسوا مراكز مهمة لهم في أزرو وفي اماكن اخرى كان لها الاثر الكبير في نشر السياسة البربرية.

وتم هذا في غياب الوعي الوطني ، وفي ظروف الحرب العالمية الاولى ، وفي ظروف التطويق العسكري التي فرضت بسبب التفرغ لمواجهة حرب التحرير الريفية والقضاء عليها ..

وعند ما صفا الجو السياسي ، وانقشعت غيوم الحروب ، استصدرت سلطات الحماية ظهير 16 مايو 1930 قاصدة به تقنين ما انجزت في ظل ظهير 13 / 9 / 1913 تقنينا رسميا لتجعل من السياسة البربرية حقيقة واقعية فثارت حينئذ ثائرة المواطنين الوطنيين من العلماء والطلاب والشباب لانهم أصبحوا واعين بأن « السيل قد بلغ الزبى » .

وكانت حركة اللطيف المعروفة في مساجد سلا والرباط وفاس التي كان المؤمنون يدعون الله العلي القدير باسمه اللطيف ضارعين خاشعين : « اللهم يالطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير ، ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر » .

« وقال ربكم ادعوني استجب لكم » .

صدق الله العظيم .

من هنا بدا التدفق الحقيقي العلني للوطنية المغربية التي برزت الى الميدان السياسي لتقاوم السياسة الاستعمارية مقاومة نضالية على مرأى ومسمع من سلطات الحماية ..

ووقفت الوطنية المغربية في مقاومة السياسة البربرية وقفة مشهودة كللت تضحياتها وجهودها بالفوز والنصر .

كانت اولى معاركها النضالية واخطرها ...

لهذا فان ذكرى مرور 50 سنة على الظهير البربري انما يعتبر في الحقيقة عيدا (يوبيلا) .

ذهبنا لنضال الحركة الوطنية مخلد المحامد والمكارم البطولية وتمجيد التضحيات والجهود التي بذلها الرواد الاوائل لانقاذ المغرب من « تفرقة عنصرية » ومن قسمة خيرى جديدة للتراب الوطني، ولايقاظ شعب باكمله من رقاده الطويل ، وتوعيته بحقيقته الوطنية وبحقوقه في الحياة ودفعه ليناضل ويقاوم .

وما قيل وكتب في مقاومة السياسة البربرية من خطب وشعر ومقالات باللغة العربية الفصحى وباللهجات البربرية يعتبر من عيون النصوص الادبية الوطنية التي يحق للادب المغربي الحديث ان يعتز ويفتخر بها ، ويوليها ما تستحقه من الدراسة والبحث والتحليل والتوضيح والتيسر .

ومن اشهر ما قيل في مقاومة السياسة البربرية نشيد الاحرار للمرحوم الاستاذ علال الفاسي :

صوت ينادي المغــرب　　من مازيغ ويعرب

لا نرضـــى بالتفرقـــة　　ولو علونا المشنقة

ولــو غدت ممزقـــــة　　اشلاؤنا فذ الوطن

بمثل هذا الاصرار وهذا التحــدي قاومــت الوطنية المغربية السياســـة البربريـــة وفـــازت وانتصـــــرت .

* * *

— 6 —

ان موضوع السياسة البربرية انطلاقا من ظهير 11 / 9 / 1913 وظهير 16 / 5 / 1930 موضــــوع كبير يحتاج الى دراسات جامعية شاملة وعميقة على اضواء بحوث دقيقة تعتمد على الوثائق والمراجـــع والتقصي الهادف للحقائق خدمة للتاريخ المغربــي ، وخدمة للوعي الوطني ، وتنويرا للراي العام المغربي تنويرا صادقا على ما جرى في فترة من حياة وطنــه اريد له فيها ان يعود الى ايام الجاهلية الرومانية بعد 14 قرنا من الاسلام والعروبة والتمـــازج الاخــوي الالتحامــــــي .

فلكي تتمكن سلطات الحمايـــة مـــن تحقيـق الاهداف الاستعمارية بقوة اشد من قوة الجيـــوش والاساطيل الجوية والبحرية جـاءت بالسياســـة البربرية كاسلوب من اخطر اساليب الغزو الفكــري والعقيدي هادفة به الى التدعيم في ذات المواطنين المغاربة بعد ما يتم استيلائهم بوسائــل التربيـــة والتعليم ، وتيسر الرهبان ، وبالترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، وتجريدهم من مقوماتهم الكيانيـــة الوطنية والحضارية الاصلية الاسلامية والعربيـــة ، ومسخ شخصياتهم مسخا يشارك فيـــه الرهبــــان وضباط الاستخبارات يصبحون على اثره كالغـــراب الذي اراد ان يقلد مشية الحمام .. يكرسون لخدمة السياسة الاستعمارية ليكونوا لها اعوانا ، وعيونا ، وآذانا ، وجنودا ، يحاربون من اجلها ، ومرتعا خصبا للهـــو والترفيـــه ..

وهذا لعمري لا يرضاه الامازيغ (او الرجـــال الاحرار) وهذا ما حصل .

ان الفكر الاستعماري التوسعي كيفما كان نوعه ومضموره يتقدم للعالم « بوعيه » المتجلي في شعارات ومبادىء او مفاهيم معينة، بينما يخفي في « لا وعيه» ووجدانه حقيقته الصليبية العميقة ولا شي آخر غير هذا ، وان تنوعت التبريرات والمسوغات .

حرية الدولة ووحدة ترابها ومحافظتهـــا على استقلالها كانت وما تزال قضية قـــوة .. امـــا اذا اهملت دولة ما اسباب القوة ضعفت وانهارت وصارت كالفريسة يطمع فيها الاقوى منها .

والمغرب ، عندما فرضت عليه الحمايـــة في سنة 1912 ، كان متخلفا بمدة 161 سنة عن الثورة الصناعية ، وعن فرنسا واسبانيا ، وعن باقي البلدان الاوربية المصنعـــة .

وهذا يعني انه كان متأخرا بأكثر من قرن ونصف عن مستوى عصره في الميدان الحضاري والعلمــي والفكري بالاضافة الى تأخره في ميدان الصناعة .

لهذا ، وبسبب هذا التاخر ، أصبح ضعيفا وكان طبيعيا ان ينهار رغم صموده ومقاومتـــه وبطـــولات مجاهديه ، لكنه لم ينهر امام دولة أوروبية واحدة ، وانما انهار امام عدة دول ، بعد دسائس ومؤامـــرات (واتفاقات سرية عديدة ، وبعد أن قسم ترابه الوطني اقسامـــــا) ..

وهذا يوضح اهمية القوة التي كان يتوفر عليها فما بالك لو كان مصنعا وواكب الثورة الصناعية منذ بدايتها وساير الدول الاوروبية فيها خطوة خطوة ؟

في هذه الوضعية ، ورغم تفوق الحمايـــة في البر والبحر والجو ثار المغاربة على سلطات الحماية وحاربوها وقاوموها في الجبال والبوادي والصحاري، حتى اذا ما كانت قضية الظهير البربري في 16 / 5/ 1930 تفجر الغضب الوطني في المدن ، فكانــت حركة اللطيف المشهورة التي انتصرت بفضل قوتها الربانية الروحية ، وبدات الوطنية المغربية الحديثة في شكل تنظيم سياسي جديد يلائم العصر .

« رب ضارة نافعة » كما يقول المثل العربي :

ارادوا بنا شرا ، فأراد الله لنا خيرا .

محمد حمادي العزيز

المراجع : (للمزيد من البحث والاطلاع) :

1 ـ جلالة الملك الحسن الثاني : التحـــدي

2 ـ الاستاذ علال الفاسي : الحركات الاستقلالية في المغرب العربي

3 ـ الاستاذ عبد الكريم غلاب : تاريخ الحركـة المغربيــة الوطنيــة

4 ـ عبد الهادي الشرايبي : ثمـن الحريـة

5 ـ مصطفى العلمي : الاغلبية الصامتة في المغرب

6 ـ ابو بكر القادري : سعيــد حجــي

7 ـ عبد العزيز بن عبد الله : تاريــخ المغرب الحسن الثانـــي

8 ـ احمد عسة : المعجزة المغربية

9 ـ مجلة الوطن العربــي (باريس من 18 الـى 24 / 4 / 1980 ، صفحات : 34 ـ 35 ـ 36)

10 ـ الاستاذ رابح تركي : الشيخ عبد الحميد بن بــاديس

11 ـ الاستاذ محمد المكي الناصــري : فـرنسا وسياستها البربرية في المغرب الاقصى

12 ـ الاستاذ عبد الله الجراري : شذرات تاريخية (من 1900 الى 1950) الرباط 76 ـ

13 ـ الاستاذ الحاج الحسن بوعيــاد : الحركـة الوطنية والظهير البربري ، الدار البيضاء 80

14 ـ الجريدة الرسمية ، عدد 73 الصادرة بتاريخ 18 / 9 / 1914 الرباط (ص 407)

15 ـ الجريدة الرسمية ، عدد 478 الصادر بتاريخ 27 / 6 / 1922 الرباط ، صفحات : 758 ـ 759 ـ 760

16 ـ الجريدة الرسمية ، عدد 919 الصادر بتاريخ 6 / 6 / 1930 بالرباط ، صفحات : 1322 و 1323.

مـلاحظـــــة :

توجد مراجع عديدة عربية واجنبيــة لمــن اراد ان يكتب دراسة معمقــة .

عيدك عيد المؤمنين

للشاعر الأستاذ محمد محمد العلمي

يترجم شعري عن فؤادي ، وما بيــا ، وفي بيعتي صغت الولاء قوافيــا

وجوهر ذاتي في صفاء أصولــه ، باخلاصه للعرش قد كان صافيــا

الكــر ذاتي في طبيعتها التــي تربت على العهد الــذي كان باقيــا ؟

ونفحة خيــر العالميــن محمــد لقد أوضحت عند الامام المعانيــا

فكان سليــلا لابن يوســف ، دأبــه جهاد غدا في المكرمات مثاليــا

محبة هذا الشعب فيها تشخصــت مشاريــع انماء تعم بلاديــا

ففي كل ركــن نهضــة وحمــاسة ، تهــز من الاحــرار عزما عصاميــا

توحدت الاضداد في الوطــن الــذي يعلمه العــرش المجيــد التآخيــا

ففي (الحسن الثاني) أجــل عنايــة لامتــه ، والســر كــان الهيــا !

— ❋ —

فياملكي فيــك المحاسن تزدهــي : هنيئا بأمجاد لهــا كنــت بانيــا !

بميلادك الاوطان هلــت سعودهــا ، فلحت صباحــا قد أزاح الدياجيــا

وقد صدقت فيــك الفراسة دائمــا ، فكنــت شجاعا مخلصــا متفانيــا

فأنــت شبــاب دائــم متجــدد لامتنــا ، تحيــي وتبعــث ماضيــا

وحاضرنــا ميــدان همتــك التــي بما شدته ، تربي الرصيد الحضاريــا

وأيامك الخضــراء فيهــا مسيــرة شمولية للمجــد ترضــاك هاديــا

فيابطل الصحــراء أنــت مظفــر ، بساقية وحدت في النصــر واديــا

وشعبك قد ادى اليمين ، فلم يخس
بذمته ، كلا ! ولم يك ناسيا

ونحمي ترابا للبلاد موحدا
بارواحنا .. عنه نصد العواديا

وتاريخنا امسى يكرر نفسه ،
ويبعث من مجد البلاد الدواعيا

نصحراؤنا منا الينا ، وقد غدت
جهادا يذيق الغاصبين الدواهيا

لقد لعبت دورا قديما لوحدة
وصون كيان ، فلتقم به ثانيا !

طردنا فلول الاشقياء ، ولم تزل
شواطئنا تروي الجلاء النهائيا

وهذي حشود الطامعين تمزقت :
الا فانظروا بنيانهم متداعيا !

اذا لم يراع الجار حرمة جاره ،
فذاك لعمري ما يجر المآسيا

ففي (آمغالا) و (الوركزيز) انتصارنا ،
و (بير انزران) .. لم يعد ذاك خافيا

وفي (احد) (بدر) تضم ملاحما
بها (الارك) المنصور كان فدائيا

وابطالنا الشجعان قد عز جيشهم
فكان له النصر المبين مواتيا

فما ضرنا من ينكرون حقوقنا ،
اذ اختلقوا ذاك الكيان الخياليا !

— ☼ —

فيا تاجنا في الكون ، يا رمز عزتنا ،
سلمت لنا ، ولتبق للشعب راعيا!

يفديك شعب انت تسعى لخيره ،
وقد بارك الرحمان منك المساعيا

وانت لدين الله تحفظ مجده ،
وتهدي به من كان للحق واعيا

وفي الشرق والغرب اتصفت بحكمة ،
وعشت عزيزا في الضمائر غاليا

على المستوى الدولي نلت مكانة
تفوق الثريا رفعة وتساميا

فلم أر من بين الملوك جميعهم
مثيلا لك استوفى وشاد المعاليا

لقد رضيت عنك الرعية كلها :
وعنك اله الكون قد كان راضيا !

وفي (لجنة القدس) التي انت راسها
حذقت جهادا لم يزل متواليا

وفيك ، امير المؤمنين ، تبلورت
مطامح اهل الحق اذ قمت داعيا

وفي (الفاتيكان) النور حل مبشرا
بعهد سلام كان لا شك آتيا

وباسم جميع المسلمين تكلمت
قريحتك المثلى ، وكنت المحاميا

وصوتك في (البيت الحرام) مجلجل ،
به اسرة الاسلام زادت تدانيا

فكنت لسان الحق تطفح حكمة ،
وكنت جوابا للضمائر شافيا

وفي بيعة الاجماع تكريم امة ،
رات فيك سرا من الهك باديا

ورايك تشريف لها وضمانة
لآمالها ، والصدق اصبح كافيا

وعــرشك فينــا وطدتــه محبــــة — تضارع في طبـع الصمود الرواسيــــا
فـدم قائــدا للمخلصيــن ورائـــدا — تهـذب شعبــا في ظلالــك راقيــــا
ومن صانــه الله اللطيــف بحفظـــه — كفـاه ، واكـرم بالمهيمــن واقيــــا
فعيدك عيد المومنيــن جميعهـــم ؛ — فمنهم تقبـل يا حبيــب التهانيــــا !
وذلك نور الله في العــرش ظاهـــر ، — وكان وما ينفــك في الروح ساريــــا !

الرباط : محمد بن محمد العلمي

أوّل انتفاضة مغربيّة في سبيل القدس سنة 1929

اقرأ بحث الأستاذ محمّد الفاسي في العدد القادم

مع شعراء المغرب في أرض الحجاز الحبيبة

-1-

للأستاذ سعيد أعراب

قلما تجد شاعرا من شعراء المغرب ، لم يتغن بأرض الحجاز الحبيبة : مهبط الوحي ، وموطن الرسالة ، حيث المسجد الحرام ، والكعبة المشرفة، وزمزم ، والصفا والمروة ، ومنى ، وعرفات ، والمشعر الحرام ، والجمرات ... ومدينة الرسول (طيبة ــ يثرب) ، والروضة المنورة ، والقبر الشريف ، والبقيع ، وبدر ، واحد ، وسواها من المشاهد والمناسك ، مشاهد تهفو اليها افئدة المومنين ، وتتحرق شوقا للتملي من طلعتها ، والتعفر بترابها ، والانحناء في محاربها ، حيث تغفر الذنوب ، وتصفو القلوب ، وتستجاب الدعوات ، وتدر البركات ...

ومن هؤلاء الشعراء ، ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544 هـ ــ 1149 م(1) وقد كتب رسالة الى قبر الرسول تأنق فيها ما شاء له التأنق ، وافتن ايما افتنان ، وهو نمط من الادب، اختص به المغاربة ــ كما يقول القلقشندي ــ (2) لشط المزار ، وبعد الديار ، ويمتاز بحرارة العاطفة، وصدق التعبير ، (... وبعد فاني كتبت اليك ، صلى الله عليك ، يا خاتم الرسل ، وهادي أوضح السبل ، ورحمة العالمين ، ونعمة الله على المومنين ، وشارح القلوب والصدور ، ومخرجها من الظلمات الى النور، فاني عبد من اهل ملتك ، المتحملين لامانتك : منهاجك وشريعتك ، والملتزمين للحنيفية ملة ابيك ابراهيم المؤملين النجاة بالدعوة : دعوتك ، التي خبأتها شفاعة لامتك ، ممن أشرق فؤاده بشعاع انوارك ، واهتدى قلبه بعلم منارك ، وتاه عقله بحسرة فوات رؤيتك وابصارك ، وهام قلبه في حبك وتوقير عظيم مقدارك ، وعدته العوادي (3) عن التشفي بقصد قبرك ومزارك ، وقطعت به القواطع عن التشرف بمشاهدة مشاهدك الشريفة وآثارك ، مصافح بالايمان بك وتصديقك ، شاهد الجوارح بالتقصير عن اداء حقوق الله وحقوقك ، فهو طليح (4) ذنوب ومآثم ، واسير تباعات (5) وخل آثم ، اثقلت ظهره

(1) اختص ترجمته ولده محمد بتاليف اسماه « التعريف » ــ نشرته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب .
وابو العباس المقري في كتابه « ازهار الرياض في اخبار عياض » ــ طبعته اخيرا ــ كاملا في خمسة اجزاء ــ وزارة الاوقاف بالمغرب .

(2) انظر صبح الاعشى ج 6 ص 46 .

(3) عدته العوادي : صرفته شواغل الدهر .

(4) طليح : حبيس .

(5) التباعات جمع تباعة : ما يترتب على الفعل من الشر .

مع العاصين خطاياه وآثامه ، وانقطعت في التمني مع العادين لياليه وايامه ، وقصرت به عن جد المخلصين أوزاره واجرامه ، فلا رجاء له الا في عفو الله واستشفاعك ، ولا خلاص له الا بالتعلق بحقوك (6) ، يوم يكون آدم ومن ولد تحت لوائك ومن اتباعك ، فيا محمداه ! طال شوقي الى لقائك ، ويا احمداه ! ما كان اسعدني لو متع المسلمون ببقائك ، ويا نبياه ! عليك مني افضل الصلوات والبركات والتسليم ، ويا حبيباه ! اذكرني عند ربك في مقامك المحمود الكريم ، ويا شفيعاه ! اشفع لي ولوالدي في ذلك الموقف العظيم . .) (7) .

وهذا — كما يقول المقري — مقام طالما طمحت اليه همم الرجال ، وتسابقت جياد افكارهم في مضماره بالروية والارتجال ، وسارت ارواحهم مع الرفاق ، — وان اقامت الاشباح ، وطارت قلوبهم بالاشواق ، ولم لا وهو سوق تعظم في الارباح (8) . .

ومن شعر عياض — في هذا الصدد قوله :

يا دار خير المرسلين ومن به
هدي الانام وخص بالآيات

عندي لاجلك لوعة وصبابة
وتشوق متوقد الجمرات

وعلي عهد ان ملأت محاجري
من تلكم الجدران والعرصات

لأغفرن مصون شيبي بينها
من كثرة التقبيل والرشفات

لولا العوادي والاعادي زرتها
ابدا ولو سحبا على الوجنات

لكن ساهدي من جميل تحية
لقطين تلك الدار والحجرات

أذكى من المسك المفتق نفحة
تغشاه بالآصال والبكرات (9)

ومن سلك هذا المسلك وبلغ غاية الامداد ، الكاتب الاديب ابن الغماد (10) ، فانه قال يتشوق الى ذلك الجناب المنيع ، ويترجى التيسير وحسن الصنيع (11) :

شوقي الى خير الخلق متصل
يا ليت شعري هل ادنو وهل اصل

وهل ازور ثراه وهو خير ثرى
استنشق المسك منه ثم اكتحل

وهل ارى روضة حل الكمال بها
من كل أرض اليها تجهد الابل

وحتى يقول :

في كل عام أرجي زورة معكم
فتنهضون وشاني دونكم ثقل

لو خف ظهري لكان الجسم مرتحلا
لكن قلبي أمام الركب مرتحل

يحدو به وجده والشوق سائقه
وكيف يدنو كلال منه او ملل

واحسرتا ! فاز غيري بالوصال الى
ارض الحبيب ودوني سدت السبل

متى ينادي به الحادي يبشرني
بشراك — يا مغربي — انزل فقد نزلوا

انزل بطيبة طاب العيش قد ظفرت
به يداك فلا خوف ولا وجل

عبد له انا ان نادى وبشرني
وانت حر اذا بلغت يا جمل

---

(6) الحقو : الذيل .
(7) المقري ، ازهار الرياض : ج 4 / 17 — 19 .
(8) نفس المصدر ص 20 .
(9) انظر في ترجمته « ازهار الرياض » ج 4 ص 32 — الحاشية رقم (161) .
(10) أورد القصيدة المقري في « ازهار الرياض » ج 4 ص (180) .
(11) ازهار الرياض ج 4 ص 32 .

قلبي بحب رسول الله مشتغل
يا ويح قلب له عن حبه شغل (12)

وبرز في هذا الميدان واوفى على من سبقه ، الشاعر المبدع ذو الوزارتين ، ابو عبد الله محمد بن مسعود بن ابي الخصال (ت 540 هـ — 1145 م) (13).

له قصائد ورسائل طوال الى المقام النبوي ، والحجرة الشريفة ، وقد جاء في بعضها قوله :

(... كتبته — يا واضع الاصر والاغلال ، ورافع رايات الهدى على الضلال ، ومدلنا بالظل من الحرور ، ومخرجنا الظلمات الى النور ، ومروينا من الرحيق المختوم ، والحوض الذي آنيته بعدد النجوم ، ومحظينا بالنظر الى الحي القيوم ، — عن دمع يسفح ، ونفس يلفح ، وصدر بأشواقه ملآن يطفح ، وعرف عليك من الصلاة والسلام ينفح ، واسف اليك يتلهب ، وزفرة بأحناء الضلوع تجيء وتذهب ، وحشاشة بعوائق البعد عندك تنهب ، وكيف لا اقضي حزنا ، ولا ارسل دموع الوجد والتلهف مزنا ، ام كيف الذ حياة ، واؤمل نجاة ، ولم اعبر الى زيارتك لجة ولا موماة ، ولا اخطرت في قصدك نفسا انت منقذها ومنجيها ، ولا مثلت بمعاهدك المشهرة ، ومشاهدك المطهرة ، احييها ، ولا نزلت عن الكور — كرامة للبقعة المقدسة التي ثويت فيها ، فوا اسفا ! الا اخب الى ثراك مقبلا ، ولا اكب الى مثواك مستقبلا ، والا اصافح من تلك العرصات ، مدارس الآيات ، ومهبط الوحي والمناجات ، حيث قضى فرض الصوم والصلوات ، وحيث انتشر التنزيل ، وسفر بالوحي جبريل ، وبرزت خبيئة الدهر ، واوثرت بليلة خير من الف شهر ، اسفا لا يمحو رسمه ، ولا يعفو تربه ووسمه ، الا الوقوف بحرم الله وحرمك والتوسل هناك الى كرمه بكرمك ، اللهم كما جعلتني من امته ، واستعملتني بسنته ، وشوقتني الى آثاره ، وشغلت قلبي بتذكره وتذكاره ، وأريتني تلك المعالم المنيفة خيالا ، وخططت منها في الضمير مثالا ، وارتنيها ملء السمع والفؤاد جمالا ، فاشف بمرآها بصرا ضريرا ، وبسناها يرتد بصيرا ، واجعل لي فيها معرسا ومقيلا ، وضع عني من شوقها اصرا ثقيلا . اللهم اعدني بالقرب على بعده ، واجعلني من المقتفين لهداه من بعده ، واغمرني بين قبره ومنبره ، ومبدئه ومحضره ، ومصلاه ومنحره ، وانخ هذه الشيبة ، بباب بني شيبة ، واغسلها هناك من ذنوبها وخطاياها ، وعج الى خاتم انبيائك صدور مطاياها ، وهب لي عزمة من اطاع ، وبسطة من استطاع ، وادفع عني الضرر والضرورة ، ولا تمتني حلس البيت صرورة (14) . لو اتيت — يا رسول الله — سولي ، لسبقت اليك كتابي ورسولي ، لكن قل الوفر ، واستقل السفر ، وغادروني حرضا (15) ، ولسهام الوجد غرضا ، اتبعتهم نفسا لا يؤوب ، وقلبا يستخفه القلق والوثوب ، فاتشبث بهم تشبث الاسير بالطليق ، والحظهم لحظ السقيم للمفيق ، فلم املك — يا رسول الله — الا رقعة تشكو بث التبريح ، وتحية خفيفة المحمل طيبة الريح ، تتأرج — يا رسول الله — بأرجائك ، وتتضرج (16) الى قبولك ورجائك ...) (17) .

ومن شعره :

كتاب وقيذ (18) من زمانته مشفي
بقبر رسول الله احمد مستشفي

له قدم قد قيد الدهر خطوها
فلم يستطع الا الاشارة بالكف

(12) اورد القصيدة المقري في « ازهار الرياض » ج 4 ص 33 — 34 .
(13) ترجمته في « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان ص 174 — 182 ، والمغرب في حلى المغرب — لابن سعيد ج 2 ص 66 ، والمعجب للمراكشي ص 137 — نشر سعيد العريان .
(14) فلان حلس البيت : ملازمه لا يفارقه ، وهو ذم له ، والصرورة الذي لم يحج حياته مع الاستطاعة .
(15) حرضا : مشفيا على الهلاك .
(16) تأرج الزهر : فاح ، وتضرج : تفتح .
(17) ازهار الرياض ج 4 ص 24 — 27 .
(18) الوقيذ : الشديد المرض .

ولما رأى الـــزوار يبتدرونـــــه
وقد عاقه عن قصده عائق الضعف

بكى أسفا واستودع الركب اذ غدوا
تحية صدق تفعم الركب بالعـــرف

فيا خاتم الرسل الشيع لربـــــه
دعاء مهيض خاشع القلب والطرف

عتيقك عبد الله ناداك ضارعـــــا
وقد أخلص النجوى وأيقن بالعطف

رجاك لضر أعجز النـــاس كشفـــه
ليصدر داعيه بما شاء مـــن كشف

لرجل رمى فيها (19) الزمان [illegible]
خطاها عن الصف المقدم والزحف

واني لأرجو أن تعـــود سويـــــة
برحمة من يحيي العظام ومن يشفي

عليك سلام الله عـــدة خلقـــــه
وما يرتضيه من مزيد ومن ضعف (20)

ولنا وقفة مع قصيدته الشهيـــرة « معـــراج المناقب » — في العدد القادم بحول الله .

---

(19) نظم هذه القصيدة نيابة عن رجل من قرطبة يقال له عبد الله الصيرفي ، أصابته زمانـــة .

(20) أزهار الرياض ج 4 ص 30 — 31 .



انموذج للتصوف السني

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

ظهر ابو علي اليوسي (1) مع بروز الدولة العلوية الماجدة في عصر كانت الزعامة لاقطاب التصوف الذين ازدوجت شخصيتهم فبرزوا في آن واحد كجهابذة للفكر العلمي الاسلامي ، وقد اكد صاحب (نشر المثاني) انه لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في هذا القرن ، وهم الشيوخ السادة : محمد ابن ناصر رئيس زاوية درعة (تامكروت) ومحمد بن ابي بكر المجاطي رئيس زاوية الدلاء وشيخ الاسلام عبد القادر الفاسي الذي تبلورت في عهده الطريقة الزروقية وتتلمذ له غالب فقهاء افريقية .

وكان لزاوية الدلاء هذه اثر عميق في تكييف شخصية اليوسي وطبع اتجاهاته واختياراته لانه احتك بين أساطينها برجالات افذاذ انحدروا من اقاصي المغرب للكرع من معينها وقد كانت مكتبتها العلمية حافلة بالمخطوطات لا تقارن الا بخزانة (الحكم المستنصر الاموي) (366 هـ / 976 م) التي حولت أربعمائة الف مجلد وظلت في عهد رئيسها مثالا حيا للمجمع العلمي الرصين لما ابداه الشيخ محمد الدلائي من عزوف عن الرياسة ووصايا لابنائه وحفدته بالحياد عن السياسة ولم يحل حصول النفرة بين الدلائيين والمولى الرشيد عام 1079 هـ/1668م دون استمرار الرعاية الملكية على رسل الفكر وكان ابو علي اليوسي ضمن من هاجر من (زاوية الدلاء) الى فاس بعد ان طبعته بازدواجية قوامها التوامة بين الفكر العلمي والروح الصوفي وقد برزت هذه

(1) هو الحسن بن مسعود ابو علي اليوسي (اصله اليوسفي) نسبه الى بني يوسى من برابر ملوية 1102 هـ / 1690 م . الاستقصا ج 4 ص 51 / الصفوة ص 206 / النشر ج 2 ص 142 . عجائب الاثار للجبرتي ج 1 ص 68 / السلوة ج3 ص 81 / مؤرخو الشرفاء ص 269 / شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 328 / بروكلمان في ملحقه ج 2 ص 355 و ص 676 / معجم سركيس ص 99 (1959) / الاعلام للمراكشي ج 3 ص 154 (ط. 1975) / المنزل اللطيف ص 309 / ملحق بروكلمان ج 2 ص 355 و 676 / تاليف في مناقبه بخزانة تامكروت ــ فهرسته (خع 1838 غ) ومحاضراته . ابو علي اليوسي ، علال الفاسي ، المغرب الجديد ، ع ــ 5 س 1 اكتوبر 1935 .
(آل اليوسي : مشاكل الثقافة المغربية في القرن السابع عشر) .

المثالية في كافة مجال حياة اليوسي العالم السلفي الذي عرف كيف يوفق في تؤدة ورصانة بين شقي التوازن في الانسان وهما المادة والروح حيث يقاس الكمال بمدى القدرة على التوفيق بين العنصرين ولعل هذا من أسرار مثالية الفكر الاسلامي الواعي المتبلور في كفالة التساوق بين مقومات الوجود مما جعل من الاسلام الصحيح المنطلق الدائم لتصحيح الاوضاع في كل عصر ومصر .

وقد تتبعنا (اليوسي) في دروب تنقلاته بين البادية والحواضر حيث كان يتلمس ينابيع المعرفة من (سجلماسة) الى (درعة) ومن (سوس) الى (دكالة) ومن مراكش الى فاس فكان في طليعة من نهل من فيض قادة الفكر امثال سيدي محمد بن ناصر الدرعي وسيدي عبد القادر الفاسي فانبرى موسوعي الرواية والدراية في تحديثه وتدريسه حاملا في محاضراته حملة شعواء على أدعياء الطريقة ورسم لنا صورة عما انتهى اليه التصوف المغربي بسبب من اندس في حظيرته من مفرضين حيث قال : « كم تظاهر بالخير من لا خير فيه من مجنون او معتوه او موسوس او ملبس فيقع به الاغترار للجهلة الاغمار ، وقد يتابعه من هو مثله من الحمقى ومن الفجار » (ص 39) ومن اغرب ما حكاه اليوسي (ص 40) ان رجلا ورد على سجلماسة واتسم بالصلاح فاقبل عليه الناس ثم تبين بعد أنه يهودي .

* * *

غير أن تصورنا وتقييمنا لمواقف الامام اليوسي لا تكتملان بدون القاء نظرة دقيقة على تطور الحركة الصوفية بالمغرب .

والتصوف المغربي قطعة حية من التصوف الاسلامي العربي لما تركته نظريات الصوفية المغربية من آثار عميقة في الفكرة الصوفية الشرقية .

ونزعة فصل التصوف عن الروح العربية الاسلامية نزعة شبيهة مما حاوله بعضهم امثال رونان الذي قرر في كتابه (ابن رشد ومذهبه) . ان ما يسمونه فلسفة عربية ليس الا مجرد محاكاة أو تقليد لارسطو وضربا من التكرار لآراء وافكار اليونانيين كتب باللغة العربية (ص 7) ولكنه تناقض مع نفسه حيث اعترف (ص 89) (بأن العرب مثل اللاتين ــ مع تظاهرهم بشرح أرسطو عرفوا كيف يخلقون لانفسهم فلسفة ملأى بالعناصر الخاصة والمخالفة جد المخالفة لما كان يدرس في (الليسيوم) ولم يخف هذا التناقض على احد معاصري رونان وهو (دوكا) الذي ذكر في مقدمة كتابه (تاريخ الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمين) « انه لا يمكن لعقلية كعقلية ابن سينا الا أن تنتج جديدا » .

وقد ضربت مثلا بالفلسفة (2) لما بينها وبين التصوف من وثيق الصلة حتى قيل ان التصوف قطعة من مذهب (الفارابي) الفلسفي لا ظاهرة عرضية فيه كما يزعم (كارادوفو) صاحب (مفكرو الاسلام) وقد تأثر الفيلسوف المغربي (ابن طفيل) بالنزعة الصوفية في (رسالة حي بن يقظان) حيث وصف بطل القصة (ص 114) بأنه « لما فني عن ذاته وعن جميع الذوات ولم ير في الوجود الا الواحد القيوم وشاهد ما شاهد عاد الى ملاحظة الاغيار عندما أفاق من حاله تلك التي هي شبيهة بالسكر خطر بباله أنه لا ذات له يغاير بها ذات الحق وأن حقيقة ذاته هي ذات الحق . . بل ليس ثمة شيء الا ذات الحق » وقد ذهب الناس مذاهب شتى في تعريف التصوف حتى ساق السبكي في طبقاته (ج 3 ص 239) الف تعريف سهر على التقاطها من مختلف المصادر (ابو منصور عبد القادر البغدادي) ورتبها تبعا لاصحابها على حسب الحروف الهجائية .

ويلذ لي أن انقل لهؤلاء الذين يزعمون أن التصوف المغربي تأثر بالنزعة الصوفية المسيحية ــ لا سيما

---

(2) احمد بن عبد الله بن محمد الدروم المراكشي نزيل القاهرة جنح الى التصوف الفلسفي ونسخ (الفتوحات الملكية) والتنزلات الموصلية فكان أبو حيان المالك يرميه بالزندقة وصار هو يصف أبا حيان بأنه ظاهري حتى في النحو . واحمد بن ابراهيم بن احمد بن صفوان : مشارك في الفلسفة والتصوف كلف بالعلوم الالاهية تلميذ بن عبد الملك المؤرخ وشيخ ابن الخطيب .

(ماسينيون) الذي زعم ان الشيخ (ابن عربي الحاتمي) استمد من نظريات الكنيسة – ما قرره المستشرق الاسباني (اسين بلاسيوس) من ان نزعات دانتي الايطالي واوصافه لعالم الغيب مستمدة من كتب محي الدين الحاتمي دون كبير تصرف وكذلك (اكهارت) الالماني اول الفلاسفة الصوفية الغربيين الذي نشأ في القرن التالي لعصر ابن عربي ودرس في جامعة باريس وهي الجامعة التي كانت تعتمد على الثقافة الاندلسية في الحكمة والعلوم وقد اقتبس (ريموند) من ابن عربي خاصة في كتابه (اسماء الله الحسنى) لانه كان يحسن العربية وعاش بعد ابن عربي بقرن واحد وجعل اسماء الله الحسنى (3) مائة وهي لم تعرف بهذا العدد في الديانة المسيحية قبل ذلك .

و (سبينوزا) اليهودي البرتغالي كان كلامه عن الذات والصفات نسخة من فلسفة المتصوفة المسلمين مع قليل من التحوير ، والمسيحية تكاد تكون فارغة من الفكرة الصوفية كما اعترف بذلك (ميشو بيلير) في محاضراته (ص 29) حيث ذكر انه اذا استثنينا ما في بعض الاساطير من ذكر الكرامات وكذلك سيرة (القديسة تبريز) والقديس (فرانسوا داسيز) فانه لا يبقى شيء بالمرة .

وتاريخ الحركة الصوفية جزء من تاريخنا العام الذي لا يشمل الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي فحسب بل يتجاوزه الى الجانب الثقافي والروحي . على ان التصوف المغربي كان له كبير اثر في توجيه وتلوين جميع مرافق الحياة بحيث انتشرت شذراته في مصنفات لم يكن من المنتظر ان تحفل به فانك تجد اخبار الصوفية وحياة الزهاد ووصف الحركات الطرقية التي قامت في المغرب في وقت مبكر – مبعثرة في كتب التاريخ والتراجم والمناقب والفهارس والرحلات ، بل حتى كتب الفقه « شرح ميارة على المرشد » و « معيار الونشريسي » الذي تحوي اجزاؤه نتفا متناثرة لو نسقت لتحصلت منها مجموعة لا بأس بها في وصف التيارات المتعاكسة التي خلفها انبثاق الطريقة في المغرب .

ويغلب على ظننا ان الحركة الصوفية كانت انشط في الجبل (لا سيما الريف) والقرى منها في الحواضر اللهم الا بعض مدن الساحل التي كانت مهبطا لصوفية الاندلس كسبتة وآسفي وسلا أو مدن داخلية كمراكش وفاس نظرا لاشعاعها الثقافي الذي تنجذب له النفوس .. ومهما يكن فان اولى التراجم الصوفية انما حظيت بها « مداشر » البادية ككتاب « المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف » لعبد الحق البادسي (في القرن الثامن) و « المعزى في ترجمة ابي يعزى » و « اثمد العينين – لابن تجلات – في مناقب الاخوين الهزميريين » الذين عاشا ردحا طويلا في (اغمات) ثم حظي صوفية المدن بكتب « المنهاج الواضح » في ترجمة ابي محمد صالح (المتوفى عام 631 هـ) تلميذ ابي مدين الغوث (ومدينة آسفي نفسها انما بنيت حول ضريح ابي محمد صالح كما قامت مدينة زرهون حول الضريح الادريسي بعد بناء المولى اسماعيل لهذا الضريح عام 1110 هـ وتأسيسه جامع الخطبة الكبير المتصل بالضريح وكذلك وزان) « والسلسل العذب الاحلى في صلحاء فاس ومكناسة وسلا » لمحمد الحضرمي الذي صنفه في القرن الثامن وكذلك « الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد » .

ولعل من اقدم الرباطات المغربية رباط (واجاج ابن زلو) اللمطي السوسي الذي كان يسمى (دار المرابطين) وقد اتخذ مجمعا لطلبة العلم وقراء القرءان حسبما ورد في (التشوف) (ص 36) الذي نجد من بين رجاله الصوفية كثيرا من « المعلمين » المنقطعين لتعليم كتاب الله . وهذا مظهر ثان لنوع ما كان يشتغل به الصوفية اذ ذاك وسنرى فيما بعد كيف تطورت الفكرة الصوفية فانضافت الى التعبد بالقرءان تعبدات بالادعية والاذكار .

---

(3) راجع في مجلة « اللسان العربي » (عدد 15 جزء 1) بحثنا بالفرنسية وقد القي في ندوة دريبر (سوناك) بفرنسا حيث عالج تسعة علماء مسلمين ومسيحيين ويهود موضوع (اسماء الله الحسنى وتاثيرها في الرجل المعاصر) .

وكان هنالك نوعان (4) من الرباطات : رباط من الطراز الذي اشرنا اليه وكان يشمل المدينة بكاملها كرباط ماسة ورباط قيط ورباطة زرهون ورباط من نوع آخر هو عبارة عن « محلة » يربط فيها المجاهدون وقد روي ان الضفة اليسرى لمصب ابي رقراق كان يرابط فيها نحو من مائة الف من القراة الذين كانوا يتطوعون لمقاومة المحلة البرغواطية .

وبين هذه وتلك الرابطة التي ابتناها عبد الله بن ياسين في جزيرة قرب الساحل وتبتل فيها ثلاثة اشهر مع نفر من (دكالة) في مقدمتهم (يحيى بن ابراهيم) امير صنهاجة وقد توارد الناس على هذا الرباط حتى بلغ عدد المرابطين الفا من اشرف صنهاجة كانوا النواة التي قامت بتاسيس الدولة المرابطية فكانت هذه هي الدولة الثالثة التي قامت في المغرب على اساس فكرة مذهبية بعد الدولة المدرارية في سجلماسة والدولة الادريسية في الشمال وقد فسح استعداد المغاربة الروحي المجال لدعاة المهدوية مثل محمد بن تومرت الذي اسس دولة الموحدين والعبيدي الذي قام بعده في جبل (ورغة) من احواز فاس حيث تبعه كثير من قبائل المغرب اول عام 600 هـ .

وكانت نفس الحركة ملحوظة كذلك في الاندلس ايام المرابطين حيث ذكر صاحب « لسان الميزان » (ج 1 ص 247) أن (احمد بن قسي) ابتنى مسجدا في بعض قرى شلب (بالبرتغال) وتحدث بالاباطيل ، كما ادعى النبوة (ابراهيم الفزاري) الساحر .

وقد تسربت الى المغرب من الاندلس (الطائفة المسرية) التي لم ينتشر نفوذها لقيام العلماء بنقضه وفي طليعتهم الامام (ابن حزم) الذي لا نعرف نظريات ابن مسرة الا من خلال انتقاداته ؛ وهذه الطائفة وان كانت لا تتسم بالطابع الطرقي الا انها من المذاهب التي ارتكز انتحالها على مذهب صوفي اساسه التاويل الرمزي للقرءان على طريق (الاسماعيلية) التي لعبت دورا كبيرا في تبلور الفكرة الصوفية في الاسلام ! ... ومنها (الطائفة الاندلسية) التي اسسها محمد الاندلسي نزيل مراكش ، وكان رجلا مولعا بالطب والكيمياء قسب الايمة وافتى فقهاء مراكش الحمراء بتضليله وزج به السلطان في غياهب السجن .

وقد ظل المغرب خلال العصور الاولى بعيدا عن الطوائف الضالة وعن النظريات الشاذة التي كانت تعصف اذ ذاك بالشرق وقد شهد ابو بكر الطرطوشي الذي صنف كتابا في (البدع والمحدثات) في رسالة وجهها من الاسكندرية الى سلطان المغرب ان اهل المغرب هم المشار اليهم في الحديث الشريف « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق » لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والاحداث في الدين » .

فنحن لا نكاد نجد اثارة بدعة جافية في ربوع المغرب قبل القرن السادس ولا يمكن ان نعثر فيما صنف خلال القرون الاولى كالتشوف على اشارة الى شذوذ عند الصوفية او صدور دعاوي نابية عنهم لان التصوف كان اذ ذاك مطبوعا بالبساطة ولم يكن الصوفية يختلفون عن بقية الناس الا بكثرة العبادة وتلاوة القرءان وسرد المأثور من الادعية وكانت الاذكار نفسها مقتبسة من الآثار الواردة في القرءان من ذلك بعض الاحزاب لا سيما أحزاب الشاذلي التي تتألف مطالعها من سلسلة آيات ولم يكن لبس الخرقة والمرقعة صفة لازمة للصوفي المغربي الا اذا جاء ذلك عفوا عن طريق الزهادة في متع الدنيا ، وكانت الرباطات عبارة عن مجامع لقراءة العلم وتلاوة القرءان والجهاد فاذا طالعت (تشوف) ابن الزيات وجدت أن كثيرا من رجاله كانوا « معلمين » او « مدررين » يعلمون القرءان للصبيان ! .

وكان الامر على خلاف ذلك في الشرق حيث ترجع معظم المستحدثات الشاذة الى القرن الثالث كوحدة الوجود والحلول والتحدث بلسان الحقيقة المحمدية ، والايغال في لبس المرقعات واندساس الادعياء في صفوف النزهاء حتى كان (القشيري) ينشد اذا جلس اليه الصوفية وعليهم الهيآت والمرقعات ابياتا منها :

(4) عدد الربط والزوايا في ستة سبع واربعون محاذية للبحر داخل المدينة والارباض (اختصار الاخبار) لمحمد بن القاسم الانصاري (هسبريس م. 12 عام 1931 ص 155) .

اما الخيام فانها كخيامهـــــم الخ ...

ثم يقول اما الهيئات والمرقعات فمعروفة ، واما القلوب فمنكرة ، وكان الجنيد ينشد :

اهل التصوف قـد مضـوا
صار التصوف مخرقـــة

صار التصـوف ركـــوة
وسجـــادة ومـذلقـــة

غير ان الفكرة الصوفية ما لبثت ان تشعبت فتسرب اليها الانحراف والشذوذ بعد القرن الثامن الهجري على اثر انتشار الطريقة واندساس الادعياء في الزوايا والرباطات فانتحل الكثير المذهب الصوفي لاغراض لا تمت الى الروح بصلة واصبح التصوف عرضة للافتيات يستغله كل من يريد التوصـــل الى اغراض الدنيا عن طريق الشعوذة والتدليـس على العوام والدهماء فتجردت الطريقة من شتى مظاهـر الرواء والسمو والجاذبية والجمال .

وبدات الفكرة الصوفية المغربية تتبلور منـذ القرن الثامن محاطة بهالة من الشكليات المستحدثة ، وما زال التراث الصوفي يتضخم ويتسع الى اواخر القرن الثاني عشر حيث اتضحت الخطوط واكتملت الرسوم والحدود بفضل ذلك النبع الفيـاض مـن التآليف التي ترجمت للصالحين ومناقبهم وطرائقهم .

والحقيقة ان التصوف بدا يتدهور منذ اصبح في متناول العلوم تلوكه السنتهم في غير هـدى ولا اتزان ، ولن اضرب سوى مثل واحد وهو طريقة ابي محمد صالح دفين آسفي وتلميذ ابي مدين الغـوث فقد كان اماما ذائع الصيت يرد عليه الصوفية حتى من (مصر) للاخذ عنه وانتشرت طريقته خلال القرن السابع فكثر تلاميذه في (الشام) وبلاد الكنانة حتى مدحه البوصيري بقصيدة طويلة مطلعها :

قفا بي على الجرعاء من جانب الغرب
ففيها حبيب لي يهيم به قلبـــي

غير ان طريقته هذه التي كانت سنية المعالـم ما لبثت ان انحرفت بما دسه فيها الدخلاء والادعياء واصحاب الاغراض من الدجاجلة والملبسين .

وفي القرن الثامن ظهر (ابن خلدون) بكتابه « شفاء السائل » فرد الطرقية الى اصولها ، وحلل خصائص الصوفية الحقيقيين ليتميزوا عن الادعياء .

وفي القرن التاسع بـرز محتسب الصوفيـة الامام النقاد الشيخ (زروق) بكتابه « عدة المريـد الصادق في اسباب المقت في بيان الطريق وذكـر حوادث الوقت » وقد علل انتشار المبتدعة والادعياء بانتقاص الايمان والجهل باصول الطريقة واعتقاد ان الشريعة خلاف الحقيقة (وهذا عنـده من مبادىء الزندقة) وحب الرياسة مع الضعف عن اسبابهـا ، ثم اكد ان الصوفية الحقيقيين انفسهم عرضة للخطا وان مقالاتهم يجب ان تعرض على الكتاب والسنة وان الفقه والاصول شرطان في التصوف فلا تصوف الا بفقـــه .

وقد تعرض الى الاسس العلمية التي بنى عليها الطرقيون مددهم فذكر انهم قرروا مخالفة النفس بكل وجه ، وغلطوا في هذا الاطلاق لان المقصـود موافقة الحق بمخالفة النفس لا مجـرد مخالفتهـا واستشهد بقول عمر بن عبد العزيز « اذا وافق الحق الهوى فذلك الشهد بالزبد » .

وانهم تجردوا عن المعتادات بدلا من الانس بها وتغالوا في بعض المظاهر كتوفير ما تحت اللحيـة وادخلوا على انفسهم المشاق ، والاجر على الاتباع لا على قدر المشقة ، وقد اشار الى الفتنة التي وقعت في الاندلس في القرن الثامن حول قضية اتخـاذ المشايخ حتى تضارب الناس بالنعال وكتبـوا الى البلدان الاسلامية يستفتوا المؤلـف ، ولا شك ان شبوب تلك الفتن كان نتيجة مبـاشرة لانحـراف التصوف عن الجادة وتدخل العوام في دقائقه ، كما كان ابو المحاسن الفاسي ينهى عن ذلك مؤكـدا ان كتب الحاتمي وابن الفارض ، « تسد على الناس باب الفتح » حسب تعبيره ، ويدعو الى الادمان على حكم

ابن عطاء الله . والشعراني (5) نفســه كان ينهــى مريديه عن قراءة كتب التصوف والتوحيد المطلــق كمصنفات ابن عربي وغيره من « غلاة الصوفيــة » (البحر المورود ص 274) وهذا لا يتنافى مع ما جاء في (مقدمة اليواقيت والجواهر) من الدعــوة الى كتب ابن عربي فانه احترس هناك ـ كما يقول زكــي مبارك ـ حين اقنع المريد بأن ما جاء في كتب ابــن عربي مخالفا للشرع انما هو من وضع الدساسين .

وتتجلى نوعية اتجاهات (اليوسي) من خــلال اصناف المجالات التي خاضها تمحيصا وتوجيها في دراساته التي لا يزال الكثير منها مخطوطا (6) تخص بالتحليل منها ما يتصل بالجانب الصوفي من حيــاة الرجل وبالاضافة الى بحوث تقليدية تارة وتجديدية تارة اخرى في الاصلين وبقية العلوم الاثنــى عشر كانت (محاضراته) موسوعة رائعة رسم فيها صورة مكبرة عن عصره عززها بدراسات مدققة عن مظاهــر الابتداع المتبلورة في طوائف كالعكاكزة وهم فريق من الاباضية أو البضاضوة علقت فلول مبعثرة منها ق بعض المراكز ، وقد اخذ الامام اليوسي على نفســه تحليل خصائص الارادة الحــق في التصوف بصورة لا تترك مجالا للحياد الشاذ عن صفات المؤمن كمــا ورد في السنة ، ولذلك جاءت رسالتــه في (أدب المريد الصادق) تكملة لعدد من الدراسات حاولــت وضع هذه النقطة في اطارها الحقيقي الذي ما فتىء علماء السنة ـ وكلهم سلفيون ـ يخططون ابعادهــا المتوازية بين الفكرين في نطاق روحانية انسانية لا تهمل في كيان الفرد احد شقيه تحت تأثيــر الشق الآخر وبذلك تحدد تصور علماء المغــرب للتصوف الاسلامي فى هذا الاطار ، وقد ابى (اليوسي) الصوفي الا ان يدرج دراساته هذه في مدرجها السني العادي عندما كتب عن (التوسل) وعن (التقوى) واستغلال المومن لاخيه كما يقع لدى بعـض الشيــوخ مــع مريديهم ، فكانت رسالــة اليوسي (حــول اخــذ الصدقات والهدايا من المريدين) نقدا لاذعا لواقــع بلغ حد « الاقطاعية » في بعض الاحايــن ، ولكــن (اليوسي) الصوفي ظل اديبا في نقده يفرغ أفكاره في حكم وامثال لا تقصر المسؤولية على جانــب دون آخر ، فكانت رسالته (زهر الاكم في الامثال والحكم) حافلة بالتعريضات البريئة ، وكان السماع والحضرة قد اصبحا مظهرين بارزيــن في نشاط الطرقيــة الصوفية اتسما احيانا بسمات مخلة بآداب الاسلام فكتب (اليوسي) رسالته في (سماع الحضــرة) لتحديد ابعاد المشروعية والتنديد بالانحراف ، غير ان الاديب الصوفي لم ينس مراتع بداياته في أحضان الزاويتين الناصرية والدلائية فصب جام عواطفــه الفياضة في (نيل الاماني في شرح التهاني) وهــي (دالية) نهج فيها اليوسي نهج صوفية الشرق في تغنيهم بأمجاد رجالات افذاذ كالشاذلي الذي برز في بردة سيراء من خلال (دالية) الامام البوصيــري الذي امتدح بقصيدة رائعة ابا محمد صالح دفيــن آسفي) ومثلها (رائيته) التي رثى فيها اهل الدلاء . ومع ذلك فقد غلب في ادبيات اليوسي الدينية النقد المر للاوضاع الشاذة وخاصة في البادية التي كانت اكثر ايغالا في الابتداع واشد انحرافــا عــن الروح الصوفية لقلة السذاجة على اهل الذين كانوا يبلغون في التبرك بآثار الصالحين حد الشذوذ .

وكأني باليوسي قد استشف المستقبل الــذي اختلت فيه المقاييس وتشعبت الدعاوي واستفحلت النحل فاصبحت ترى أفواج الناس يقصدون ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه كل سنة للوقوف به يوم عرفة ويسمون ذلك حج المسكيــن وتجد آخرين يسمون انفسهم باهــل الخواطــر ، يتجمعون باحد مساجد عدوة الاندلس للتحدث عــن الخواطر وعرضها على الشيخ وتاويلها ، غير ان علماء

---

(5) ذكر (الشعراني) في تنبيه المغترين (ص 7) ان بعض الناس دس في كتابه « البحر المورود في المواثق والعهود » وفي مقدمة كتابه « كشف الغمة عن جميع الامة » ما يخالف ظاهر الكتاب والسنة وأثار ذلك فتنة في الجامع الازهر ولم تخمد الفتنة الا بعد ان ارسل النسختيــن الاصليتيــن المجازتين من بعض مشايخ الاسلام الى العلماء الازهريين للاطلاع عليهما ، وقد أشار (الشعراني) في كتبه الى ما استحدثه كثير من مشايخ وفقراء عصره مما يخالف السنة حتــى اصبحــت اصول التصوف غريبة عند منتحلي الطريقة .

(6) راجــع لائحــة مصنفاته آخــر البحــث .

الصوفية ظلوا حريصين على فضح الدجاجلة الذين يندسون في حظائرهم التماسا لاغراض الدنيا وحطامها ، على أن دعاة السلفية امثال الطرطوشي وابن العربي المعافري وابي محفوظ راشد من المغاربة وابن القيم وشيخه ابن تيمية وابن الجوزي من المشارقة قد تشبعوا هم انفسهم بالتصوف السني واذا رجعنا بين المتأخرين الى سيرة محمد عبده وجدنا تلميذه مصطفى عبد الرازق يؤكد في الكتاب الذي خصصه لترجمته ان الشيخ درويش اثر بتربيته الصوفية في الاستاذ ، ويعلل هذا التأثير قائلا : « اذا كانت التربية الحديثة تدعو الى تهذيب الاذواق بفنون الجمال الحسي فان التربية الصوفية تدعو الى تلطيف السر بانواع من الرياضة » ، وقد جاء في ملخص سيرة عبد المنشور في المجلد الثامن من المنار : « انه لكثرة الانهماك في الذكر والفكر والنظر في كتب التصوف والتنقل في أحوال القوم ومقاماتهم يخرج (أي الاستاذ) عن حسه ويسرح في عالم الخيال — أو عالم المثال كما يقول — فيناجي ارواح السالفين » ، وقد كان التصوف والتفسير هما « قرة عين الاستاذ » على حد تعبير (مصطفى عبد الرازق) غير ان (جمال الدين الافغاني) « خلع محمد عبده من التصوف بمعنى الدروشة والانقطاع الى التحنث والرياضة الى معنى للتصوف جديد » (ص 74) وقد ترجم محمد عبده شيخه الافغاني في صدر (رسالة الدهريين) فوصفه بأنه « حنيفي مع ميل الى مشرب السادة الصوفية رضي الله عنهم ».

وحمل (زكي مبارك) على الصوفية ما شاء له فكره الثائر وقلمه الجامح ولكنه عاد آخر الامر فقال في كتابه « التصوف الاسلامي » : « الصوفية هم الناس ومن عداهم اشباح بلا ارواح » (ج 2 ص 205) وقال : « ان الصوفية اعقل من الادباء واشرف ، سيلقى الصوفية ربهم راضين متسمين ، اما نحن فسنذهب الى النار في ركاب امرىء القيس الذي انذره الرسول » (ج 2 ص 322) .

وقد قدر للمعاني الصوفية الرقيقة ان تستهوي جميع أصناف المثقفين في مختلف العصور ، ولكن كل طائفة نظرت الى اسرار التصوف من خلال مزاجها واللون الخاص الذي تكيفت به روحها في الحياة ، وقد لاحظ ذلك زروق في قواعده (القاعدة رقم 59) .

واذا استعرضنا تاريخ الثقافة المغربية وجدنا ان اقطاب التصوف كانوا في نفس الوقت جهابذة الفنون وزعماء العلوم ، وقد قيل في العربي ابن ابي المحاسن الفاسي أن به ختم علماء المغرب وكذلك والده وعمه ابو زيد الذي افاض (ابو العباس المقري) في وصف غزارة مادته لعلماء مصر عندما سألوه عن علماء المغرب فشبهه بالجنيد كما شبهه غيره بالسيوطي لوفرة علمه ، وقد تمحض ابو زيد لتربية المريدين وتلقي الاوراد على سنة ، وذكر صاحب (الديباج) أن محمدا المقري تكلم في طريق الصوفية كلام ارباب المقال ودون في التصوف « اقامة المريد » و « رحلة المتبتل » و « كتاب الحقائق والرقائق » الذي شرحه (زروق) .

وقد تمخضت الحركة الصوفية عن نمو وازدهار الثقافة في ربوع المغرب لا سيما البادية ، ولا يخفى ما أسدته الزاويتان الناصرية والدلائية من اياد بيضاء في هذا الباب ، وقد كان في زاوية محمد بن سعدون السوسي تسعمائة طالب يكسيهم ويطعمهم من ماله الخاص ، وظل مستمرا على مبرته هذه اربعين سنة .

وكانت كتب التصوف تدرس الى جانب كتب الحديث والتفسير ، فهذا ابو المحاسن الفاسي يدرس (قوت القلوب) و (الاحياء) و (الشريشية) في آداب السلوك ، ويلتف حوله خلق كثير ، وفي آخر حياته نفض يده من سائر العلوم الاخرى . واقتصر على التفسير والحديث والتصوف ، وابو المحاسن هذا كان اذا توجه من فاس الى القصر تعطلت الاسواق او كادت لخروج الناس لمقابلته .

وهذا النفوذ الذي كسبه الصوفية حدا المرابطين والموحدين الى امتحانهم حيث استقدموا من الاندلس او افريقية امثال (ابن العريف) و (ابي الحكم بن برجان) و (أبى مدين الغوث) .

وقد هدأت نوعا ما حركة الامتحان في عهد المرينيين الذين لم يكونوا يخشون امتداد نفوذ الصوفية لان الدولة كانت قوية الجانب،وقد انصرفت الى اتمام صرح الحضارة المغربية التي بلغت في ذلك العصر ذروتها . لكن سقوط الدولة المرينية كان على يد الصوفية بسبب ما اتسم به بعض أمراء (بني وطاس) من ميع وانحلال .

فقد انتشرت شرارة الثورة السعدية من سوس فعمت البلاد ملتهمة ما تبقى من نفوذ (الوطاسيين) واغرب ما في الامر ان محمـــدا الشيـــخ مؤسس (الدولة السعدية) ما لبث ان انقلب على الصوفية فقد امتحن (ارباب الزوايا) منذ سنة 958 وذلك خوفا على ملكه لما كان للعامة في اصحاب الطوائـف من اعتقاد . وفي ايام زيدان تضعضع نفوذ السعديين واستقل (المجاهد العياشي) الصوفي بالامـــر في كثير من النواحي وكانت شوكة الصوفيـــة قويـــة وجانبهم منيعا حيث بلغت الزاوية الدلائية عنفوانها .

وقد قاوم زيدان احد الادعياء المتمهدين وهو (احمد بن ابي محلى) الذي توجه الى « بلاد القبلة » ودعا لنفسه فاستخف قلوب العوام .

ولما استقل الملوك العلويون بالنفوذ في المغرب قضى مولاي رشيد على زاوية الدلاء بعد معركة دارت بينه وبين اهلها في (بطن الرمان) اوائـــل المحرم عام 1079 هـ وهم السلطان المذكور كذلك بمحمد بن محمد بن ناصر وجهز « محلته » للزحف الى (زاوية درعة) ولكنه عدل عن ذلك بعد ان تحقق صدق ولاية الرجـــــل .

كما جدد المولى اسماعيل بعض الاضرحة التي لم تكن في ذلك العهد اكثر من مساجد تقـــام فيهـــا الصلوات وترتل فيها آي القرءان والاذكار والدعوات فلم ير الملوك ما يدعو الى استئصالهـــا بيـــد ان الاستعمار وصنائع الاستعمار افسدوا جوانب مـــن هذه الروح الطيبة التي كانت تسري في هذه البيوت الطاهـــرة .

ولعل من ابرز نماذج التصوف المغربـــي ، اي الفلسفة الروحية والخلقية المغربية ، رجلا تغلغلت مقالاته السيارة في قرارة النفوس فقومت أودهـــا طوال اجيال متوالية وطبعت التصوف المغربي بميسم خاص افرغت منه الحقيقة الصوفيـــة في قوالـــب شرعية وروح التوكل في صورة السبـب ولطائــف الروح واسرار النفس في اشكال مبسطة ، وذلــك الرجل هو سيدي يوسف الفاسي الفهري ــ ويمكن القول بان نظريات هذا الرجل الخلقيـــة والنفسيـــة والالهية تتركز فيها خلاصة النظريات المغربيـــة في هـــذا البـــاب .

ومن نظرياته الطريفة ان الرجل قد يؤخذ عـن العالم الادنى ليرقى الى العالم الاسنى ، وذلك عندما يتمحص صدقه واخلاصه وتضمحل انانيته فتتكشف في باطنه حقائق وتختلج في سره رقائق وتعرض له احوال وجدانية لا تنضبط ولا ترتبط بمعهود ، وقد تسمو روحانية الصوفي فيتجرد عن بشريته ويتحد، اي في التوحيد ، لان الفناء هو اتحاد بلسان المجاز وتوحيد بلسان الحقيقة . وهذه الظواهر كلها ذوقية وجدانية (فمن ذاق ــ كما يقول الشيـــخ يوسف ــ عرف ، ومن لم يذق فلا حرج اذا سلـــم واعترف ، وهذه لطائف تقصر عنها العبارة ولا تلحقها الاشارة اذ لا يفهم عنك الا من اشرق فيه ما اشرق فيك) .

قد تجلى أبرز مظهر للتصـــوف الحقيقـــي في المغرب في اقرار التسامح والسلام في المجتمـــع واسعاف طبقاته المعوزة واجراء الامدادات الموصولة لتخفيف وطأة البؤس ، فهناك مذهب صوفي مغربـي بحت ، يرجع الفضل في وضع اسسه ونشر دعوته لرجل من اهل القرن السـادس هو ابـــو العبـــاس السبتي (7) الذي كان يـرى ان لبـــاب القوانيـــن الشرعية هو الصدقة ، فكان يجـلس في الاسواق والطرق ليحض الناس على البذل والجـــود مرددا كلماته الخالدة :

---

(7) وجه ابن رشد الى مراكش عالما قرطبيـــا لدرس نظريته التي لاحظ انها مرتكزة على المبدأ القائل بأن « الوجود ينفعل للوجود » وقد لاحظ التادلي في ملحق التشوف (الاعلام للمراكشي ــ فاس 1355 ج 1 ص 240) انه « يـرد أصول الشرع الى الصدقة » وكان القرءان على طرف لسانـــه ؛ ولد سنة 524 هـ ومات بمراكش عـــام 601 وشيخه (الفخار) هو صاحب عياض « كان يجـلس حيث أمكنه الجلوس من الاسـواق والطـــرق فيحض الناس على الصدقة » وكان يعبر رفع اليدين للتكبيـــر بالتخلي عن كـــل شيء والركـــوع بالمشاطـــرة والسلام بالخروج من كل شيء وان سر الصوم الجوع وتذكر الجائع والزكاة التدريب على البـــــذل » .

(اصل الخير الاحسان واصل الشر البخل) ، وقد اشتهر مذهبه ايما اشتهار حتى وصفه معاصره (الحاتمي) في فتوحاته المكية بصاحب الصدق في مــراكش .

وقد كان لهذه الدعوة اثرها فاسست الملاجىء في مختلف انحاء المغرب حيث كان يأوى العجــزة والفقراء والطلبة فيجدون الطعام السائــغ والفراش الوديع ، وقد تنافس الصوفية في هذه المظاهــرات الاحسانية فاضطر الملوك الى المساهمــة فأسسوا الزوايا في الفلوات لايواء عابري السبيل واوقفوا لها الاوقاف الوفيــر .

ومن نماذج الاسلوب الادبي الرائع في التصوف ما كتبه ابن خلدون في مقدمة كتابه « شفاء السائل » حيث قال : « وقفني بعد الاخوان ابقاهــم الله على تقييد وصل من عدوة الاندلس وطن الرباط والجهاد ومأوى الصالحين والزهاد والفقهاء والعباد يخاطب بعض الاعلام من اهل مدينة فاس حيث الملــك يزأر وبحار العلم والدين تزخر وثواب الله يعد لانصــار دينه وخلافته ويدخر طالبا كشف الغطاء عن طريــق الصوفية اهل التحقق في التوحيد الذوقي والمعرفة الوجدانية ، هل يصح سلوكه والوصــول بــه الى المعرفة الذوقية ورفع الحجاب عن العالم الروحاني تعلما من الكتب الموضوعة لاهله واقتداء بأقوالهــم الشارحة لكيفيته فتكفى في ذلك مشافهــة الرسوم ومطالعة العلوم والاعتماد على كتب الهداية الوافية بشروط النهاية والبداية كالاحياء والرعاية ، أم لا بد من شيخ يبين دلائله ويحذر غوائله ويميز للمريــد ، عند اشتباه الواردات والاحوال ، مسائله فتنــزل منزلة الطبيــب للمرضــى والامام العدل للامــة الفوضــى » .

ثم تحدث عن اغراض التصوف ومصطلحاتــه فقال : « فببيان هذه الاصطلاحات يتضح الكثير من هذا الغــرض » .

غير ان هذه المصطلحات الصوفية المعقدة لم يدخل بعضها للمغرب الا في عهد المرينيين ضمــن التراث الاندلسي اذ ان كتب التصوف قبــل القرن الثامن كانت اشبه بكتب السير محشوة بآيات الوعظ القرآنية والاحاديث والاذكار النبوية .

وقد حفلت كتب الادب ، وحتى الفقه ، بالتعابير الصوفية من خلال الادعية والتوسلات والابتهالات .

ومن الاندلسيين الذين عاشوا فــي المغــرب وتأثروا بنسماته الصوفية ابن الخطيب (8) السلماني الذي استجلى بروحه الوثابة الشاعرة مخابر الفــن والجمال فقال : « الحب الحقيقي حــب يصعــدك ويرقيك ويخلدك ويبقيك ويطعمك ويسقيك ويخلصك الى فئة السعادة ممن يشفيك » .

وقد استوثق التبادل بين المشرق والمغرب في مظهريــن : اولهما انتشار طريقتيــن صوفيتيــن مغربيتين لكل من ابي الحسن الشاذلي الغماري وعلي ابن ميمون الفاسي صاحب كتاب « متفقهة ومتفقرة مصر والشام » (9) بالاضافة الى نفوذ (أحمــد البدوي) الفاسي دفين (طنطا) ، وثانيهما انتشار مصنفــات صوفية شرقية بالمغرب ككتاب الحكم العطائية الذي صار الناس يحفظونه عن ظهر قلب ، وقد علق عليــه العلماء في شروح وفيرة كشروح ابن عباد وزروق والقلصادي ومحمد جسوس الفاسي والحراق وابن عجيبة التطواني ومحمد بن عبد السلام بناني والشيخ الطيب بن كيران الخ . كما تبودلت رسائــل منــها جواب الشيخ الغزواني عن اسئلة الناصر اللقانــي

---

(8) في كتابه المخطوط « روضة التعريف بالحب الشريف » وقد نشر المقري جزءا منه في نفح الطيب في ترجمة ابن الخطيب (راجع كتابنا «الفلسفة والاخلاق عند ابن الخطيب » الــذي نال جائــزة « معهد مولاي الحسن » بتطوان عام 1947) .

(9) المتفقرة كالمتصوفة وهم الذين يتصنعــون الفقر وهو التصوف بلغة المغرب وهــي من الآيــة الشريفة « يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله ». ويظهر ان السبب في اقبال صوفية الشرق على كل ما هو مغربي الحديث الذي رواه مسلــم في صحيحه (باب الامارة) : لا يزال أهــل المغــرب ظاهرين على « الحق حتى تقوم الساعة » وقد كتب (ابن حجر) في (فتح البــاري) على هــذا الحديث مشيرا الى رواية اخرى عن احمــد انهم ببيت المقدس بدل المغرب وكذلك عن الطبراني بهذه العبارة « يقاتلون على ابواب بيــت المقدس » وفي هذا اشارة عميقة الى الوضع الحاضر .

المصري وهي نموذج التأويلات الصوفية المغربية للقرءان ، اما القصائد المغربية التي أصبحت تجري على السنة العامة ، فكثيرة منها ارجوزة حدائق الازهار في الزاوية لليازغي ، والمقباس للوزير الغساني وديوان الحراق الذي نحا فيه منحى ابن الفارض وابن عربي وعبد الغني النابلسي في (وحدة الوجود) والتلبس بما يسمونه (الحقيقة المحمدية)، ويعلو نفس الحراق احيانا فيكاد يطاول سلفه ابن الفارض في رقة الاسلوب وسمو المعنى ، ومما يتصل بالتصوف العام قصيدة لاحمد الشريشي السلوي الشاعر الطبيب وقد شرحها كل من احمد الصومعي واحمد ابن أبي المحاسن الفاسي وهنالك كتاب يمكن ان يعتبر خلاصة للادعية النبوية التي جرت على السنة الصوفية بعد القرن التاسع وهو « دلائل الخيرات » الذي شرحه أفراد من العائلة الفاسية وقد انتشر في العالم الاسلامي هو و (ذخيرة المحتاج) للشيخ المعطى الشرقي .

ومن هذه الفذلكة يتجلى لنا الوجه الحقيقي للامام اليوسي كانموذج لعالم صوفي كرس حياته للسهر على صدى تراث الاسلام السني في سويداء ابعاده المادية والروحية فرسم بذلك اروع صورة للفكر الاسلامي في موازنته بين الحسنيين وموازنته بين شقي الحقيقة الانسانية التي اصبح الكشف عنها يجلب الى حظيرة الحنيفية السمحة ملايين البشر ممن مجوا حياة الغربيين ذات الشق الواحد والرتيب الممل الذي تمخض عن ازمات نفسانية بسبب حياد هذه الفئة من البشرية عن فطرة التوازن بين متطلبات الجسم والروح .

لائحة مصنفات الامام اليوسي

1 ــ (تفسير الفاتحة) مكث فيه قرابة ثلاثة أشهر بمراكش (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 41 ح)

2 ــ (البدور اللوامع في شرح جمع الجوامع) (وللمحلى ايضا شرح عليه) وعليه حاشية لعبد الكريم بن علي اليازغي جمعها تلميذه محمد بن منصور الشفشاوني . ومعلوم أن محمدا بن قاسم القادري قد شرح خطبة جمع الجوامع في كراسين .

3 ــ (ارجوزة في فرائض الدين) (خع 1164 د).

4 ــ (تقييد فيما يجب على المكلف) (في كراستين).

5 ــ (شرح العقيدة الصغرى) للسنوسي (خم 6654) وله حاشية على عمدة اهل التوفيق والتسديد في شرحها (خع 1771 د) (وفي العقيدة الكبرى) (دار الكتب الوطنية بتونس ق 226 ــ س 33) .

6 ــ (نيل الاماني في شرح التهاني) نظم وشرح للقصيدة الدالية في مدح محمد بن ناصر الدرعي وتهنئته بعد رجوعه من الحج قصيدة التهاني في 500 بيت عارض بها دالية البوصيري في الشاذلي مطلعها : (عرج بمنعرج الهضاب الوارد بين اللعاب وبين ذات الارمد) . خم 5125 ــ 6550 ــ 7513 ــ 874 ــ 3302 ــ 5121 ــ 9558 .

خع 2459 د (م = 35 ــ 200) ــ 2253 د ــ 79 د ــ 1269 د ــ 712 د ــ 1282 د ــ 1604 ــ مونيخ 571 ــ القاهرة 17،272 .

(السلوة ج 1 ص 264) ، وقد طبع الشرح المذكور في مجلد ضخم بمطبعة الكوكب الشرقي بالاسكندرية 1291 هـ / 1873 ثم بالمطبعة الميمنية بمصر 1332 هـ / 1914 م.

7 ــ (قانون احكام العلم واحكام العالم واحكام المتعلم) (خع 2382 د) (319 ص ، ابرلين 195 خم 4251 ــ 1610 ــ 6443 طبع على الحجر بفاس في 218 ص عام 1310 هـ .

8 ــ (رسالة في المنطق) منقولة في القانون العام (خع 2295 د) (م = 66 ــ 74) .

9 ــ المحاضرات :

خع 2364 د (375 ص) خع 386 د ــ 1010 د سبع مخطوطات في خم من 6028 الى 7406 / مونيخ 571 / الجزائر 1896 طبعت على الحجر بفاس عام 1317 هـ / 1899 م.

10 ــ (القول الفصل في تمييز الخاصة في الفصل) خع 1072 د / خع 512 د .

11 — (تقييد) رد فيه على عبد المالك بن محمد التاجموعتي قاضي سجلماسة في قوله عليه السلام « أوتيت علم كل شيء » .

12 — (الفهرسة) : مات دون اتمامها في أربعة كــــواريس .

خع 1838 د (م = 41 — 88) / الخزانة الاحمدية السودية بفاس خع 1183 — 5470.

13 — (رائية اليوسي) (100 بيت في رشاد اهل الدلاء) شرحها لمحمد بن محمد البكري الدلائي (خم 8852) هي قصيدة في رشاد زاوية اهل الدلاء عندما هدمها المولى الرشيد عام 1078 هـ / 1724 م مطلعها :

اكلف جفن العين ان ينشر الدرا
فيابى ويعتاض العقيق بها جمرا

شرحها محمد بن احمد التادلي الدلائي (1137 هـ / 1724 م) وشر محمد الملقب بالبكري هو اكمال لشرح التادلي يقع في سفر وشرحها ايضا محمد بن المهدي بن سودة اعترض فيها على الشارح الاول في ستة أسفار ضخام .

14 — (رحلة) جمعها والده محمد قام بها عام 1101 هـ / 1689 م .

15 — تاليف في المكاكزة (مكتبة الكتاني المنقولة الى خع) (راجع رحلة اخرى في خم 2343) تقع في نحو كراسة خم 2998 .

16 — (رسالة في ادب المريد الصادق) (خع 2459 د) (م = 1 — 34) .

17 — (مشرب العام والخاص في كلمات الاخلاص) ويسمى « منهاج الاخلاص » (طبع بفاس) على الحجر في 419 ص — شرح كلمة الاخلاص (خم 1848 — 3065) .

18 — (رسالة في النسبة الحكمية بين الطرفين الموضوع والمحمول) (خع 2143 د) (م = 193 — 195) .

19 — (اخذ الجنة عن اشكال نعيم الجنة) (خم 6602) .

20 — (جواب لبيان ما يعترض فيه بقول العلماء) : « المراد لا يرفع الايراد » (خع 1755 د) (م = 142 — 143)

21 — (جواب لمن سال عن دليل ابطال حوادث) (لا اول لها اى التسلسل) (خع 1755 د) (م 153 — 160) .

22 — (نفائس الدرر في حواشي المختصر) (اى المختصر في المنطق) لمحمد بن يوسف السوسي (خع 623 د — 451 د — 271 د / مكتبة تطوان 82 — 276 / خع 2143 د — 2225 د — 2231 د (النص بدون شرح) — 2289 د (239 ص) ، دار الكتب الوطنية بتونس ق 55 — س 19 — ق 183 . س 22 يوجد شرحه في خع 249 .

23 — (منظومة في التوسل) (خم 916) وهي « السيف الصارم في قطع حبل الظالم » .

24 — (رسالة في التصوف) (خم 886) .

25— (الوصية بالتقوى) (خع 1816 د) (م 227— 248) .

26 — (وصية ابي علي لاولاده) (خم 1468 — 3555) / وصايا دينية (خم 2973) .

27 — (رسالة حول اخذ الصدقات والهدايا من المريدين) — (خع 2010) (م = 41 — 51) وقد وجهها الى المقدم الحاج علي وابي القاسم بن معمر .

28 — (ديوانه في الادب) خع 79 (116 ورقة) . وقد جمع ولده محمد هذا الديوان في مجلد وسط طبع بفاس عام 1338 هـ / 1920 م .

29 — (زهر الاكم في الامثال والحكم) خع 2096 د (م = 70 — 118) — خم 191 (305 ص) — 71 (مجلدان) خع 1001 د — 1159 د .

30 ـ (رسالتان الى السلطان مولاي اسماعيل)
(الاستقصا ج 4 ص 39 / الجيش العرمرم
لاكنسوس ج 1 ص 78) خع 1348د ـ 1611د
الرسالة الصغرى (خم 7150 ـ 7154 ـ5356
رسالة اجاب فيها السلطان عن طلبه السكنى
في الحاضرة دون البادية في ثلاثة كراريس
(توجد في الخزانة الاحمدية بفاس)

الرسائل الكبرى الى مولاي اسماعيل
(مكتبة الكتاني) .

31 ـ (حاشية على عمدة اهل التوفيق والتسديد)
للسنوسي ـ خزانة حسن حسني عبد الوهاب
(18282) .

32 ـ (رسالة في سماع الحضرة) (18078) .



من موضوعات عددنا الممتاز الخاص ب
القدس الشريف

- فتح القدس.
- القدس حاضراً ومستقبلا.
- ويسالونك عن القدس، قل هي عربية خالدة.
- صليت في القدس والحمد لله.
- القدس في ضمير كل مسلم.
- القدس أمانة في ايدي المسلمين.
- القدس والمغرب في اطوار التاريخ.
- القدس موطن الانبياء ومسرى الرسول الاعظم.
- القدس وفلسطين في كتب الرحالين المغاربة.
- المغاربة والقدس.
- القدس المسلمة.
- القدس والحملات الاستعمارية

ملامح من حياة

الفقيه المؤرخ محمد بن أحمد العبدي الكانوني

(1311 - 1357 . 1893 - 1938)

-5-

للأستاذ محمد ابن عبد العزيز الدباغ

لقد تحدثت في المقال السابق عن الكتب التي الفها الكانوني وعن تنوع موضوعاتها وعن ارتباطها بشؤون الدين والاخلاق والتاريخ والاجتماع .

واني ارى قبل الشروع في تفصيل الحديث عن بعض الكتب التي امكنني الاطلاع عليها ان اتحدث عن جزئيات اخرى تتعلق بحياته استمددت بعضها من كتبه وبعضها مما توصلت اليه من رسائل المستمعين للبرنامج الثقافي الذي ارسله على امواج الاذاعة الجهوية بفاس تحت شعار شاهد اثبات .

ان الفقيه الكانوني كان يمتاز بخاصيتين اثنتين لهما اثر كبير في الثقافة العامة :

الخاصية الاولى حرصه على تلقي العلوم مباشرة من افواه رجاله ، ولهذا كان يجول في مختلف الآفاق ليستفيد علما وليستمد من العلماء ما يذكي فيه روح المعرفة وما يعينه على الطلب .

الخاصية الثانية الكبابه على التثقيف الذاتي واشتغاله بمطالعة الكتب المفيدة والتنقيب عليها داخل الخزانات. وكان يملك من الاستعدادات الفطرية ما يجعله قادرا على هضم ما يقرا وعلى تمثله حين الاحتياج اليه ، وعلى ربط المعلومات بعضها ببعض. ولعل هذه الخاصية الثانية هي التي دفعته ايام اقامته بمراكش ان يفتح متجرا متواضعا لبيع الكتب عساه ان يجد في ذلك فرصة لارواء حاجياته الفكرية وللاطلاع على الانتاجات العلمية .

وبالفعل فانه قد استغل بيع الكتب للتثقيف الذاتي اكثر مما استغل ذلك للربح المادي فقد اعانته هاته العملية على التزود بالمعرفة وعلى النهل من ينابيعها ويسرت له الاستفادة من مختلف المصادر التي استدل بها داخل كتبه استدلال دراسة وبحث واستيعاب لا استدلال نقل واجترار .

ومن المعلوم ان هاتين الخاصيتين اللتين ذكرناهما كان لهما دور اساسي في الطابع الذي كان يطبع كتبه وفي المنهجية التي كان يسير عليها .

ونحن اذا حاولنا ان نحدد بعض اساتذته الذين استفاد منهم فسنجد ذلك في كتابيه : « الهداية والارشاد الى معالم الرواية والاسناد » و « صعود مراقي الاسعاد الى سماء الرواية والاسناد » ، ولقد

(1) كتب هذا البحث في حياة المؤرخ السيد عبد السلام ابن سودة الذي لم يبخل علي بما كان يعرفه عن الكانوني فجزاه الله خيرا ، وشاءت الاقدار الا يتم نشره الا بعد وفاته فليتغمده الله برحمته (توفي السيد ابن سودة يوم السبت 12 يوليوز سنة 1980 م موافق 28 شعبان عام 1400 هـ) .

اعتمد عليهما الاستاذ المرحوم برحمة الله الواسعة السيد عبد السلام ابن سودة (1) في ذكر شيوخ الكانوني حسب الترجمة التي رأيتها مكتوبة عند ابن المؤلف فقد قال :

انه طلب العلم على عدة اشياخ وذكر منهم :

من آسفي :

— السيد محمد بن احمد الشرتقي الآسفي

من فاس :

— القاضي محمد بن رشيد العراقي
— مولاي احمد المامون البلغيثي
— مولاي عبد السلام بن عمر العلوي
— ادريس بن محمد المراكشي
— محمد بن محمد بنسودة
— عبد الله بن ادريس الفضيلي
— محمد بن محمد بن عبد القادر ابن سودة

من الرباط :

— الشيخ أبو شعيب بن عبد الرحمن الدكالي

من سلا :

— الشيخ علي بن ابي بكر عواد

واذا اضفنا الى هؤلاء الشيوخ ما وجدته مشارا اليه داخل بعض كتبه المطبوعة او داخل بعض الرسائل الموجهة الي او داخل بعض كنانيشه المخطوطة فسيرتفع العدد ولا شك الى أكثر مما اقتصر عليه المرحوم السيد عبد السلام ابن سودة.

فمن هؤلاء : السيد ابو شعيب الصديكي اخذ عنه في مساجد دكالة (صفحة 43 من جواهر الكمال)

— السيد الطايع بن ابي العباس احمد بن حمدون ابن الحاج السلمي

— واخوه السيد محمد

اخذ عنهما بفاس (صفحة 54 من جواهر الكمال)

— السيد علي بن الزوين (صفحة 64 جواهر الكمال)

وفي كتاب جواهر الكمال (صفحة 55) ورد ذكر الفقيه مولاي احمد البلغيثي السابق الذكر،قال: .. وقد استفدت منه مشافهة بآسفي سنة 1345 ه بدار الفقيه العلامة السيد الحاج عبد السلام بن الحاج عبد الملك الوزاني بعض الاخبار وأجازني بعض كتبه .

ومن شيوخه حسب ما في كتاب دليل مؤرخ المغرب الاقصى أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التنيفي وهو الذي وضع من اجله صعود مراقي الاسعاد ، الذي سبقت الاشارة اليه ضمن كتبه .

ومن شيوخه الذين اجازوه الشيخ عبد الحي الكتاني حسب ما اشعرني به السيد ابن الشيخ عبد الرحمن في بعض رسائله وحسب ما ورد في بعض الاوراق التي خلفها الكانوني نفسه .

ان الذي يطلع على احوال الثقافة المغربية في اوائل هذا القرن سيعرف قيمة كثير من هؤلاء الذين ذكرناهم وسيعلم ان عددا منهم كان لهم ولع بالمخطوطات وان تأثيرهم على الكانوني سيكون واضحا في خلق تلك الرغبة الملحة على الاستفادة والاستزادة من تقصي الاخبار ، وان كنا نرى من بين الذين كتبوا الينا من يرجع اهتمام الكانوني بالدرس والاستفادة الى طبيعة قبيلته التي ينتمي اليها وهي قبيلة أولاد زيد فهو زيدي النسب رغم انه اشتهر بالكانوني ولا بأس ان نقدم للقراء هاته الوثيقة القيمة التي تتحدث عن نسبه ، وقد توصلنا اليها من السيد ابن الشيخ عبد الرحمن بتاريخ (4 – 4 1979) ولابن الشيخ هذا فضل كبير في التعريف بالكانوني ، قال في رسالته :

« سيدي محمد بن عبد العزيز الدباغ تحية وسلاما من انسان يقدر فيكم الاهتمام بما تركه لنا السلف الصالح ويرجو لكم كل هناء بال وراحة ضمير.

وبعد سيدي الاستاذ وعدناكم ووعد الحر دين على ان نرسل اليكم اصل تلك الدوحة الوارفة التي

وان جفت عروقها فان ظلها الوارف ما زال يستظل به العطش الى المعرفة والى ما تركه ابناء هذا الشعب من قلائد وذخائر فهو الفقيه السيد محمد بن احمد الزيدي الجحتي الكانوني العبدي .

لقد كان مولد الفقيه رحمه الله بقبيلة اولاد زيد المجاورة لمدينة آسفي وهي قبيلة حافظ رجالها على استقلال المغرب يوم كانت الدول المجاورة له تحاول الاستيلاء على شواطىء البحر الاطلنطيقي .

وتاريخ رجالات قبيلة اولاد زيد حافل بالمعارك التي كانت تقابل بها كل دولة تحاول الاقتراب من شواطىء البحر الاطلنطيقي ، اذ ان قبيلة اولاد زيد التي منها فقيهنا الكانوني تجاور البحر من مدينة آسفي الى مدينة الوالدية واضرحة رجالاتها ما زالت شاهد اثبات على ما بذله هؤلاء الذين دفنوا هناك من اجل المحافظة على حراسة الوطن العالي .

كما ان قبيلة اولاد زيد هي قبيلة عرفت بالمحافظة على كتاب الله تجويدا وقراءة ، وعرفت ايضا منذ القدم بدراسة امهات اللغة والفقه وهي حتى الآن تزود مدينة آسفي بالفقهاء والقراء وحفاظ كتاب الله .

ولهذه القبيلة عناية كبيرة جدا بتحسين الخط المغربي الجميل ، ولرجالها في الخط المغربي القدح المعلى .

وبهذه القبيلة وبالضبط بفخذة الحجوش التي هي فرع كبير منها ولد الفقيه الكانوني ، وبها نشأ وترعرع ، وعلى رجالاتها تكون ، ومن هممهم العالية استمد رغبة البحث وحب الاستطلاع على الماضي ؛ كما استمد منهم روح الثورة على كل ما هو مخالف وزائغ عن الطريق السوي والمحجة البيضاء ، اذ جده الادنى كان من الرجالات الذين ثاروا على الاقطاعي الكبير القائد عيسى بن عمر العبدي أيام كان الشعب قسمة جائرة بيد الاقطاع ، الشيء الذي كان العامل الاكبر لفرض الحماية والاحتلال الاجنبي .

وهكذا وبعد ما استكمل الفقيه الناشىء وعيه وحصل على ما بحصيلة رجالات القبيلة من قرءان وامهات لغوية وفقهية انتقل الى فاس ــ والكل بفاس ــ عمرها الله وعاد لها مجدها الماضي الذي لا ينكر . وبفاس لازم شيوخا كبارا واخذ عليهم ما هو في حاجة اليه من علم ومعرفة واجازه احدهم باجازة علمية تشهد بان الفقيه السيد محمد بن احمد العبدي الكانوني نبغ في شتى الفنون والعلوم .. وهذا المجيز ايها الاستاذ هو الشيخ عبد الحي الكتاني وشهادته في العلم حجة .

ومن فاس العامرة رجع الفقيه السيد محمد بن احمد العبدي الكانوني الى مسقط راسه ، ومنها الى ضريح الولي الصالح سيدي كانون ، اذ ان الفقيه استدعي الى التدريس بهذا الولي بشرط سنوي تؤديه القبيلة ، وهنا بضريح سيدي كانون تعرف عليه بعض الصلحاء ، من مدينة آسفي كان لهم ابناء يتلقون العلم هناك وجلبوه الى آسفي بعد ما تكفلوا له بما يقيم الاود والسكن .

وكان اشتغاله بالتدريس بسيدي كانون هو سبب تسميته بالفقيه الكانوني ، هذا مع انه زيدي من قبيلة اولاد زيد الشهيرة كما أسلفنا سابقا .

ثم تعرض في رسالته هاته الى خزانة الفقيه الكانوني فذكر انها انتقلت بطريق البيع الى الفقيه التطواني المؤرخ الشهير .

ومن الواضح ان هاته الرسالة تعد من الوثائق القيمة التي تساعد الباحثين على معرفة احوال الفقيه الكانوني وتيسر لهم تصور كثير من الصفات التي كان يتحلى بها ، كما تدل على شهرة ضريح سيدي كانون الذي ارتبط بالفقيه العبدي الزيدي ابن عايشة ، فصار نسبه يعرف بالعبدي الكانوني الى الآن .

ولا شك ان الذين استقدموه الى آسفي هم الذين لقبوه بهذا اللقب ليظهروا ميزته العلمية وليبينوا انه اذا أصبح مدرسا ببعض مساجد آسفي فهو ليس متطفلا على التلقين والتدريس بل انه كان اهلا لذلك قبل أن يصل الى مدينتهم ، فهو الفقيه الذي ارتضاه المسؤولون عن سيدي كانون ليكون مدرسا بضريحهم .

ولعل الضريح المذكور الذي ينسب اليه هو ضريح ابي العباس احمد بن الراضي الكانوني أحد

المجاهدين المسلمين الذين أبلوا البلاء الحسن في الدفاع عن البريجة ضد البرتغال ، وهو صاحب المدرسة الشهيرة للقراءات ، تلك المدرسة التي كانت مقصودة للناس من الجهات والتي كان يتولى فيها مؤونة من يتخرط فيها .

وهكذا نلاحظ ان رجال المغرب كانت لهم اهتمامات بالجهاد من جهة ، وبنشر العلم من جهة اخرى ، واستمرت هاته الروح فيهم الى الآن ، وقد ورث الناس عن طريق التواتر تقدير اولئك الذين كانوا يحملون لواء العلم والجهاد كالولي الصالح سيدي كانون هذا الذي ذكره الفقيه الكانوني في كتابه « جواهر الكمال » وقال عنه انه توفي حوالي منتصف القرن الثالث عشر بعدما اسن وعجز عن القيام ، وعليه قبة على شاطىء المحيط حيث اولاده وذريته » .

ويغلب على ظني ان النسبة ترجع الى احمد هذا وقد تكون راجعة الى كانون ذاته وهو السيد محمد بن علي الملقب بكانون ، وهو من اولاد مطاع دخل الى عبدة في القرن العاشر ، والى هاته الاسرة ينسب ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن الشيخ سيدي محمد كانون المطاعي ثم العبدي ، وهو الذي كان احد الزعماء الثائرين ضد البرتغاليين ايام زيدان ابن احمد المنصور السعدي ، ولقد انتشرت دعوته حتى كاد يستبد بالامر دون السعديين .

ومن المعلوم ان هؤلاء المجاهدين ضد البرتغال كان لهم صيت كبير في دكالة ونواحيها ، وظلت شهرتهم قائمة حتى بعد موتهم وبنيت عليهم القبب وشيدت ضرائحهم حتى اصبحت مشاهد الكفاح ورمزا للمقاومة . يقول مؤرخنا الكانوني عنه انه توفي مقتولا سنة ست وثلاثين والف هجرية ، ويوجد الآن ضريح عليه قبة تنسب اليه ببلاد السراغنة حيث ذريته من ذلك الحين الى الآن . ولعله نقل جسده من دكالة ودفن هناك رحم الله الجميع .

ان الكانوني اذن ارتبط بهؤلاء المكافحين فاشتهر بنسبته الى واحد منهم ، ولم يبق معروفا بزبيديته ولا بكونه الفقيه ابن عائشة ، وهكذا شاءت الاقدار أن يظل الكانوني في ركاب المجاهدين والمكافحين سواء في نشأته أو في لقبه او في تربيته .

انه واجه الحياة بقوة ونشأ يتيما ، ولكنه وجد في عم له خير مساعد فتعهده بالرعاية وارسله الى مدينة فاس لتلقي العلم بجامعة القرويين ، كما ساعده على الرحلة الى مدن اخرى حتى أصبح فيما بعد مدرسا قديرا وخطيبا مصقعا وواعظا ملتزما ومؤرخا دقيقا وناقدا نبيها ومطلعا مشاركا وبحاثة مواصلا لا يسام من الطلب ولا يستحيي من الخضوع لاجل المعرفة ، ومؤلفا بارعا يعتمد على منهجية عقلية تستمد تماسكها من اصول البحث العلمي ، وستلاحظ ذلك ان شاء الله فيما سنكتبه عن منهجيته وعن كيفية استغلاله للمصادر التي اعتمد عليها أثناء تآليفه ، وانا لنتمنى ان نجد في ذلك فائدة وان نجد متعة ، وان نكون قد حققنا جميعا تساؤلا كان يراود الكانوني في نفسه ، فهو كان يعمل بجد ويواظب على التحصيل ويؤلف ويجمع العلم ، ولكنه كان لا يدري من الذي سيرث علمه ، لهذا نجده قد كتب بخط يده في كناشة من كنانيشه بيتا من الشعر ينسب الى ابن ابي زيد القيرواني جعله تنفيسا لما يدور في خاطره وتعبيرا عما يحس به في أعماقه ، انه تقمص معناه حتى اصبح كأنه من نظمه .

يقول صاحب هذا البيت :

اموت ويبقى كل علم جمعته
الا ليت شعري من اذا مت وارثه ؟

وفي هذه الكناشة نجد بيتا آخر رواه عن صديقه المؤرخ سيدي محمد بن علي الدكالي ، وهو بيت يرفع الهمة ويقوي العزم ، قال ناظمه :

لا يبلغ المرء في أوطانه شرفا
حتى يكيل تراب الارض بالقدم

وكان السبب الدافع الى الاستشهاد بهذا البيت ، حث الكانوني على طلب العلم ودفعه الى الصبر اثناء اسفاره التي كان يقوم بها من اجل اكتساب المعرفة ، ومن أجل الاطلاع على المصادر المفيدة التي سنتحدث عنها في مقال آخر ان شاء الله .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

حدث أبو هريرة قال..

(طبع تونس 1973م)

للدكتور عبد الله الطيب

يخبرنا الاستاذ محمود المسعدي في مقدمته انه كتب هذا الكتاب منذ احقاب، اذ كان به يروم كما قال ان يفتح مسلكا الى كيانه الانساني ويقضي حجا الى موطنه المفقود، قال: « وقد طرحته طرح الحية جلدها ». وهذه عبارة علائية المعدن تنظر بعين الى قول أبي العلاء في مقدمة سقط الزند، انه قد رفض الشعر رفض السقب غرسه والرال تريكته وبعين اخرى الى ذكر الحية الذي استهل به ابو العلاء حديثه في رسالة الغفران من عند قوله: « ولا الناكزة بها غانية » الى آخر ما قال في ذلك الباب. السقب بفتح السين وسكون القاف الصغير من الابل بمنزلة الطفل من الناس والغرس بكسر الغين الجلدة التي تكون مع الطفل (الراء ساكنة). والرال بفتح فسكون فرخ النعامة، والتريكة بيضة النعام، والناكزة الحية التي تلدغ. غانية اي مقيمة.

لعل كتاب السد وقد صدر للمؤلف بزمان قبل صدور هذا الكتاب، قد الف بعده، الا ان اسلوب الكتابين متقارب كأنه واحد، اختلاف « السد » الكبير عن « حدث ابو هريرة قال » انه مسرحية ذهب بها في ظاهر شكلها مذهب ما يقال له الآن « اللامعقول » وهي ترجمة لاصطلاح افرنجي هو في الانجليزية THE Abusurd . وعندي ان قولنا « اللامعقول » ترجمة غير دقيقة، اذ كأن فيه اعتذارا للكلام المسوق على مذهب « اللامعقول » انه فوق مستوى الادراك المالوف فلا بد لقارئه او سامعه من مجهود زائد ليدرك معناه الذي هو وراء ظاهر ما يتناوله حس العقل. على ان قولهم THE Abusurd يدل على ان الكلام هتر وسقط غير مفهوم يراد به تمثيل الضلال الذي يعيشه عصرهم.

بعض ادبائنا ياخذون بمذهب اللامعقول تقليدا كأخذهم بغيره من ابواب الباطل كالشعر الحر مثلا مما يقدم على اكثره بداعي الفتنة، اذ ليس له بطبيعة الفكر العربي من صلة واشجة او نسب. فبعضهم ياخذون به وما اشبهه املا ان يجدوا في ذلك ما يستترون من ورائه فيتمكنون ان يقولوا من خلف حجابه وستره ما لا يستطيعون ان يجهروا به او يبينوا ان هم عمدوا الى الاساليب الواضحة المالوفة.

ليت شعري هل كتاب المسعدي السد وكتابه هذا ايضا كلاهما من هذا الضرب؟ ذلك بأنه ممن يضن بمثله على التقليد البحت اما يحس في انفاس كلمه من نقس اصالة البلاغة العربية.

الفصل الاول من « حدث ابو هريرة قال » حديث البعث الاول. وقبله بيت لابي العتاهية:

طلبت المستقر بكل ارض
فلم ار لي بارض مستقرا

جعله المؤلف لكتابه الفاتحـــة وعنونه بذلـــك فتامــــل .

وفي نعت « البعث » بالاول ما يوقف عنـــده . فهل عنى عالم الذر ، قال تعالى : « واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » الآية ؟ او هل عنى خلق آدم او النطفة التي يتكون من خلقها الجنيـــن ؟ ولا يخفى ان في ذكر البعث بعد ابي العتاهية وشعـــره نوعا من المناسبة لكثرة حديـــث أبي العتاهيـــة عن الموت . وقد اتهم بالزندقة .

وعند المستشرقين في ما زعمـه نيكلسون في تاريخه للادب العربي انه هو والمعري اشعر الشعراء المحدثين خلافا لما عليه نقاد العرب مــن تقديــم المتنبي وصاحبيه المجتري وأبي تمام .

ونتسـاءل عن ابي هريرة هذا الذي بنى عليــه المسعدي حديث كتابه « حدث ابو هريرة قال » لم وسمه باسم ذلك الصحابي الجليل ؟ وقد نرى انــه يدعوه صاحبه الى ترك صلاة الفجر في وقتها فيفعل ذلك ويرافقه في رحلة على نجيدين ، كما في رسالة الغفران، ليشهد منظــر فتــاة وفتى يرقصــان « الاوبرا » و « الباليه » ويصليان صلاة وثنية بالفاظ تستلبانها من القرءان :

سـلام على الـــروح
يســرى على يســر

سـلام على النـــور
سـلام على الفجـــر

وانظر الى هذا التشبيه : « ثم انقضت مــن صوت المزمار قوته فارتد رقيقا كأنه وحي مــن الله أو همس الشياطين » . لا يخفى ان قوله : « فارتد رقيقا » محاكاة لآية يوسف : « فلما ان جاء البشير القيه على وجهه فارتد بصيرا » وما استبعد ان يكون الكاتب لسعة اطلاعه وازدحام انواع المعرفة عليه قد رام اصابة جانب من معنى قوله تعالـــى في سورة الحج : « وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله ءاياته والله عليم حكيـــم » . فلم يصحبه التوفيق ههنا ، اذ الجمع بين وحي الله سبحانه وتعالى وهمس الشياطين الملاعين في قرن واحد من المنكرات .

والفصل الثاني وعنوانه حديث المزح والجـــد بدايته اقرب وايسر مأتى من سابقه . قال : « حدث رجل من الانمار قال : كانت ريحانة من سباياـنـــا . سباها في بعض غزواتنا بالحيرة رجل منا يقال لـــه لبيد وهي لا تزال صغيرة مرسلة الشعر ، فنشأت فينا . وكانت حسناء غريبة الحسن . كأن في عينيها نارا وبفيها ماء حميما الى آخر ما قال » . قلـــت والعجب للرجل القاص ممن سماهم الانمار ، نكـــره فلم يعرفنا اسمه وسمى جاريته التي يحدثنا عنهـــا والغزوة التي سبيت فيها والرجل الذي سباهـــا . وقوله : « كأن في عينيها نارا » يحتمـــل . ولكـــن قوله : « وبفيها ماء حميما » يوقف عنده . فان يـــك اراد به صفة لهيب الغرام وتوقده مع ما يرى للماء من ترقرق فان ماء حميما التي اختارها وانما جاء بها من قوله تعالى : « وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم » . ومن قوله تعالى : « من ورائه جهنم ويسقى من مـــاء صديد » ، من صفات أهل النار والعيـــاذ باللـــه . و « مرسلة الشعر » عبارة جميلة اخذها من ذوائب ابن الخطيم (1) .

وسرعان ما ينقشع اسماح الفصـــل الثانـــي ويسره ويكاد الكاتب تنقطع مادته ويقلبه الاعياء بعد الخبر الذي ساقه على لسان ريحانة انه كان لقومها عن اساف ونائلة غير الخبر المعروف وانه مكنون في صدرها الى أن يتوفاها حمام الموت .

ومن الفصل الثالث الى آخر الكتاب تختلـــط الصور وكأنها اضغاث احلام . ومع ذلك يربط بينها احيانا بانسياب واحيانا بتعثر وتكلف وصناعة خيـــط اسلوب واحد ذي نفس او ذي كنفس « كما يعبـــر

---

(1) قال قيس الخطيم في عمرة الخزرجية :

ولم ارها الا ثلاثـــا على منـــى — وعدي بها عذراء ذات ذوائـــب

اصحاب متون الفقه احيانا » من عربية واصالة ما او محاولة اصالة ما . خذ هذه الامثلة :

اولا في ص 53 ـ 54 : « ولم ار كالاصنام ظاهرها الروح وتملك الجسد . فاردت أن اثنيه عما اخذ فيه من مبهم القول ، فقلت : ماذا صنعت بعد الانصراف من الضعية ؟ واين الجواري والفتيان وصحبنا وريحانة ؟ وما خبر البيت ؟ قال : ملكت ريحانة عن نفسها فاردفتها الى مكة وانطلقت بها في ليل يحجب عنها جسدها . فما كدت ابرح الضيعة حتى جاءت المعصرات بالانواء . وكان البرق يستطير فتنطلق السماء وركامها والاشجار والجبال وتقوم عصا الطريق فترتمي جميعا في وجهي وسيل الماء يكاد يجرفنا والفرس . وتهيج الكون حتى كانه جهنم الشياطين ولا نار . وكانت ريحانة تقول : يا ابا هريرة ذهبت ناري وتبكي . وكنت لا اعي فالمطر فالريح فالشدة فانا املأ ما اكون » .

ثانيا في ص 64 ـ 65 : « وكان ابو هريرة في اولها يكثر من الانصراف ويدعني بالبيت فلا يرده علي الا الغداء او العشاء . وكنت كلما دخل البيت وجد العنبر والمسك والعود قد نثرت فيه والوان الطعام قد صففت ودعت بالافواه ، واطيب النبيذ والريحان قد تضوع وفاح ، فيضيء انشراحا ويصرف سروره الى ويقول : لقد علمتني الطعام ما لذته وما سكرته فهل علمتك يا ريحانة الجوع ؟ فاقول نعم ولكنني مكتفية بك ، ويجلس فاغنيه ويأكل ويسقيني . وكان كلما اتى طعاما اخذه خشوع غريب ، وسمعته يقول يوما وشواء بين يديه يتقاطر : ما اعظم الشواء يستحيل الى دمي ثم تامله طويلا وقال : هذه متع الدنيا .

« وكنا كثيرا ما نجلس للطعام بفناء البيت والشمس علينا . فيعبث بكاسه في النور ويقول : يا لهفي على خمري تغشاه ظلمات الاحشاء . وددت والله لو تبع البصر ضياءه فيها . ثم يشرب قدحه صبا فيغيب بصره وكانما جره النبيذ الى غيب احشائه . وكان اذا اراد الطعام تطهر له كتطهره للاحرام » .

ثالثا : ص 68 ـ 69 : « وان لك يا ريحانة سابقات فهل لك في قصة احبهن الي . قلت : هات خبرك . قال : لم تقبل علي من النساء الا جارية واحدة في شبابي . فقد كنت اطوف بالكعبة كل يوم واقف على الحجر الاسود استغفر به واستغخصه . فارى جارية تخرج الى شأن لها من بيت هناك . تفعل ذلك كل يوم وتسترق النظر الي حتى ملكت بصري واصبح الطواف والحجر الاسود سرابا في عيني . وتجرات يوما ، فاومات اليها ان تلقاني عند الصفا ليلتنا تلك . فلما جاء الليل سبقتها اليها » .

رابعا : ص. 9 : « اتذكر صبانا ؟ كنت اشهد سباق الخيل ، فلا ينتهي السابق الى القصب حتى اكون قد استفرغت في قلبي جهده وسرقت تعبه . وكنت الاعب اترابي في الحي ، فنكون ملوكا كملوك الروم وطيورا وسباعا ورياحا عاصفة ونستوفي جميع ما خلق الله . فكان يبلغ بي الود والشوق مبلغه ، حتى لقد تشبهت يوما ببعض قطاع الطريق ، فتلبست به ، فلم اطلق اصحاب القافلة الا بعد أن عقلت رواحهم وشددت عليهم حتى بكوا وعلت اصواتهم صياحا . ثم افقت فاذا قد مزقت ثياب اصحابي تمزيقا واوجعت اكثرهم ضربا وشكوني الى امهاتهم » .

حسبنا هذه القطع الاربع فهي على كثير غيرها مما في الكتاب تدل ، اللهم الا ما يقع فيه احيانا من محاولة الكلام الموزون المقفى مثل القطعة التي اولها : « ان نفسي لحميم » في ص. 47 و ص 48 والابيات الرائية في ص. 66 :

تراكض لدى قلبي
خيول كرؤى السحر

يدوي عصفها الدنيا
ويذرو جبل الصخر

والتي في ص. 67 :

مضى دهر به كنا
وجدنا جدة العمر

وشاح النور ريحان
وقرت خلجة الفجر

اي يا ريحانة على الترخيم .

في المثال الاول اشارة الى قول ابن ابي ربيعة:

وكم من قتيـــل لا يباء بــــــه دم
ومن غلق رهنا اذا ضمه منـــــى

ومن مالىء عينيه من شيء غيـــره
اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فلم ار كالتجمير منظـر ناظـــر
ولا كليالي الحج افلتـن ذا هـــوى

والابيات مما اختاره المبرد في الكامل . وقد اخذ المسعدي من ابن ابي ربيعة وشعراء الغزل على زمانه فكرة الرمز بالكعبة والحج الى مسائل الحـب والغزل . واضاف الى ذلك الاخذ من اخبار السيرة كالذي اكثر فيه من ترداد اسم اساف ونائلة وقـد صنع لهما نشيدا وثنيا مطلعه :

اســـاف ونـائلــــة
اوقـــدا جذواتـــــي

اســـاف ونـائلــــة
وانفيـــا عبـراتـــــي

وكانهما عنده كناية عما يسمى الآن الحب الحر اي الرفث بلا عصمة ، وكانه قد حولهما الهين وثنيين كما كانا صنمين في الجاهلية . قالوا كان اول امرهما انهما رجل وامراة من جرهم ثم فسقا في الكعبـة فمسخا حجرين ثم عبدهما الناس .

وهل نظر المسعدي في بعض ما قال محيـي الدين بن العربي في الفتوحات المكية ، اذ ينظر الى بنية الكعبة ويتأملها بذهول رمزي ذي حيوية عجيب؟

وريحانة المسعدي منظور في اختيار اسمهـا الى خبر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ولعله لم يخل من نظر اليه ، اذ اختار لسابي ريحانته اسم لبيـد فكلاهما جاهلي اسلم وكان له مع عمـر حديـث ، وريحانة اسم اخت عمرو واليها اشار بقوله :

امن ريحانة الداعـي السميـــع
يؤرقني واصحابـي هجــــوع

وكان قد وقع عليها سباء ، وكانـت السبايـا يرتدفن وقد قالت كبشة اخت عمرو هـذا تعيـره القعود عن الثـأر :

فان انتمو لـم تثأروا بأخيكمـو
فمشوا باذان النعام المصلـم

ولا تردوا الا فضـول نسائكـم
اذا دهبت اعقابهن مـن الـدم

ولعل كبشة وريحانة شخص واحد .

وجعل المسعدي من ريحانة رمزا للشهوة وقد مر انها من السبايا وزعم على لسان من زعمـه ابـا هريرة أو باسم ذلك الصحابي الجليل رضي الله عنه سماه ، انه ملكها عن نفسها واردفها الى مكة فتامل .
. . . اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

لا على عهد التحصن وضـرب الخمـر على الجيوب ولكن على عهد الجاهلية الاولـى و « مـن يعيرني تطوافا » والمكاء والتصدية والحنث المظيم . التطواف بكسر التاء خرقة كانت تستتر بها التـي تطوف عارية أو شبه عارية . والمعصرات والانـواء والخراب بعد الذي ذكره المسعدي من شراب وغناء منظور في ذلك الى خبر الجرادتين اذ غنتا وقد عاد اذ شغلوا بهما عما قدموا اليه من الاستسقاء لقومهم فرفعت لهم سحابة العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا « بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليـم » . لفظ المعصرات قرآني وكذلك الركام . والشجـر والجبال في هذا السياق يتضمنان نظرا الى سجدة آية الحج .

وهي عند الامام مالك رضي الله عنه (واهـل تونس على مذهبه الا ما قل) : « الـم تـر ان الله يسجـد له من في السماوات ومـن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر ... » تامل قول المسعدي : « والاشجار والجبال وتقـوم عصا الطريق فترتمي جميعا على وجهي » أليس هذا بسجدة أو كالاشارة الى السجدة ؟

وفي المثال الثاني لمح نحو خبر زكرياء (بالمد كما في قراءة نافع وابي عمرو) ومريم عليهما السلام: « كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا

قال يا مريم اني لك هذا » . تأمل قول المسعدي : « وكنت كلما دخلت » الى قوله « والوان الطعام » ، وقوله : « فيضيء انشراحا ويقول لقد علمتني الطعام ما لذته » . وتأمل قوله : « أخذه خشوع غريب » ، وفي خبر زكرياء عليه السلام في سورة الانبياء كما تعلم أيها القارىء الكريم قوله تعالى : « فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » .

وقد ضمن الكاتب لمحه الى القرءان الكريم واخذه منه لمحا الى الشعر كقول امرىء القيس :

الم ترياني كلما جئت طارقا
وجدت لها طيبا وان لم تطيب

وكقول الاعشى :

اذا تقوم يضوع المسك أصورة
والزنبق الورد من أردانها خضل

نفس كلا هذين البيتين في قوله : « وكنت كلما دخل البيت وجد العنبر والمسك والعود قد نثرت فيه الخ » .

وأمر الطعام والنبيذ والشراب وانس الحسان مما قصائد الجاهليين به مفعمة : قول امرىء القيس مثلا :

نمش بأعراف الجياد أكفنا
اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وفي حديث المسعدي ههنا الفرس والشواء والجارية . وقوله « وكنا كثيرا ما نجلس للطعام بفناء البيت والشمس علينا » كانما ولده من أبيات امرىء القيس المعروفة :

وقلنا لفتيان كرام الا انزلوا
فعالوا علينا فضل ثوب مطنب

واوتاده مأذية وعماده
ردينية فيها أسنة قعضب

فلما دخلناه اضفنا ظهورنا
الى كل حاري جديد مشطب

نمش بأعراف الجياد أكفنا
اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

واستحالة الشواء دما في قوله : « ما اعظم الشواء يستحيل الى دمي » ، وبعده قوله : « يا لهفي على خمري تغشاه ظلمات الاحشاء » كأنه مولد من بعض ما يذكر من خبر المسيح عليه السلام: « واخذ خبزا وشكر وكسر واعطاهم قائلا هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم واصطنعوا هذا لذكري ، وكذلك الكاس ايضا بعد العشاء قائلا هذه الكاس في العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم » . (انظر الكتاب المقدس العهد الجديد) .

هذا والمثال الثالث يشير الى الخبر عن أبي هريرة اذ كان على درسه فراى عائشة بنت طلحة تجتاز في بعض شأنها مسرعة فزعموا انه قال كأنها من الحور العين او كأنها خرجت من الجنة والخبر فيما نرجح مصنوع لورع أبي هريرة رضي الله عنه ولكثرة امثال هذا الخبر على السن الشعراء في الجاهلية والاسلام . قال النابغة :

لو انها عرضت لاشمط راهب
عبد الاله صرورة متعبد – الخ

وقال كثير :

رهبان مدين والذي عهدتهم
يبكون من حذر العقاب رقودا – الخ

وقول المسعدي : « واقف على الحجر الاسود أستغفر به واستخمضه » فيه نظر لما يروى عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في هذا المعراض . وتأثر المسعدي بالمعري لا يخفى . وحديث أبي العلاء عن البيت والحج والحجر الاسود في اللزوميات وغيرها معروف .

والمثال الرابع اقل الامثلة التي ذكرنا خفاء معنى . يقص الكاتب علينا فيه قصة ذكرى من عهد الصغر ثم يدرجها في نطاق الاحلام التي صاغ على طريقة تواردها على النائم بعض كتابه ؛ تأمل قوله : « ثم افقت فاذا انا قد مزقت ثياب أصحابي تمزيقا وأوجعت اكثرهم ضربا وشكوني الى أمهاتهم » . ولعله مزق ثياب أصحابه في الذكرى التي تذكرها

وشكوه بها ثم جعلها حلما كما ترى وخلطها بما كان جاء به وما اتبعه من بعد من اضغاث صراع الحياة .

هذه القطعة بوضوحها النسبي تنبهنا الى ان المسعدي قد نهج منهج الدكتور طه حسين في مراعاة نقاء العربيه وفصاحة اللفظ ، ثم له مع ذلك رنة اسلوب الدكتور طه حسين رحمه الله . هذه الرنة الطاهية شيء احتفظ به المسعدي في كتابه « حدث ابو هريرة قال » من أوله الى آخره الا ما قدمنا من محاولة الموزون المقفى وهي عينها رنة اسلوبه في كتابه « السد » . تأثره بنغم طه حسين رحمه الله وطريقة رنين موسيقا اسلوبه أمر لا مدفع له ، غير أن ألفاظ المسعدي كأنهن امضغ وربما دنون قليلا الى مذهب مصطفى صادق الرافعي رحمه الله في اختيار اللفظ الجزل مع الصناعة واحسب انه لا يصيب الجزالة في ما يجيء به موزونا ؛ مع هذا رنته الطاهية اظهر ؛ غير انه ينبغي أن نحترس فنقول ان رنة اسلوب المسعدي ليست في ذات نفسها بشيء مستعار ، ولكنها شيء منبعث منه عن نوع أصالة لا يقدح في ذلك شدة تأثره بغيره على نحو ما ذكرناه .

يبقى بعد هذا كله أمر غموض المسعدي وخفاء مـــراده .

عم كنى الكاتب بأبي هريرة ؟ عم كنى بالفتيات والفتيان والرقص والجحيم ؟ ما اساف وما نائلة . وهذا الاقحام لمكة والمدينة والبيت والحج ؟ ما هذه الاحلام التي تخلط بين ستة الشورى وقيام الساعة وابن بطوطة ودهليز الدين ونفخة اسرافيل ؟ — « اضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين » — لو قد كن حقا هن اضغاث أحلام .

البيان العربي من ائتلاف عناصر ثلاثة . العنصر الاول هو الروح الدافع وهو نغم الكلام الخفي المختلج في النفس الذي يريد أن يظهره البيان . العنصر الثاني هو اللفظ ويعبر عن هذه الموسيقا الداخلية كما يعبر عن معان معقولة واضحة الدلالة . العنصر الثالث هو المعنى وهو ظاهر يصلنا من دلالات الالفاظ الواضحة وباطن يصلنا من الايحاء الكامن في نغم الكلام وموسيقاه الداخلية . ائتلاف هذه العناصر الثلاثة معا حتى يصرن كلا واحدا أمر بين جلي في الشعر الجيد مثلا خذ معلقة زهير وتأمل قوله فيها :

وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته أو نقصه في التكلـــم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

كما ههنا حكمة ، ههنا ايضا تعريض حاذق دقيق بضروب من البشر شهدوا أندية الصلح في أمر حرب داحس والغبراء . (هذان البيتان عندنا من شعر زهير بلا ريب وبعضهم لم يروهما لــه) . هذا ، ولله در البحتري ، اذ يقول في ابن الزيات :

لتفننت في الكتابة حتى
عطل الناس فن عبد الحميد

فى نظام من البلاغة ما شك امرؤ انه نظام فريد

(أى نظام عقد فريد) .

وبديع كأنه الزهر الضاحك فى رونق الربيع الجديد
مشرق فى جوانب السمع ما يخلقه عوده على المستعيد

مستميل سمع الطروب المغنى
عن أغاني مخارق وعقيد

حجج تخرس الالد بالفا
ظ فرادى كالجوهر المعدود

ومعان لو فصلتها القوافي
هجنت شعر جرول ولبيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا
وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأ
دركن به غاية المراد البعيد

وربما حسن هنا ان نستطرد فنقول ان هذا السهل المتنع الموجز من كلام ابي عبادة رحمه الله احوى لاصناف من تحليل اسرار البيان من كل ما اسهبه عبد القاهر رحمه الله في كلا « دلائله وأسراره » والناس بهما جد مفتونين وقد نسب قوم كل ابداع البلاغة الى النظم ولا يعدو النظم انه أحد عناصر البلاغة كما قال البحتري :

فى نظام من البلاغة ما شك امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد

اذ هو ائتلاف عنصري اللفظ والمعنى في نظام جيد النسق انيق الرونق كما ذكر ابو عبادة ههنا . ويبقى بعد امر ائتلاف عنصري اللفظ والمعنى مع نغم الكلام وموسيقاه الداخلية ، وهذا لا يستطاع « بالتحليل الاكاديمي » كما نقول الآن ، ولا بالتحليل المنطقي كما حاول قدامة ، ولكن يدركه الذوق . والى ذلك فطن ابو عبادة اذ قال :

حزن مستعمل الكلام اختيارا
وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فادركـ
ـن به غاية المراد البعيد

وقوله :

مستميل سمع الطروب المعنى
عن اغاني مخارق وعقيد

فيه تنبه على النغم والرنين الداخلي . وقوله من بعد :

ما اعيرت منه بطون القراطيـ
ـس وما حملت ظهور البريد

كالتاكيد لما تقدم . وفي شعراء ابن قتيبة حيث ذكر أن من الشعر ما له حلاوة من غير كبير طائل شرف في المعاني كالاشارة الى بعض هذا . وقد عورض ابن قتيبة حيث ذكر ابيات كثير عزة واحسب ان مراده قد خفي على غير واحد ممن عارضوه والله تعالى اعلم .

من عناصر البيان الثلاثة التي ذكرنا عنصر غيابه هو الذي نشأ عنه خفاء مراد المسعدي وغموضه في « حدث أبو هريرة قال » . أصاب المسعدي رنة نظام لفظ وائتلافه . ولكن ذلك يحمل الينا اشباحا من المعاني والنغم الداخلي لا بيانا ناصعا . وانما الاشباح بالنسبة الى ما يرمز تمثيله من أرواح واجساد اشياء مبهمات وصور مشوهات .

الروح الذي هو سر البيان ويدركه القلب والذوق بلا عناء لا بد له من المعنى المعقول الواضح الذي من وراء ظلاله وايقاعه يكون التأثير والايحاء . اذا ائتلف المعنى والنغم الداخلي وتعثر اللفظ وهو جسد الكلام ، جاء الكلام كزا شحيحا ذا عقد وهذا ما عناه البحتري رحمه الله حيث قال :

حزن مستعمل الكلام اختيارا
وتجنبن ظلمة التعقيد

واستشهد ابن قتيبة بقول الفرزدق :

والشيب ينهض بالشباب كأنه
ليل يصيح بجانبيه نهار

تعثر المعنى هنا سببه قصور اللفظ كما نبه ابن قتيبة .

وقول كثير عزة :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطي الاباطح

فيه حلاوة المعنى واللفظ مع نغم حلو من موسيقا الكلام . وفطن ابن قتيبة رحمه الله الى جميع هذا . وأتي من جهة طلبه الشرف للمعنى لا الاكتفاء بالحلاوة وحدها ولعله لم يخل من بعض التحامل على تشيع كثير والله تعالى اعلم .

ونتساءل ما المعاني التي ضن بها الكاتب علينا أو حقا ضن بها عن التعبير فجثمت جثوم ظلام على اشباح معانيه وبعض لفتاته التي قد يحس منها بعض ما ينبو عنه الذوق ؟ مع الجمجمة والاحجام عن صريح البيان أسرف الكاتب في الاشارة الى كتب واشعار واخبار لا يعلمها اكثر القراء في العالم العربي المعاصر ، وقد يحمد له ان ما صنعه قد يغري بعضهم أن يطلعوا على القديم . الا ان طابع الانغلاق الذي وسمه به ربما نفر اكثر من ان يكون يغري . ان

القارىء لن يسلم بحال بعد اقباله على « حدث ابو هريرة قال » بانشراح نفس ليستمتع ويستزيد من ان يحس بعد انحسار السطر بعد الاسطار والصفحة بعد الصفحات بخيبة امل شديدة . حتى اشباح المعاني المبهمة في الكتاب يخالطهن نوع تكرار واخلاء ، أي فقدان للزيادة في المعاني والبيان .

هل يتم القارىء الكتاب على ما في ذلك من جهد وعناء ؟

هل يطبقه وهو على ما فاته من مغلق اسراره حزين ؟

اله ام ليست له اسرار ؟

ام هي يد فكر حريص حديث تعطو لتنال ، فلا تقدر ان تنال ، وليس ثم يا للاسف ويا للصنيعة ما ينال أو يمكن أن ينال ؟

ولله در ابي الطيب رحمه الله اذ قال في زمانه القديم :

ابلغ ما يبلغ المراد به الطبـ
ـع وعند التعمق الزلل

والحمد لله أولا وأخيرا .

فاس : د. عبد الله الطيب



التاريخ الأدبي بالمغرب
في العصر الحديث

للأستاذ الحسن الشاهدي

عرف المغرب في النصف الاول من القرن العشرين حركة فكرية هامة عملت على تطوير الثقافة المغربية والسير بها نحو التميز والتبلور والتنوع مضمونا وشكلا ، بالرغم من الجو الخانق الذي كان يعم المغرب نتيجة الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية التي فرضتها ظروف الحماية ؛ فبالاضافة الى خنق الحريات وملاحقة المواطنين ، وقمع الثورات ومنع تشكيل الاحزاب والجمعيات « سلطت الحماية حربها على هذه المنظمات الثقافية المغربية فاقفلت عددا كبيرا من المدارس التي بقيت من آثار هذا التعليم القديم ، كما نصبت عداءها المستمر على جامعة القرويين وفروعها في مراكش ومكناس والرباط وطنجة ووجدة وعلى كل المؤدبين القرآنيين » (1) مما جعل الوطنيين يعملون على مناهضة سياسة المستعمر بكل الاشكال والوسائل ، فمن مقاومة مسلحة نشطت في الجبال (2) واماكن تمركز القوات الاستعمارية ، الى العمل على افشال سياسة المستعمر الهادفة الى مسخ الشخصية الوطنية الثقافية حيث الفت كتب في الحث على مقاطعة التعليم الاجنبي (3) فصادف ذلك رغبة المواطنين اذ « كان لا يخالط مدارس المستعمر في الغالب الا أبناء بعض الاثرياء والمنخرطين في سلك ادارة الحماية (4) » وفي المقابل تسابق المثقفون المغاربة الى انشاء المدارس الحرة في الاقاليم المختلفة للحفاظ على الشخصية المغربية (5) ، ولكن

(1) المغرب العربي منذ الحرب العالمية لعلال الفاسي ص 83 .

(2) اهمها ثورة الريف بزعامة الخطابي ، وثورة احمد الهيبة في تارودانت وثورة موحا وحمو الزياني بالاطلس المتوسط . تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب ج 1 ص 20 الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 28 . المغرب منذ الحرب العالمية الاولى ص 38 .

(3) مثل كتاب الشيخ النبهاني بعنوان « ارشاد الحيارى في منع ابناء المسلمين من الدخول الى مدارس النصارى » .

(4) من اعلام الفكر المعاصر ج 1 ص 48 .

(5) لائحة المدارس الحرة آنذاك ، والتي اوردها الاستاذ ابراهيم السولامي تثبت الرغبة والاقبال الشعبي عليها في القرى والمدن جميعا . الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 43

هذه المدارس لا تعطي النتائج المتوخاة منها الا اذا اعيد النظر في المناهج التعليمية المتبعة وتطويرها بما يتلاءم مع العصر والحضارة فتعالت الاصوات منادية بهذا الاصلاح وان اختلفت الآراء في كيفيته ووسائله (6) ، بل اتجهت همم المفكرين جميعهم الى الاصلاح الشامل لكل وجوه الحياة بمختلف الوسائل، فعرضت مسرحيات تاريخية وسياسية ووطنية واجتماعية في نوادي سرية بمختلف المدن المغربية (7) ، والقيت محاضرات ومسامرات ادبية تهدف الى التعريف بالثقافة والادب في المغرب (8) ، كان لها الاثر الكبير في جلب انتباه الشبان الى الادب المغربي قديمه وحديثه ، ودفعهم الى الاهتمام به والتاليف في موضوعاته المختلفة ، وهكذا وبعد أن كان التاليف منصبا على القضايا النحوية والفقهية (9) اتجه الى موضوعات جديدة لها صلة بالبيئة المغربية التاريخية والادبية (10) . ومن اهم المواضيع الجديدة التي احتضنها التاليف موضوع التاريخ الادبي الذي شق طريقه منذ بداية هذا القرن فظهرت الدراسات والابحاث المختلفة في الشعر والنثر والفكر المغربي عامة (11) ، وهي خطوة هامة في سبيل التعريف بتراثنا الفكري الادبي والاهتمام به بعد ان ظل المغاربة – زمنا طويلا – يتجهون بنشاطهم التاليفي نحو الشرق او الابحاث الفقهية واللغوية .

وسنحاول التوقف عند بعض هذه المؤلفات مرتبة حسب تاريخ نشرها :

1) « الوسيط في تراجم أدباء شنقيط » لابي العباس احمد بن الامين الشنجيطي (12) المتوفى بمصر سنة 1331 هـ / 1913 م

نشأ المؤلف ببلاده شنقيط في الجنوب المغربي حيث تلقى العلم على شيوخها ، ورحل في مناطق كثيرة بها للاخذ والطلب ، ثم بدا رحلته الطويلة نحو الحجاز لتأدية فريضة الحج ، وتجول بعد ذلك في كثير من البلدان الاسلامية اهمها روسيا وتركيا وسوريا ، فالقاهرة التي حط بها الرحال الى ان توفي .

ولقد كان كثير النشاط دائب البحث والدراسة، ففي كل مكان حل به يزور المكتبات ويناظر العلماء ويتبادل الافكار ، ولعله ارتاح اكثر لمقامه في مصر لاتصاله بعلية القوم من اشراف ومتصوفة وعلماء ناهيك بالعلامة احمد تيمور الذي كان من مقربيه ، ومن هنا لم يجد صعوبة في طبع كتبه هناك .

وبالقاء نظرة على كتبه المطبوعة يبدو لنا تغلب الجانب اللغوي والادبي على ثقافته فهو شارح المعلقات العشر ، وديوان طرفة ، وديوان الشماخ ، وهو الذي صحح كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني وله في التصوف كتاب « درء النبهاني عن حرم الشيخ سيدي احمد التيجاني » ناصر فيه الطريقة التيجانية المعروفة . ومن الجدير بالذكر ان كتبه

---

(6) انظر في هذا الموضوع الفكر السامي ج 2 ص 194 – 200 . تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب ج 1 ص 46 وما بعدها . من اعلام الفكر المعاصر ج 1 ص 191 وما بعدها .

(7) من أهم رواد المسرح آنذاك محمد القري وعبد الله الجراري : ابحاث في المسرح المغربي ص35 الشعر الوطني المغربي ص 60 . تاريخ الحركة الوطنية ج 1 ص 39 .

(8) مثل مسامرة احمد النميشي عن الشعر والشعراء بفاس ، والمسامرات الكثيرة لمحمد الحجوي في موضوعات ثقافية وادبية واجتماعية .

(9) انظر فهرس التاليف المطبوعة بفاس والذي صدر بالجزائر سنة 21 – 1922 م باشراف بروفنصال .

(10) من ضمن هذه التاليف الجديدة تلك الكتب التي تؤرخ للاقاليم مثل الاغتباط والاتحاف والاعلام والمعسول وتاريخ تطوان – دعوة الحق العدد 2 – 3 من السنة 20 ص 87 .

(11) يضاف الى هذا ما نشر من دراسات ادبية ونقدية في المجلات مثل مجلة « المغرب الجديد » و « ملحق جريدة المغرب » و « المغرب » و « الاطلس » وغيرها ... تلخيص هذه الحركة الادبية والنقدية في كتاب لمحات من تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب ص 11 – 128 .

(12) له ترجمة في مقدمة الطبعة الثالثة بمصر سنة 1961 م . كما توجد ترجمته في : الموسوعة المغربية ج 3 ص 83 . دليل مؤرخ المغرب ج 1 ص 207 – 280 . معجم المطبوعات العربية لسركيس ص 1148 . معجم المؤلفين 1 : 171 . الاعلام للزركلي 1 : 97 .

كلها طبعت بمصر في العشر سنوات الاخيرة من حياته ، حيث اقام بها ابتداء من 1320 هـ .

اما كتابه « الوسيط » فيقول عنه ناشره فؤاد سليمان بأنه « من خير ما الف من الكتب التي وضعت في تاريخ الآداب العربية في بلاد المغرب ، بل هو على الحقيقة الكتاب الاوحد لتاريخ الادب العربي في بلاد شنقيط ودراسة احوالها الادبية والاجتماعية ووصف عاداتها وتقاليدها وطرق التربية والتعليم فيها ، وذكر الحوادث والحروب التي جرت بين قبائلها ، وما أبدعته قرائح شعرائهم من اشعار تتصل بجميع فنون القول (13) » .

وليس في هذا التقديم مبالغة ، فالكتاب فعلا لم يترك شيئا يتعلق بالصحراء الا ذكره وعرف به ، وان كان دافعه الاول الى التاليف هو التعريف بأدب هذه المنطقة في المشرق وتسجيل بعض اشعارها لاحد اصدقائه بعد ان استشعر جهل الناس هناك بالادب المغربي ، ولمس انكارهم لوجود نبوغ او ابداع في هذه الديار ، ظنا منهم « ان الآداب العربية لا يتصف بها غير الاقطار المشرقية (14) » .

ولقد التزم في كتابه منهجا واضحا اذ رتب الادباء الذين ترجم لهم — وعددهم اثنان وثمانون شاعرا — حسب انتمائهم الى القبائل الشنقيطية المختلفة ، فترتيبهم المتحدد بالقبيلة التي ينتسبون اليها . من هنا نجد الشاعر الفحل الى جانب المغمور ، والمكثر الى جانب المقل ، ومن هنا ايضا اختلفت تراجمه طولا وقصرا حسب اهمية المترجم، لانه يذكر نشأته وتكوينه الثقافي وشيوخه ورحلاته العلمية والاحداث المتصلة به ذات الاثر الكبير عليه، ويختم الترجمة عادة بذكر نماذج من اشعاره في اغراض مختلفة ، معترفا بانه لم يسجل الا ما وعته ذاكرته من الاشعار وهي لا تصل الى عشر العشر من انتاجهم الغزير .

ويذيل كتابه بالحديث عن شنقيط عامة كأنه يريد تعريف المشارقة بكل ما يتعلق بالمنطقة جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا وادبيا ، فلقد تجول بقارئه خلال مائة صفحة في قبائلها وعاداتها وأحوالها الاجتماعية، وقوانينها ولهجاتها المحلية واخبارها وحروبها القبلية وامثالها المتداولة التي رتبها على حروف المعجم ، والتي كان حريصا على ارجاعها الى الاصل العربي ، ونفس الحرص نجده عند ما يتحدث عن العادات والدين واللغة فلهم « لسان آخر يسمى عندهم بالحسانية وهي العربية المزوجة بالعامية وهي اللسان العام (15) » . كما يبدو اعتزازه بأصله المغربي لذلك في تحديده الجغرافي لشنقيط يذكر بأنها تحد شمالا بالساقية الحمراء وهي اقليم تابع للمغرب جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا . ولذلك يفند كل الادعاءات التي تزعم غير هذا لغايات دنيئة يقول:

« شنقيط من المغرب على ما كنا نعهد ، وذلك معروف عند أهل شنقيط واهل المغرب ، وقد أنكر ذلك بعض المشارقة وادعى انها من السودان ، وذلك ان بعض الشناقطة كان مقيما بالمدينة المنورة فكان يأخذ من وقف المغاربة العمومي فغضب عليه الجزائريون خاصة وقالوا ان الشناقطة ليسوا من المغاربة فمنعوه من اخذ حصته ، فلما قدمت الى المدينة سنة سبع عشرة وثلاثمائة والف واجتمعت به واخبرني بما جرى له فقلت له ان سيدي العربي بن السائح نص في كتابه « البغية » على انهم من اقصى المغرب (16) » فما اشبه اليوم بالامس ، نفس المسرح والممثلين والغايات والمؤامرات !

فالكتاب اذن يعد موسوعة الصحراء يتناول الادب والتاريخ والعادات والجغرافيا والقوانين واللغات ، وهو ديوان للشعر الذي قاله معاصرو المؤلف . ورغم انه تحدث عن كل شيء فانه لم يفرد لنفسه حيزا في هذا الكتاب الا ما نستنتجه من خلال تنقلاته او اخذه عن علماء او اتصالاته ومناظراته .

---

(13) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص 5 .
(14) نفس المرجع ص 3 .
(15) الوسيط ص 512 .
(16) الوسيط ص 422 — 423 .

2) « تاريخ الشعر والشعراء بفاس » لاحمد النميشي (17) المتوفى سنة 1966 م . ولد المؤلف بمدينة فاس ، ودرس بالقرويين الى ان اكتملت ثقافته ، فعين مدرسا بها للعلوم الدينية واللغوية ، ولعل تكوينه اللغوي والادبي كان اقوى ، فلقد صحح جذوة الاقتباس بمراجعة الاصول التي نقل عنها صاحب الجذوة (18) ، وعين ايضا مكلفا باحباس المساكين في المدينة ، الا انه اتهم باشياء قدم من اجلها الى المحكمة التي برأته مما نسب اليه ، وعرف عنه نزوعه الى الاصلاح في كل الدروس والمحاضرات والاشعار والمواقف الصادرة عنه فنادى هو ايضا باصلاح القرويين وجعلها في مصاف الجامعات الاسلامية الاخرى .

وكان شاعرا يمتلك الاداة والموهبة ، وناثرا يعبر بعفوية وطلاقة دون تكلف وتعقيد ، يقول عنه القباج : « اما شعره فشعر الحقيقة لا مجال للخيال فيه ، بل يكتفي بتقريب المعنى اليك بلفظ جزل واسلوب جميل ، وقد رايناه هجر الشعر في هذه المدة ، منصرفا الى النثر الذي برع فيه براعة جيدة (19) » .

اما كتاب « الشعر والشعراء بفاس » فاصله محاضرة القيت بفاس من سنة 1924 ، فطبع في نفس السنة ، والكتاب قسمان بارزان ، احدهما يمكن ان يكون توطئة أو عرضا عاما لتاريخ الادب المغربي منذ نشأته الى عصر المؤلف يمهد لذلك بمدخل تحدث فيه عن اللغة العربية كأداة للابداع والخلق ، وعن منزلة الشعر عند العرب وقربه من نفوسهم ، وتنويه الرسول بالجيد منه ، فاذا ما وصل الى الادب المغربي ابدى اسفه قائلا : « اما المغرب الاقصى وفي مقدمته عاصمته التي هي موضوع بحثنا فيسوءني أن افاجئكم بأن نهضته الادبية تأخرت مآت من السنين (20) » .

ومن هنا يقرر بأن النهضة الادبية بالمغرب لم تتحقق الا في القرن السادس الهجري ، فالعصور السابقة – في رأيه – لم تعرف الاستقرار السياسي الذي يترعرع – عادة – في ظله الادب والعلم ، واذن فالدولة الموحدية « هي التي انهضت جواد الادب من كبوته ، واقالته من عثرته ، وبظهورها أوائل المائة السادسة يبتدىء تاريخ الادب والشعر بالمغرب (21) » .

والقسم الثاني من الكتاب يخصصه لترجمة الشعراء بفاس منذ تأسيس المدينة الى عهد المؤلف ، وهكذا ترجم للاحياء ايضا ، ونظرا لكثرة الشعراء المترجمين في الكتاب (22) فقد التزم منهاجا لم يحد عنه الا نادرا وهو « الاقتصار في هذه العجالة على اسم الشاعر وتاريخ وفاته ونتف يسيرة من شعره لان الوقت لا يتسع لبسط تراجمهم (23) » كما انه اشترط في مترجمه الجودة والتفوق على الاقران يقول : « انني لم اثبت في مسامرتي من الشعراء الا من تحققت بكونه من اهل ذلك الفن ووقفت له على اثر يستحسن (24) » .

ورغم ان الكتاب مختصر وتراجمه موجزة فهو مفيد جدا في تعريفه بالكثير من الشعراء ، وتسجيله لبعض أشعارهم وتدوينه للمراحل التاريخية التي مر بها الادب المغربي ، وفي هذا جلب اهتمام الشباب الى تدارس هذا الادب وتحريك الهمم الى اخراجه والتعريف به يقول : « وقد وضعت اللبنة الاولى في أساس تاريخ الشعر فعسى ان يأتي من هو

---

(17) مصادر ترجمته : الادب العربي في المغرب ج 1 ص 76 – الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 264 – الموسوعة المغربية ج 3 ص 153 – دليل المؤرخ ص 39 – 44 .

(18) دليل مؤرخ المغرب ج 1 ص 44.

(19) الادب العربي في المغرب ج 1 ص 77 – 78.

(20) تاريخ الشعر والشعراء بفاس ص 9 – 10 .

(21) تاريخ الشعر والشعراء ص 11 .

(22) ترجم في الكتاب لسبع وتسعين ومائة شخصية ادبية .

(23) تاريخ الشعر والشعراء ص 40 .

(24) نفس المرجع ص 113 .

اغزر مني مادة وأكثر اطلاعا فيشيد صرحه الشامخ (25) ».

3) « فواصل الجمان في ابناء وزراء وكتاب الزمان » للاديب ابي عبد الله محمد غريط (26) المتوفى بفاس سنة 1364 هـ / 1945 م .

والاسرة الغريطية اندلسية الاصل نزحت الى المغرب قارة بديتها كما يذكر ذلك غريط نفسه (27) مبديا اعتزازه باصله الاندلسي ، وعلى اي حال فالاسرة بقيت محافظة على الطابع الاندلسي في العادات والتقاليد وحتى في مجال الكتابة والشعر .

نشا بفاس وتلقى تربية حسنة في كنف ابيه الاديب ، حيث حفظ القرءان ودرس العلوم المختلفة على علماء القرويين ، وكان شغوفا اثناء ذلك بمطالعة الكتب والدواوين الادبية مما جعل ميله الادبي يقوى مع الايام .

وبعد اكماله لتكوينه العلمي والادبي ارتقى مناصب سامية في فاس كالوزارة والكتابة وان كان قد تعرض بسببها الى دسائس ومؤامرات نجا منها بثباته ودهائه .

اشتهر بالكتابة والشعر معا ، فهو كاتب مجيد سلك في نثره طريقة الاندلسيين ، وشاعر موهوب جعله المرحوم القباج اول من ترجم لهم في كتابه ، وحلاه المرحوم ادريس الماحي بأن « لسان الفصاحة والقريحة المدرارة ومقلد اجياد البلاغة قلائد جواهره المختارة (28) » .

خلفا آثارا ادبية كثيرة في مقدمتها دواوين ومنظومات شعرية يذكر صاحب دليل مؤرخ المغرب ستة منها ، بالاضافة الى انتاجه النثري المتمثل في كتابه « فواصل الجمان » ومخاطباته ورسائله التي جمعها في كتاب « النثر النثير من انشاء الفقير الى الكثير » واذا عرفنا ان جل من راسلهم كانوا في مستوى فكري وادبي ممتاز ادركنا قيمة هذه المراسلات تاريخيا وادبيا .

وكتاب « فواصل الجمان » نمط آخر في التاريخ الادبي بالمغرب ، فلم يهتم صاحبه بالادب القديم بل قصره على ادباء زمانه موضحا منذ البداية بانه عمل على «جمع طرف من اخبار ووفيات من عاصرتهم او ادركت من عاصرهم من وزراء وكتاب هذه الدولة العلوية العلية ذات المراقب والمناقب الجلية (29) » ومن هنا كان مصدرا مهما لادباء هذه الفترة ابتداء من عهد السلطان مولاي سليمان (ـ 1238 هـ) . واهميته تزداد اذا عرفنا بان اهتمامه في التراجم لا يقتصر على النشاط الادبي وحده للمترجم ، ولكنه يعرض من خلال الترجمة الى الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والادبية .

وترجع اهميته ايضا الى انه خط لنفسه منهاجا طريفا لم يسبق اليه في المغرب ، وهو ان اهتمامه لم يكن منصبا على الادباء المنقطعين الى الشعر والنثر فقط بل قسم كتابه بين الوزراء الذين اشتهروا بالادب ، والكتاب الذين مارسوا الكتابة كحرفة ، فترجم على هذا الشرط لحوالي ستة وثلاثين من الوزراء والكتاب . وتبرز ظاهرة اخرى في الكتاب ، وهي التاثر بالثقافة الاندلسية بين طائفة كبيرة الادباء ، فهم ينقلون عن شعرائها وكتابها ويستشهدون بنماذجهم في مناظراتهم وكتاباتهم مما جعل النصوص والاحالات الاندلسية تشغل حيزا كبيرا من الكتاب .

ومن مظاهر التاثر بالادب الاندلسي ايضا الاسلوب الذي التزم به غريط ، والذي اشتهر به مع مجموعة من كتاب عصره ، حيث كان يطغى عليه السجع ويبرز فيه الجري وراء المحسنات البديعية

---

(25) نفس المرجع ص 40 .
(26) يرجع في ترجمته الى بحث الكاتب في مجلة دعوة الحق ، العدد 10 السنة 19 محرم 1399 . العدد 1 السنة 20 ـ صفر 1399 . دليل مؤرخ المغرب في مواضع متفرقة . الادب العربي في المغرب ج 1 ص 2 . الشعر الوطني ص 253.
(27) فواصل الجمان ص 63 .
(28) الشعر الوطني ص 253 .
(29) فواصل الجمان ص 4 .

واستخدام التشبيهات والصور على طريقة ابن خاقان بالاضافة الى التوريات والاستطرادات .

وبكلمة موجزة يعد الكتاب مصدرا اساسيا عن هذه الفترة التاريخية ، فترة الانتقال من الاستقلال الى عهد التدخل الاستعماري بما صاحب ذلك من اضطرابات وتحولات سياسية واجتماعية وثقافية ، كما يعتبر أيضا مصدرا لرصد تطور الكتابة النثرية في الادب المغربي ابان النهضة الحديثة فهو بحق – كما قال عنه الاستاذ ابن سودة – « من احسن ما الف في نوعه (30) » .

4) الادب العربي في المغرب الاقصى للاديب محمد بن العباس القباج (31) صدر في نفس السنة التي صدر فيها فواصل الجمان (سنة 1929)، والكتاب نوع جديد من التاليف الادبي في المغرب تفتقت عنه عبقرية القباج الذي لم يكن غريبا عن النقد الادبي ولكن له « فضل السبق في هذا المضمار فهو الذي اقتحم معركة النقد اولا بمقالاته القيمة التي كانت تنشرها له مجلة المغرب تحت عنوان : « لدغات بريئة » ، وقد قومت هذه المقالات من زيغ المقاييس الادبية التي كانت متبعة اذ ذاك واحدثت ضجة كبيرة بين الادباء المخضرمين الذين كانوا قليلي الاطلاع على الانتاج الادبي في الشرق العربي (32) » وفعلا ساهم بهذه المقالات النقدية ، التي كان ينشرها ، في مختلف الصحف والمجلات ، في اغناء الحركة الادبية واثراء النقد في المغرب ، فمن خلال الردود والمقالات الكثيرة التي احتفظت باكثرها مجلة المغرب (33) تبدو النهضة النقدية التي عرفتها البيئة الادبية المغربية ، والتي كان القباج (ابن عباد) احد اعمدتها لانه كان متتبعا عن وعي حركة النقد في المشرق العربي بما عرفته حينئذ من معارك ادبية وصراعات بين القديم والجديد ، وهكذا وجدنا هنا في المغرب معارك ادبية اخرى في مقالات نقدية تبودلت بين شعراء وادباء فترة صدور كتاب القباج ، منهم الشاعر الشنقيطي وعلال الفاسي وسعيد حجي وغيرهم .. ومفهوم النقد عندهم كان يخضع لمقاييس بيانية او تذوقية ، فالنقد كان يتوجه للالفاظ من حيث القوة او الضعف والخيال او السطحية والتقديم او التاخير وغير ذلك مما عرف به النقد القديم .

ولقد كان القباج دائم النشاط كثير الانتاج والنشر ، فكان « العالم النحرير والكاتب البارع المبين والاديب الضليع والشاعر المفلق والناقد الذي لا يغيب عنه جانب من جوانب الجودة والاحكام (34) » الا ان انتاجه بعد الاستقلال قد قل ربما لارتباطه بالبحث العلمي بعد ان عين محافظا للخزانة العامة بالرباط التي بقي يشتغل بها هذا المنصب الى ان وافاه اجله في 21 يونيه 1979 م .

وكتاب «الادب العربي في المغرب الاقصى »ترجم فيه صاحبه لشعراء عصره ، وذكر نماذج من اشعارهم ، وذلك للتعريف بالادب المغربي بعد ان ادرك التقصير الذي عرف به المغاربة نحو تراثهم وأدبهم ، ولقد استشعر ذلك خاصة في احد المجالس الادبية حينما استعرض مع من كان يجالسه ادب الاقطار العربية كلها مع ما يعتريها من تطور وازدهار ، الا انه أصيب مع رفاقه بالخيبة من خمول ذكر ادب المغرب ونسيانه مما جعله يفكر في هذا التاليف يقول : « في ذلك الحين جال في ضميري لاول مرة ان اتصدى للقيام بجمع تاليف يضم بين دفتيه تراجم شعرائنا ومنتخبات من شعرهم ليعطي لكل قارىء صورة صادقة من الشعر المغربي ، ويفيد كل باحث

---

(30) دليل مؤرخ المغرب ج 1 ص 278 .

(31) اخباره قليلة يرجع فيها الى دليل مؤرخ المغرب ج 1 ص 245 – احاديث عن الادب المغربي ص85 لمحات من تاريخ الحركة الفكرية في مواضع مختلفة – الشعر الوطني في المغرب ص 51 – المناهل عدد 16 ص 7 – الثقافة الجديدة العدد : 14 ص 144 .

(32) احاديث ص 85 .

(33) اورد الاستاذ احمد زياد تلخيصا لهذا النشاط النقدي في كتابه « لمحات من تاريخ الحركة الفكرية » من صفحة 54 الى صفحة 76 .

(34) المناهل عدد 16 ص 8 .

في الامة العربية مبلغ تدرج الادب فيها وطرق تفكير شعرائهـا (35) » .

ولقد ترجم في الجزأين معا لثلاثين شاعـرا ، وذكر بأن هناك أكثر من ثلاثين شاعرا آخرين لم يتمكن من الحاقهم فيما طبع لذلك وعد باصدار جزء ثالث وتوفي ـ رحمه الله ـ والامل لم يتحقق والا لكان له الاثر الكبير والفائدة العظيمـة . ويعتـرف في المقدمة بأن مهمته تقتصر على الجمع فقط ، فكثير من التراجم هي بأقلام أصحابها ؛ لذلك لم تكن غايته الا الجمع والتدوين واخراج الاعلام والاثار المغربية من عالم النسيان يقول : « وحسبي الآن ان اقـدم للناطقين بالضاد من أبناء قومي ثمرة مجهودي منـذ سنتين مجردا عن كل نقد (36) » .

وقسم المؤلف ادباءه الذين ترجم لهـم الى طبقات ثلاث ؛ الاولى طبقة الكبار الذين لادبهم طابع التمسك بالقديم والنسج على منوال الماضيـن في الاغراض والجناسات . والثانية طبقة المخضرمين الذين كان شعرهم توفيقا بين القديم والجديـد في الالفاظ والمعاني والاغراض . والطبقة الثالثة هـي طبقة المجددين الذين غلب على شعرهم طابع التجديد ومسايرة العصر شكلا ومضمونا .

والكتاب ـ نظرا لهذا ـ يعد المرجع الوحيـد في التعرف على كثير من الادباء ، سيما وانه لم يعن بالاخبار التاريخية وغيرها من الموضوعات الهامشية ولكنه كان مركزا على الاديب وانتاجه ، بالاضافة الى انه يعد البداية في السيرة الذاتية بالمغرب ؛ فالمغاربة من قبل كانوا يحجمون عادة عن الترجمة لانفسهـم والحديث عن ذاتياتهم وتجاربهم ، ولكننا في هـذا الكتاب نصادف تراجم كتبها أصحابها بأقلامهم مثل ترجمة محمد المكي الناصري ومحمد المهدي الحجوي ومحمد عبد الحي الكتاني ... وغيرهم كثير .

والكتاب اخيرا ، بمثابة ديوان كبير ، يضـم قصائد كثيرة في أغراض مختلفة تعطي صورة عـن النهضة الشعرية واهتمامات الشعراء واخبارهم مما يجعله ـ بحق ـ « اللبنـة الاولـى لدراسة الادب المغربـي الحديـث (37) » .

5) « الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي» لابي عبد الله محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (38) المتوفى سنة 1956 م .

ولد المؤلف ايضا بفـاس وتلقـى دراستـه الابتدائية هناك على والده وغيره من المدرسين ثـم التحق بالقرويين فاخذ عن علمائها الى ان حصل على الاجازة وسمح له بالتدريس في القرويين نفسهـا ، واتاح له مستواه الثقافي وشهرته العلمية ان يرتقي مناصب سامية علمية وسياسية وقضائية حيث تولى رئاسة المجلس العلمي والوزارة والسفارة بالجزائر كما كان رئيسا للاستئناف الشرعي الاعلى .

ولقد ساهم بعلمه وادبه في تنشيـط الجـو الثقافي بالمغرب وذلك بمحاضراته الكثيرة في تونس وفاس والرباط التي ناقش فيها موضوعات جديدة في حينها كتعليم الفتيات ونقد التعليم الابتدائي بالمغرب وموضوعات اخرى في الادب والفكر والتاريخ ؛ كمـا اشتهر برحلاته داخل المغرب وخارجه كرحلاته الى اوروبا واسبانيا وتونس والجزائر التي دونها وطبعت

تآليفه كثيرة بلغت حوالي الخمسيـن كتابـا ورسالة بعضها تاريخي والآخر أدبي وفقهي واجتماعي وصوفـي .

أما الكتاب فهو نمط من التأليف يختلف عـن سابقيه لانه أولا لا يختص بالمغرب وحده بل هـو اوسع أفقا واشمل ميدانـا ليضـم الفكر الفقهـي الاسلامي منذ بداية الدعوة الاسلاميـة الى عصـر المؤلف ؛ وثانيا ليس موضوعه الادب فقط ولكنـه

---

(35) الادب العربي في المغرب ص « ب » .
(36) نفس المرجـع ص « و » .
(37) احاديـث ص 85 .
(38) يرجع في ترجمته الى دليل مؤرخ المغـرب مواضع مختلفـة . معجـم المؤلفيـن 9 : 187 . احاديث ص 46 ـ 48 . وما ذكره هو نفسه عرضا في كتابه الفكر السامي في مواضع مختلفـة وخاصة في القسم الرابـع منـه .

يشمل الادب وغيره من العلوم التـي تعـايشت في الثقافة الاسلامية . فموضوع الكتـاب هو الفقـه الاسلامي وتاريخه منذ عهد الرسول وان كان يمهد لذلك بالتوقف عند مفهوم مصطلح الفقه ، وكيف كان الفقه قبل الاسلام .

وفي رايه ان الفقه الاسلامي مر باربعة اطوار : « الاول طور الطفولية وهو من اول بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الى ان توفي ، والثاني طور الشباب وهو زمن الخلفاء الراشدين الى آخـر القرن الثانـي ، والثالث طور الكهولة الى آخر الرابع ، والرابع طور الشيخوخة والهرم وهو ما بعد القـرن الرابـع الى الآن (39) » .

والمهم ان الكتاب لم يقتصـر على الابحـاث الفقهية والتاريخية التي تتخللها بل ترجم لكل مـن اشتغل بالفقه والراي في كل العصور فزادت تراجمه على الالف ، والاهمية تزداد حينما نعرف بانه لـم يقتصر على الترجمة للفقهاء وحدهم بل ترجم للغويين لهم الريادة في علم اللغة مثل ابن عمرو بن العـلاء ، والقالي ، والجوهري ، وابن منظور ...

وكان للمغاربة في هذا الكتاب الحصة الممتازة فلقد ترجم لاكثر من مائتي شخصية مغربية مما جعل المؤرخ ابن سودة يقول عنه بانـه « يصلـح لمؤرخ المغرب كثيرا (40) » .

ولقد سار المؤلف على المنهاج الذي التزم بـه في المقدمة ، ففي كل قسم من كتابه يمهـد بفرش تاريخي وسياسي واجتماعي وفكري ولغوي وحالـة الفقه فيه ولكنه قد يضطر مـن حيـن لآخـر الى الاستطراد ليناقش مشكلا فكريا او يعرف بمذاهـب سياسية او فقهية او يسجل وثيقة هامة مما اضفى على الكتاب طابع الموسوعية والاحاطة ، فعن القرءان مثلا يتحدث عن نزوله وجمعه وتدوينـه وقراءاتـه وتفسيراته ... وعن اصلاح نظام القرويين يتعرض لقانونها مبسطا القول في الحياة الثقافية والتعليمية بالمغرب ...

وتبرز في الكتاب الروح النقدية للمؤلف ، فلا يسلم بالاحكام والآراء دون مناقشتها وتحليلها بـل يعقب ويحلل ويقارن بعيدا عن التعصب لوجهة نظـر معينة ، وهناك ميزة أخرى لهذا الكتاب هي الطريقة التجديدية في تناول الفقه ، فلاول مرة – في المغرب – ينظر الى المراحل التاريخية التي مر بها الفقه او ما يمكن ان نطلق عليه العصور الفقهية على نمط العصور الادبيـــة .

فالكتاب اذن طريقة جديدة في التاليف المهتم بالتاريخ الفكري عامة ، وهو الى ذلك « نموذج مـن النثر العلمي قوي الاسلوب واضح الدلالة خالي من التكلف والفضول (41) » .

6) « معجم الشيوخ أو ريـاض الجنـة » لمؤلفه عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفـاسي (42) المتوفى سنة 1383 هـ / 1964 م .

نشأ بفاس ودرس بها على والـده اولا ثم على غيره من الشيوخ والاساتذة الذين ترجم لهم في كتابه هذا ، ويبدو أن دراسته متينة شملت امهات الكتب في اللغة والفقه والتفسير والحديث .

نشر الكثير من المقالات الادبيـة في جريـدة السعادة ، كما قال شعرا في كثيـر من الاغـراض والموضوعات التقليدية والجديدة على السواء .

اشتغل بالقضاء في مناطق كثيرة من المغرب ، والف كتبا وابحاثا عديدة يعرضها صاحب دليل مؤرخ المغرب وهي متنوعة في التاريخ والادب والتراجـم فالى جانب معجم الشيوخ له كتاب في تراجم مـن اسمه محمد من الملوك ، وتراجم جمهرة من الادبـاء والكتاب شباب وكهول وشيوخ ... وكتاب « رياض الجنة » هذا من نوع سابقه يتعدى النطاق المغربي

---

(39) الفكـر السامـي ج 1 ص 3 .

(40) دليل مؤرخ المغرب ج 2 ص 491 .

(41) احاديـث ص 48 .

(42) يرجع في ترجمته الى كتاب من اعلام الفكر المعاصر ج 2 ص 328 – دليـل مؤرخ المغـرب في مواضـع متفرقـة .

فعنوانه الآخر هو « المدهش المطرب باخبار من لقيت او كاتبني بالمشرق أو المغرب » ترجم فيه لحوالي خمس عشرة ومائة شخصية علمية وادبية من مغاربة ومشارقة . وكان في نيته ان يكون الاطار اوسع الا انه عدل عن منهاجه القديم الى الشكل الذي هو عليه الآن ، والمؤلف يدرك اهمية ما في كتابه من معلومات وتراجم « فيجد القارئ فيه امنيته والباحث ضالته لما اودعته من التراجم التي لا توجد في كتاب والمباحث التي تزيل كل ارتياب (43) » وفعلا فالكتاب بجزايه ينفرد بالكثير من التراجم لهذا العصر مثل ترجمته للشريف محمد ابن علال الوزاني بفاس وترجمته لماء العينين الشنقيطي ، والمكي البطاوري ... وغيرهم .

وفي ترجمته يتوسع في ذكر الاصل والنسب للمترجم له ، وفي التحدث عن شيوخه واجازاته ورواياته والكتب التي درسها ، مما يجعل الترجمة مفيدة في التعرف على الظروف والشخصيات التي لها علاقة بصاحب الترجمة .

واذن فالكتاب مصدر هام للحياة العلمية والادبية في اول هذا القرن (طبع سنة 1932 م) وهو نموذج آخر للنشر والتاليف آنذاك .

وليس في مقدورنا أن نعدد كل المؤلفات والابحاث والدراسات في التاريخ والنقد الادبيين ، فلقد توالت الابحاث والتآليف التي تعالج جوانب من الادب المغربي نخص منها بالذكر ابحاث الاستاذ عبد الله كنون التي في مقدمتها كتابه « النبوغ » (44) وكتابه « ذكريات مشاهير رجال المغرب » الذي ترجم فيه « لاكثر من خمسين ترجمة لعظماء المغرب قديما وحديثا (45) » .

والابحاث العديدة للاستاذ ابن تاويت في مقدمتها كتابه « الادب المغربي » الذي أرخ فيه للادب المغربي في مختلف عصوره .

الا أنه بامكاننا القول — بكلمة موجزة — ان هذه الكتب جميعها تعتبر اساس كل الدراسات التي ظهرت بعد ذلك ، فهي التي كشفت عن قيمة كثير من النصوص والاعلام ، وابانت عن جوانب الابداع والنبوغ في الادب المغربي ، واذكت روح الغيرة على التراث المغربي والاعتزاز به ، ووجهت الشباب خاصة الى ما يختزنه هذا التراث الفكري والادبي في المغرب من أصالة وعبقرية .

وما شدة اقبال الشباب — حاليا — على الادب المغربي ، واتجاههم في ابحاثهم الجامعية الى قضاياه واعلامه الا نتيجة تأثير هذه الكتب المذكورة في البيئة الثقافية المغربية في العصر الحديث .

الرباط : الحسن الشاهدي

---

(43) رياض الجنة ج 1 ص 5 .
(44) طبع لاول مرة بتطوان سنة 1937 م .
(45) الادب العربي في المغرب ج 2 ص 37 .



آيات البشائر

للشاعر الأستاذ محمد الكبير العلوي

اضاءت شموس النصر وهي توقد ... ولاحت من آيات البشائر أسعد
واشرقت الدنيا بهاء وبهجة ... وغنت بعيد العرش وهي تمجد
وقام عميد الشعر ينشد شعره ... ويبدع في انشائه ويجدد
طربت ولم أطرب للحن مهيج ... يخف اليه الناسك المتعبد
ولا لاباريق تروق واكؤس ... تدور بها بيض كواعب خرد
ولا غصن بان كلما هبت الصبا ... تمايل مزهوا لها يتاود
ولا روضة مسكية العرف والشذا ... بها كل صداح شجي يغرد
وما طربي الا لغر قصائد ... بدائع في العرش المجيد تنضد
نظمت نثير المدح فيها قلائدا ... فذا لؤلؤ منها وهذا زبرجد
تخر مصاقيع البلاغة سجدا ... لها وتهز المنتدى حين تنشد
اجيد القوافي في ثنا حسن الثنا ... وفي الوحدة الكبرى فكيف أفند
هو الشاعر المطبوع يهدي قصيده ... لمن هو للآمال والسؤل مقصد
ومن هو في الدنيا زعيم الهدى ومن ... على مثله آمال يعرب تعقد
امام أحبته الجماهير حبه ... لها وله فيها الغرام المسهد
وبادلها حبا بحب فاخاصا ... وكل له عهد مصون مؤكد
امام عظيم الشان سام مؤيد ... وعرش أثيل المكرمات ممجد
وشعب وفي مخلص شامخ الذرى ... نماه الى العلياء فرع ومحتد
امام طموح بالبلاد الى العلا ... وشعب لادراك المرام مجند

هو الحسن الثاني به ندرك المدى   ونغبط اجلالا عليه ونحسد
لنا قمة في المجد لا فوق فوقها   ولا مرتقى يرقى اليها فيصعد
وهالات عز دونها الزهر هالة   ومن دونها بدر الدجى المتوقد
سمت في ذرى العليا فمن دون افقها   ومطمحها العالي سماك وفرقد
بلغنا من الآمال ما اغضب العدا   فهاجوا وارغوا مزبدين وارعدوا
راوا امة تنحو الكمال يقودها   امام بتوفيق الاله مؤيد
اقرت له الدنيا بفضل وسؤدد   ونبل به الخصم المعاند يشهد
ففي كل قطر عن سجاياه مخبر   وشاد مغن بالمدائح منشد
زها المغرب الاقصى به وبعرشه   وسامى الثريا عهده المتجدد
ففي كل شبر منه روض وجنة   ومدرسة غرا وسد ومسجد
فان يك في الدنيا امام مجدد   فانت ورب البيت فيها المجدد
اذا اجتمعت اقطاب يعرب اقبلت   اليك وقالت من سواك يقلد
وقالت لانت الرائد الشهم في الورى   اليك مقاليد العروبة تسند
فانت اجل القوم قدرا وهمة   وسيدهم حقا اذا عد سؤدد
واوفاهم عهدا واوضحهم هدى   واعظمهم زحفا اذا حان مشهد
واحصفهم رايا واصدقهم رؤى   اذا قيل ما ذا سوف يبدي لنا الغد
تقلد امير المومنين امورها   ونعم الامام الرائد المتقلد
اغث امة ضلت سوى طريقها   فلم تدر في تيهائها اين تقصد
تقاسمها شرق وغرب كلاهما   حقود عليها غاضب متهود
تخيم في اجوائها ذات بينها   ركاما مخيفا حالكا يتلبد
ويجرفها تيار شر حضارة   ويقذفها موج من الشك مزبد
وتسلك معوج الطريق الى الردى   وتنأى عن النهج القويم وتبعد
فوحد على الدين الحنيف صفوفها   فكم ادرك المقصود صف موحد
وهيأ لها النصر المبين موفقا   وقدها الى حيث المكارم تنشد
وشن على اعدائها كل غارة   لاصدائها في الخافقين تردد
وعد لها في الشرق والغرب جحفلا   تقوم له الدنيا اندهاشا وتقعد

قصة قصيرة :



المريد

للأستاذ احمد عبد السلام البقالي

الفراغ بنوعيه : المادي ، والروحي ،مخالف لنواميس الطبيعة . ولا بد ان يمتلىء .. فاما ان تملأه الامم بما يضمن لها الاستقرار والاستمرار ، والتضامن والتعاون ، والسعادة والرخاء ؛ واما يملأه من داخل البلاد أو من خارجها من يتربص بها الدوائر ، ويرجو لها الدمار والبوار !

وقف الحاج ميمون في ذلك الضحى على قمة نجاحه بقدم راسخة ورأس شامخة .

كان قد انتقل ، داخل ذلك الاسبوع الى داره الجديدة .. او بالاحرى قصره البديع الذي بناه على رقعة ارض واسعة مطلة على الغابة شرقا والمحيط الاطلسي غربا . وجمع في ابهائها ، وغرفها وقبابها ، واقواسها ، كل ما ابدعته يد الصانع المغربي والاوربي من اناقة وجمال ..

وقف ينظر من دربوز الحلقة بالطابق الثاني الى البهو الارضي الفسيح المكسو بزربية وردية فاتحة من الحائط للحائط ، وقد فرشت فوقها زرابي رباطية حمراء ووضعت عليها ثمانية صالونات من طراز لويس الخامس عشر ، وفي وسطها موائد من الرخام المغربي المرصع بالقواقع والمحار المتحجر.

كانت زوجته الشابة الجميلة (مليكة) تقود الخدم بين الغرف الارضية توزع عليهن مسؤولياتهن .. وخلفها مربيتها الحاجة كريمة .. تحمل مبخرة يصدر عنها دخان خليط من البخور مثل الجاوي والفاسوخ، وحصى اللبنان ، وغيرها من البخور التي تفسخ السحر ، وتدرا العين .. وفي كل غرفة كانت العجوز تطلق زغردة قوية عالية ، وتصلي على رسول الله ، وتدعو لسيدها بالسعادة والهناء ، وطول العمر ، ولكل حسود بالطالع المنكود ..

ونادى الحاج ميمون زوجته من فوق :

— اطلقي العود وكولونيا حتى تختفي رائحة البخور .. الشيخ لا يحب البخور .. يقول لنا انها شعوذة ..

ووافقته زوجته بسرعة على غير عادتها ، كما سبق ان وافقته على دعوة شيخه « سيدي عبد الحي

الزمرامي » على مضض ، لانها لم تكن تثق في مشيخته ، وكانت تعتبره دجالا كبيرا ، ومشعوذا خطيرا .. ولم تعد تصارح زوجها بذلك منذ ضربها ضربا مبرحا حين روت له حكاية الحاجة (امينة) معه اثناء رحلته معها هي وزوجها الى الحج بالسيارة .. فقد اشتكت الحاجه (امينه) الى زوجها من مضايقات الشيخ لها ، وهي المراة الورعة التقية ، ولم يصدقها حتى اكتشف الامر بنفسه ، وحينئذ تبرا منه ، وانزله من سيارته في اول مدينة !

وحين عاد الشيخ الزمرامي الى الوطن ، كان اول حديثه عن « اصحاب الافك » ، وقصة « سيدنا يوسف » وتهمة امراة العزيز له ليصد بها اية تهمة يشيعها زوج الحاجة امينة ! .

ورغم ان زوجها قاطع مجالس الشيخ (الزمرامي) فانه احتفظ بسر الفضيحة حرصا على شرف زوجته ، وحفظا لسمعته بين الناس .

ولكن الحاجة امينة التي كانت صديقة حميمة (لمليكة) ، زوجة الحاج ميمون ، لم تجد احدا تفضي اليه بسريرتها غيرها .. وذلك لتنفس عن نفسها اولا ، ولتحذرها من الشيخ المنافق ، ثانيا ..

كانت (مليكة) ، في ذلك الصباح الميمون اسعد من أن تحرم زوجها من سعادته باستدعاء شيخه ليبارك قصره الجديد ، ويدعو له فيه بالخير والبركة ، ورغم ان يقينها كان قاطعا بأن دعوات (الزمرامي) شيخ (الطريقة الزمرامية) ، او (الزمارية) كما كانت تسميها وراء ظهره ، لا تقبل ، فلم تكن تستبعد ان يكون من بين اتباعه ومريديه فرد مؤمن يستجيب الله لدعواته فتحصل البركة .. وبهذه الفلسفة طمانت نفسها ، وانطلقت تجر اذيال المرح والسعادة في ابهاء قصرها الجديد وتلقي بالاوامر ..

— * —

وبعد صلاة العشاء حضر الشيخ (الزمرامي) على راس جماعة من اتباعه المخلصين وهم ينشدون ورد الطريقة بأصوات عالية منغومة ..

وقف الشيخ الذي كان يناهز الستين بجلبابه الابيض ، ووجهه المستدير ، ولحيته المنسدلة على صدره ينظر من فوق انفه الكبير الى بهو الدار الفسيح ، ويردد ، ملتهما باصبعيه حبات سبحته :

— تبارك الله .. تبارك الله .. تبارك الله .

كان يحاول اخفاء انبهاره بالثريات البلورية التي تصب أضواءها الملونة على الارض المكسوة بابهى ما انتجته الرباط من نمارق وزرابي .. ولم يحول انتباهه عن بهاء الدار الا زغاريد النساء من فوق الدربوز ، وهبوب الحاج ميمون في بذلته الرمانية اللون ، المفصلة في باريس على اخر طراز ، لاستقباله بتقبيل كتفه ..

ودخل الجميع فقادهم الحاج ميمون الى الصالة الكبرى المواجهة لمدخل الدار . وقصد الشيخ (الزمرامي) صدر القاعة متجاهلا الحاج ميمون الذي كان يشير له الى جانبها الايمن ليترك للنساء حرية التجول وسط الدار بعيدا عن عيون الشيخ والاتباع .

ومر العشاء الفاخر على احسن ما اراده الحاج ميمون ، رغم أن زوجته كانت غير راضية على كثير مما فعلته المتعلمات والخادمات .. لم يكن الحاج ميمون ، الذي نشأ في البادية ، يلقي بالا لكثير من التفاصيل والجزئيات التي كانت زوجته المدنية تصر عليها ،ويعتقدها زوائد وكماليات لا داعي لها ، مثل مرشات ماء الزهر ، ومباخر العود ، وأوراق الورد في صحون غسل الفواكه ، وباقات الزهور وغيرها من الالتفاتات الحضارية الناعمة ..

— * —

وحين جاء وقت الانصراف طلب الحاج ميمون من شيخه ان يزوده بنصائحه وملاحظاته حول الدار ، فقال له هذا ، بعد ان بسمل ، وحوقل ، ومسح لحيته بقبضته :

« قال تبارك وتعالى : « ان الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليهم في نار جنهم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون » ، وقال تعالى : « ولا تفرحوا ان الله لا يحب الفرحين »

« وانت يا محل ولدنا ، الحاج ميمون ، أعز علينا من أن نترك غضب الله ينزل عليك » ..

والتفت اليه قائــلا :

« هل تريد أن ينزل غضب الله عليك ؟ »

فحرك الحاج ميمون راسه نافيا بعنف ، وقـد فاجاه موقف شيخه من داره التي بناها مـن مالـه الحلال ، واستشاره في بنائها قبل ان يفعل ، فبارك له في بنائها ، بل ونصحه باظهار نعمة الله عليــه .. وهو يتذكر الآن بوضوح الآية التي تلاها عليه حينئذ، وهي : « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعبـاده والطيبات من الرزق ؟ » ، وقوله تعالى : « لئن شكرتم لازيدنكم » فكيف غير رايه الآن ؟ .

ولم يترك له شيخه الوقت للتفكير فاضاف :

« اذن عليك ان تفعل شيئا للتخفيف من حـدة غضب الله » ..

فاستبق الحاج ميمون سائلا شيخه بلهفة :

« ما ذا يا سيدي ؟ قل لي وانا افعل ! حالا! » .

فاشار الشيخ الى الزرابـي المبثوثـة وسط البهـو الكبيـر :

« اعتقد انه يكفي ان تشرك بقيــة اخوانـك المريدين والمحبين وانصار الزاوية في التمتع بهـذه الزرابي .. انت تعرف ان حصر الزاوية بدات تتآكل، والشتاء قادم .. »

وقاطعه الحاج ميمون قبل ان يتم كلامه :

« حاضر ، يا سيدي ، حاضر ، ان شاء الله ، سانقلها الى الزاوية في الصباح بحول الله » .

فحرك الشيخ راسه راضيا :

« الله يرضي عليك .. الله يرضي عليـك .. لن تندم على ذلك .. »

وهوى الحاج ميمون على راس الشيخ فقبلها ..
وقام هذا خارجا بين ذكر مريديه وزغاريـد النساء من فوق الشرفات ودربوز الحلقة .

— * —

وفي صباح الغد افاقت (مليكة) زوجة الحاج ميمون ، على حركة غير عادية في بهو الدار ، وحين اطلت من نافذة غرفة نومها بالطابق الثاني رات عددا من العمال يجمعون الزرابي من تحـت صالوناتهـا الفاخرة ، ويلوونها ، ويحملونها الى شاحنـة خارج الـدار ..

ونزلت تجري ، فالتقت بزوجها على السلم ، وصاحت به بصوت مكبوت حتى لا يسمع الحمالون :

— ماذا يفعـل هـؤلاء ؟

— انهم ياخذون الزرابـي .

— الى ايـن ؟

— الى الزاويـة .

— الزاويـة ؟ لمـاذا ؟

— الشيخ امرني بذلك ..

— هل سيستعيرها لحفل ما ، أم لتبقى هناك؟

— ستبقـى هنـاك .

— مـاذا تعنـي ؟

— انها هبتنا على الزاوية حتـى نتجنـب غضـب الله .

— لماذا لا يتصدق هو بزرابيه ، على زاويته؟

— اسكتي يا امرأة ! ما هذا الكلام ؟ !

— لن اسكت ! تلك زرابي انا . وقد تعبـت عليها تعبا شديدا مع صناع الزرابي حتى جاءت كما هي .. والآن ياخذهـا منـا ذلـك الـ ..

ونظرت الى وجهه الجهم فبلعـت الكلمـة ، وعادت تقـول :

— لماذا لا يعطيهـم زرابيــه ؟

— لانه لا يملك زرابي .. الشيـخ ناسـك متقشـف .

فنظرت مليكة الى السقف في نفاذ صبر لغباوة زوجهـا ، وقالـت :

— ليس له زرابي .. ليس له زرابي . كيف عرفت ؟ هل دخلت عمرك داره ؟ انه يعاملكم كالبهائم .. لا يدخلكم داره لانكـم دون المستـــوى ! دون المستــــــوى ..

وانتفخت اوداج الحاج ميمون ، فرجعت مليكة من قدامه هاربة من غضبه .. ذلك لانه لا يستطيـــع الرد عليها بمثل كلامها الجارح ، فيستعمـل يديـــه وقدميه بدل لسانه .

وظلت هي تنسحب من مدى ضرباته ، وتكيـل له المهيجـــات :

— شيخك ، يا سيدي ، له زرابي أحسن من زرابيك ، وله تلفزيون ملون وفيديو لا تملكه أنت ..

— اسكتي يا امرأة ، والا كسرت أسنانك ! كيف تجرئين على الكلام في ولي الله ؟ ! ستمسخين! ستتحولين الى حجرة صماء !

— لن يمسخ الا هو ! لماذا يحـرم علينـــا التلفزيون ، ويتفرج هو فيه ؟ !

— اقول لك انه لا يملك تلفزيونا !

ورفع قبضتـــه مهـــــددا :

— لماذا لا تذهـب الى داره وتنظـر الى سطحها ؟ هوائيته اكبر هوائية في الحي .. فهـو لا يكتفي بالمغرب فقط بل يرى اسبانيا ، والبرتغـال ، وجبل طارق ، واحيانا ايطاليا .. اسأل الناس ! هل ذلك حرام عليك أنت ، وحلال عليه ؟ لماذا ؟ هل لان التلفزيون يفتح المخ ؟ والشيخ يريد اتباعه جهلـــة جامدين ، لا يسمعون لاحد غيره ؟ !

وكان صوتها قد ارتفع قليلا فتبعها ليسكتهـــا بوكزة ، ولكنها انفلتت منه وراحت تدور حول دربوز الحلقة وهو يتبعها حائرا بين ما تقوله ، وبيـــن ان يسمع العمال صوتها او يتفرج عليهما الخدم ..

وانقذه من مازقه صوت رئيس الحمالين يناديه حين تم وضع الزرابي في الشاحنة .

ونزل السلم يحسك اسنانه غيظا من تصرفات زوجتـــه الحمقـــاء .

وعلى باب الزاوية التي كانت عبارة عن مستودع قديم للسيارات لقي (السي مسعود) ، احد تجـــار الخضار ، ومريدا مطرودا من زاوية الشيخ الزمرامي .. لا يدري الحاج ميمون لماذا، ولكن الشيخ فاجاهم ذات يوم ، بعد صلاة العصر ، بطرده مكفرا له مزندقا مهرطقا ، محرما على مريديه الكلام والتعامل معه حتى لا يتعرضوا لنفس المصير .. ولم يجرأ احـــد على سؤال الشيخ عن الاسباب .. فهو اعلم بما يفعـل ، وهو معصوم من الخطأ ، كما قال لهم في غيـــر مـــا مناسبـــــة .

واحرج الحاج ميمون حين وجد نفسه وجهـــا لوجه أمام السي مسعود الـــذي لم يكن يعـــرف او يسمع عنه الا كل خير .. وحياه الرجـــل ، فتردد الحاج ميمون في السلام ، فتداركه السي مسعود :

— انها تحية الاسلام « واذا حييتم بتحيـــة فحيوا باحسن منها أو ردوها » ، صدق الله العظيم . ام هل نسخت أحاديث شيخنا الكبير كلام الله ؟

واضطر الحاج ميمون الى الرد على مضض ، ثم انصرف الى الحمالين الذين كانوا ينزلون الزرابي من الشاحنة ويدخلونها الزاوية .

ووقف السي مسعود يتفرج على العملية ، وعلى وجهه السمح الملتحى ظل ابتسامة سخرية ضايقت الحاج ميمون . ولم يكتف السي مسعـــود بالنظـــر والابتسام بل تقدم نحو الحاج ميمـــون الـــذي ولاه ظهره ، واخذ يهمس له حتى لا يسمع العمال :

— الحاج ميمون .. لا تكلمني اذا شئـت ، ولكن ، على الاقل استمع الي .. انا لا أدري ما قالـــه لكم الشيخ عني حتى قاطعتموني .. والقاضي العاقل يسمع من الخصمين .

وتظاهر الحاج ميمون بانه لا ينصت اليه . فكان يعطي الاوامر للحمالين وهم يفرشون الزرابي وسط الزاوية . ولكن السي مسعـــود اصر على اسماعـــه قصتـــــه :

— سبب الخلاف بسيط جدا .. لقد كنت انا الآخر مثلك ، لا أفعل شيئا دون استشارتـــه .. ولو طلب مني أن أرمي نفسي في البحر لفعلـــت ..

ولكن الحديث النبوي يقول : « من الحزم سوء الظن» .. وقد ذهبت اليه لاستشارته في شراء دار من احد اليهود ، فقلب الدنيا علي ، ونعت التجارة مع اليهود بكل ما في الكتاب من خزي وعار . واخجلني حتى لم اجد اين اضع وجهي .. فخرجت معتذرا ، واخبرت اليهودي بانني لن اشتري الدار التي كان يعرضها علي بثمن مغر للغاية ، نظرا للصداقة التي كانت بيننا .

وتوقف السي مسعود ليرى هل يستمع اليه الحاج ميمون . وحين تأكد من أنه ينصت استأنف ؛ وكأنه يجهز عليه ..

— ولكن ، أتعرف ما صنع شيخنا الجليل ؟ لقد ذهب الى اليهودي واشترى منه الدار لنفسه في ذلك المساء بالذات ! وحين اخبرني اليهودي بالصفقة ذهبت غاضبا الى الشيخ اساله عن السر وراء تحريمها علي وتحليلها على نفسه ، فانتهرني ، واتهمني بالجهل والشك في نية شيخه ، وطردني من الزاوية وامركم بمقاطعتي كأني مرتد ! . هذا هو سبب الخلاف ، يا سيدي !

وتوقف السي مسعود ليرى مفعول كلامه على الحاج ميمون ، ولكن هذا ظل يلقي بالاوامر العمال غير عابىء به . فاضطر السي مسعود الى وداعه قائلا :

— اذا كنت جئت بهذه الزرابي بأمر منه ، فالاحسن ان ترجعها الى دارك ، ولا تحرم اولادك منها .. واذا اردت أن تتصدق بها فهناك من يستحقها ..

ولما لم يسمع جوابا حرك راسه وتلا الآية : « انك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء »

وذهب الرجل ، وبقيت أصداء كلماته في اذن الحاج ميمون خاوية لا تعني شيئا .. كان ايمانه بشيخه ايمان البدو .. خشنا ، عنيفا ، لا يعرف المراجعة ، ولا يتأثر بالاقاويل ! جاء الى المدينة معدما فأثرى ، ولكنه بعد أن احس بالامن المادي شعر بفراغ روحه .. وصادف جوعه الى الامن الروحي دعوة الشيخ (الزمرامي) فاعتنقها .. وملأت ما كان بقي في داخله من فراغ ..

واقفل الباب بعنف على ما سمعه من السي مسعود ، ودخل يساعد الحمالين بنفسه في فرش الزرابي وترتيبها على النحو الذي يتناسب ومقام الزاوية في نفسه .

— * —

ومرت يومان ..
وذهب الحاج ميمون لصلاة الجمعة في زاوية شيخه ، يكاد يمشي على الهواء زهوا وخيلاء بما يتوقعه من ردود فعل المريدين الطيبة على التفاتته الكريمة .. وربما قال الشيخ كلمة طيبة عنه في خطبته فتكتمل بذلك سعادته ويرتفع في عيني الشيخ درجة على بقية المريدين .

ولكنه فوجىء ، وهو يدخل الزاوية ، بالحصر القديمة المبتلة بمياه الوضوء ، فوقف ينظر الى الارض وقد سقط فكه الاسفل ..

وداخل حمامه البارد سمع احدا يكلمه . نظر حواليه ، فاذا مقدم الزاوية ينظر اليه بعينين حزينتين ، وقد وضع يدا فوق يد مستعدا للتبشير بالكوارث ..

— ارايت ؟ ارايت ما فعلوا ؟ ! اولاد الحرام! لقد سرقوا كل تلك الزرابي الجميلة التي اهديتها للزاوية .. فرعوا الباب ، واخذوا الزرابي .. لم يحترموا الزاوية ولا مقام الشيخ عند الله ...

وانضم الى المقدم عدد من المريدين بطواقيهم الشرقية ، ولحاهم القصيرة السوداء ، والموشحة بالبياض ، وكثر اللغط والاستفهام ، والاستغفار ، والاستنكار .

واكتظت الزاوية بالمصلين .. ودخل الشيخ فوقف يلقي خطبة الجمعة التي كان يمزج فيها الفصيح بالعامي ، فهاجم الاضرحة والاولياء ، ووقف يصيح ولحيته الطويلة ترتعش ويشير بيده في كل اتجاه :

« بعض من نسميهم أولياء وصالحين لا يساوون ثمن القبور التي دفنوا فيها ، فما بالك القباب

والاضرحة التي بنيت عليهم .. وبعضهم يستحق ان يبال عليـــه ! » .

واستغفر احد الجالسين الى جانب الحـاج ميمون من ذوي الحساسيات المرهفة وتحـــرك في مكانه لسماع الكلمة المؤذية في حـرم المسجـــد ، وخطبة الجمعة ، واغمض عينيه حرجا والما ، وبقـي كذلك بضع دقائق .

ونظر اليه الشيخ من فوق المنبر فجاة عـــن الخطابة ، واشار اليه بيده :

ــ انت ايها النائم في بيت الله اثناء خطبـة الجمعة ! انهض يا قليل الحياء ، واخرج من بيــت اللـــه !

وفتح الرجل عينيه ليرى الاعين تطوقه من كل جانب ، فادرك انه المقصود .. ونظر الى الامام فرأى الشرر يتطاير من عينيه الحاقدتين وهو يشير اليـه بأصبع الخزي والعار .

وحاول الرجل ان يشرح ، ولكنـه ادرك انـــه لا فائدة من ذلك ، فالتمس بلغته ونهض خارجا ..

كان الشيخ عبد الحي الزمرامي على غـــزارة معرفته بعلوم الدين واللغة ، وحفظه لكتـــاب الله ، واعدد هائل من الاحاديث النبوية بسندها ، ورغـــم ذكائه الطبيعي ، وقدرته الخارقة على تخدير الناس، واجتذاب الدهماء الى طريقته كان فاشلا في اخفـاء شراسته وتكبره ، وتطاوله ، وغـــروره .. كان في دمه خيط اسود من العناد والجبروت يتجلـــى في خلافه الدائم لاجماع المسلمين ، وانشقاقه في صلاته، وصيامه ، وغرسه في مريديه انهم هم وحدهـم على حق ، والباقي على ضلال .. لذلك كان اقرب الناس اليه ، من اخوته واقاربه ومريديه هم اول من يولـــي منه فرارا ، ويمتلىء منه رعبا !

وانتهت الصلاة ، وسلـم الشيـــخ واشار الى مريديه الا يخرجوا ، وتوجه اليهم بالكلام :

« اود ان اخبركم بأن اخاكم الفاضل الكريـــم السيد الحاج ميمون ، محبنا ومريدنا كان قد تبـــرع لمسجدنا هذا بعدد من الزرابي الثمينة .. جاء بها من بيته تلبية لرغبتي لتصلي عليها جميعا . ولكـــن الله اراد غير ما اردنا .. اراد ان يبقى بيته بسيطا خاليا من كل علائم الترف والزينة . فسخر من اخذ تلـك الزرابي ، وبقي فضل الله .. وانا اريدكم ان تشكروا للحاج ميمون اريحته وكرمه كما لو اننا استمتعنـــا بزرابيه الفاخرة . وانا اول الشاكرين « وان شكرتم لازيدنكم » صدق الله العظيم .

ونهض الشيخ الزمرامي متقبـلا مصافحـــات الاتباع والمريدين ..

— * —

ولم يرد الحاج ميمون ان يخبر زوجتـه بمـــا حدث حتى يتفادى تشفيها ولـــذع لسانها المـر .. فجلس للغذاء صامتا على غير عادته حين يعود مـــن صلاة الجمعة عامرا بالاحاديث والقضايا التي يتطرق اليها الشيخ الامام ..

واحس من حركاتها انها تخفي شيئا . ولكنـه كان عكر المزاج ، فلم يرد ان يستفسرها ولكنها بادرته بسؤال أحس فيه نبرة من سخرية :

ــ مالـــــك ؟

ولم يجب ، فالحت : :

ــ مالك ساكت ؟ الا تحكي لنا ما قاله الشيخ في خطبته اليـــوم ؟

وظل ياكل صامتا فاضافت متشفية :

ــ سرقوها . اليس كذلك ؟

وفاجاه وصول خبر سرقة الزرابي اليها بهـذه السرعـــــة .

ــ من قالهـــا لـــك ؟

ــ البلد كلها تعرف ! لا مدينـة تكبـــر على الاشاعات ، واخبار السوء !

وانحنت لتنظر الى وجهه مـــن فوق صحـــن الكسكس مؤكدة ما ستقوله :

ــ والبلد كلها تعرف مـــن سرق الزرابـــي كذلـــك !

ورفع راسه وكانما وقعت على وجهه صفعة :

— مـن ؟ سرقهـا ؟

واشاحت عنه بوجهها معتصمة بالصمت .

— من سرقها ؟ اجيبي يا امراة !

فحدجته بنظرة بـاردة :

— لن تصدق ! فما الفائدة من اخبارك ؟

فصاح في وجهها واقفا في مكانه مهددا :

— هل تقولين من سرقها أم لا ؟

فوقفت مبتعدة عن مرمى يده وصاحت وكانهـا تفرز في صدره سفودا :

— انه شيخك ! شيخك العزيز الذي اخرجها من دارك ، من تحت رجليك الى الزاويـة بطـرف لسانه الفتان ، ثم من الزاوية الى داره على اكتـاف المريدين والانصار !

ورمى منديله على الحشية غير مصدق ، وتحرك نحوها كانسان آلي تلقى امرا لتنفيذه :

— كذابة ! كذابة يا بنت الحرام !

فابتعدت عن طريقه رافعة اذيـال قفطانهـا : وصاحت في شبه استغاثة منادية :

— كريمـة ! . كريمـة . !

وظهرت الحاجة كريمة من باب المطبخ ، حيث كانت تنصت الى حديثهما ، وهي تتظاهر بمسح يديها في فوطة لتجيب بنبرة براءة :

— نعـم آلـلا . .

— قولي للسي الحاج اين وجدت الزرابـي هـذاالصبـاح ؟

فجاءت الحاجة كريمة التي كانت صغيرة الحجم كثيرة الحركة والنشاط والفكاهة على كبر سنهـا ، ووقفت امام الحاج ميمون :

— نعم اللا . . وجدت الزرابي التي كانـت عندنا هنا ، وانا اعرفها جيدا ، فقد فرشتها بنفسي ، وهي عندي مرشومة ، وجدتهـا في دار الشيـخ (الزمرامي) . .

فسالها الحاج ميمون متحديا :

— ولماذا ذهبت لدار الشيخ ؟

— راسلتني « للا مليكة » بصحـن كسكس الى دار الشيخ ، على عادتنا كل يوم جمعة . . انـت تعرف ان الشيخ يحب طعامنا . . وهنـاك رايـت الزرابي كلها مكومة في الصالة القبليـة . حولـت خادمهم « زكية » منعي من دخول الغرفة ، ولكننـي راوغتها ودخلت ، لمجرد معرفة ما تخبـيء ! النساء فضوليات ، يا سيدي الحاج !

وصرفها الحاج ميمون وقعد على مهل وكانه في شريط بطيء الحركة . .

كان يحس بخدر ثقيل في دماغه . وكان يـرى نفسه وكانما القي به فوق قبة هائلة من الزجاج الملون فانفجرت وتطايرت شظاياها في كل اتجـاه بنفس حركة الفيلم البطيء .

وظل مغلقا على نفسه وكانه داخل قشر بيضـة حمراء لا يعرف اين هو ، ولا يرى او يسمع ما حوله . .

وفجاة وقف ليتوجه نحو الباب خارجا ، فتبعته زوجته مشفقـة عليـه :

— ميمون . . آسي الحاج . . الى اين انت ذاهب ؟ ارجوك ! لا تقم بعمل تندم عليه !

وخرج الحاج ميمون دون أن يسمع كلمة ممـا قالـت . .

واخذ سيارته وقصد الجبـل . . وفي وسط احدى الغابات المطلة على البحـر اوقف سيارتـه وخرج منها يتمش على غير هدى ويفكر . .

ولم يفطن الى الوقت كيف مر ، حتى غربـت الشمس ، ونزل الظلام ، فعاد يبحث عن سيارته .

ورجع الى معمله فجمع عشرة رجال من ابناء قريته وعمومته ، وأخذهم الى داره حيث تعشوا معه هناك ، دون ان يعرفوا سبب هذه الدعوة المفاجئة..

وفي منتصف الليل خرجوا معه فركبوا شاحنة، وقادهم هو الى الدرب الذي توجد فيه دار الشيخ الزمرامي . ولم يصادفوا في الشوارع المنعرجة الا القطط والكلاب الضالة .

وتوقفت الشاحنة على باب الدرب ، ونزل الحاج ميمون واشار الى الرجال ان يتبعوه حتى باب دار الشيخ القديمة .. فرفع النقارة النحاسية الثقيلة وقرع بها الباب بعنف شديد ، فسمع اصداء الطرقة تردد داخل ابهاء الدار الباردة المظلمة .. وبسرعة اشتعلت الاضواء داخل الدار ، واطلت خادم من نافذة على الرجال :

— ماذا تريدون ؟

فقال الحاج ميمون بصوت حازم :

— نريد الشيخ الزمرامي .

— انه نائم .

— ايقظيه !!

وفكرت المراة ان ترد على كلامه الوقح ، ولكنها رات اشياء تلمع في ايدي الرجال العشرة ، فاكتفت بسؤاله :

— من يريده ؟

— قولي له الحاج ميمون .

وبعد لحظة قصيرة أطل من نفس النافذة راس اصلع شديد البياض وقد تدلت تحته لحية مضحكة.. ولم يميزه الحاج ميمون لاول مرة ، فقد الف المعامة والسبحة الكبيرة . ولم يعرفه الا حين تكلم :

— الحاج ميمون ؟ ما ذا جاء بك في هذه الساعة ؟

— الزرابي يا سي الزمرامي .

ولاول مرة سمع نفسه يخاطب شيخه السابق بدون القاب التبجيل والتعظيم . وتحرك الانف الكبير المعلق بالوجه المطل من النافذة :

— اية زراب ؟

— الزرابي التي كانت في الزاوية وهي الآن في بيتك القبلي ؟

ونظر الشيخ من شقين ضيقين بين جفنيه المتنفختين المهترئتين الى الرجال العشرة المدججين بالمعاول والمجارف ، والهراوات ، وتحركت شفتاه الممتلئتان :

— الا تنتظر حتى الصباح ؟

— اريدها الآن .. وقد جئت في هذا الوقت اشفاقا عليك ، لاجنبك الفضيحة .. ولو كنت وقعت في يد غيري لجاء في وضح النهار ، وبالغياطين والطبالين ، وجمع عليك المدينة باسرها .. ولكنك وقعت في يد رجل ما تزال عنده شيء من المروءة .

وصاح احد الرجال :

— افتح ، والا كسرنا الباب !

فاستدارت الشفتان الغليظتان كسفنجة محمرة وسط اللحية البيضاء ، وصدر عنهما صوت: « ششششش » !

وتحركت العينان المدفونتان في الشحم يمينا ويسارا لتريا هل هناك من يتفرج على المسرحية . ثم دخل الراس اللامع ، وبعد لحظة انفتح الباب ، ودخل الرجال ..

وفي دقائق معدودة كانت الزرابي كلها فوق الشاحنة ، والحاج ميمون يدير المحرك وينظر الى دار الشيخ وكأنه يودع ميتا سيراه لآخر مرة ، ويقاوم رغبة جامحة في ارسال بسبة عالية نحوها .

احمد عبد السلام البقالي

المغرب في المؤتمر الثالث لوزراء الأوقاف والشؤون الاسلامية بمكة المكرمة.

انعقد بمكة المكرمة في الفترة ما بين 17 و 19 يونيو المؤتمر الثالث لوزراء الاوقاف والشؤون الاسلامية وقد مثل المغرب في المؤتمر السيد محمد الرابط الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية برفقة مدير ديوان السيد الوزير الدكتــور محمد الاميــن الاسماعيلــي .

حضر المؤتمر 32 وفدا يمثلون مختلف البلاد الاسلامية . وتفرعت عن المؤتمر أربع لجــان هــي :

1) لجنة حركة التضامن الاسلامي .

2) لجنة الاسلام في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة .

3) لجنــــة الجهــاد .

4) لجنة الدعوة الاسلاميــة .

وتولى السيد وزير الحج والاوقاف في المملكة العربية السعودية رئاسة المؤتمـر بينما تولى نيابة الرئاسة السيد وزير الشؤون الدينية باندونيسيا والسيد ممثل حركــة فتح بالمملكة العربية السعودية . في حين أسندت مهمة المقرر الى السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بدولة قطر .

وقد انتخب المغرب رئيسا للجنة الاسلام في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة .

واسفر المؤتمر عن توصيات مهمة تتناول الحياة الفكرية والاجتماعيــة في البــلاد الاسلاميـــة .

وكانت لجنة الاسلام في مواجهــة التــيارات الفكرية المعاصرة تتكون من :

1 ــ محمد المرابط الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية .

2 ــ الدكتور محمد شريف احمد مدير عام الارشاد والتوجيه الديني بالجمهورية العراقية .

3 ــ عبد العزيز عبد الرحمن الامين العام لمسابقة القرءان الكريم الدولية وعضو وفد المملكــة

العربيــــة السعوديــــة .

4 ــ علي حمد الله راشد الساسي بوزارة العدل والشؤون الاسلامية بدولة الامارات العربية المتحــــدة .

5 ــ عبد القادر بن محمد العماري القاضي بالمحكمة الشرعية الاولى بقطــر .

6 ــ علي كيغومبي نائب رئيس القضاة بالمجلس الاسلامي بيوغنــدا .

7 ــ الدكتور محمد امين الاسماعيلي مدير ديوان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكــة المغربيــــة .

8 ــ اسماعيل محمد شاه أستاذ بالجامعة الاسلامية الاندونيسيــة .

9 ــ سيد علي محمد وزير الصحــة والاسكــان والشؤون الاسلامية بجزر القمر .

10 ــ الشيخ محمد جوايــد ــ الصومــال .

11 ــ الشيخ حمزة يدوعــى ــ الجزائــر .

12 ــ بابــا ابــو بكر درامى ــ جامبيــا .

13 ــ حسن الصبان ــ مندوب رابطة العالم الاسلامي (وذلــك كمراقــب) .

14 ــ عدنــان الملوحــي ــ سوريــا .

وقد انتخبت اللجنة الدكتور محمد شريف احمد مقررا لها بالتزكية ثم استعرضت التيارات الفكرية التي تعادي الاسلام والعمل على هــدم معالمــه . وركزت على التيارات التالية لمزيد خطورتهــا على الاسلام والمسلمين وهي :

1) الصليبيــة والتبشيــر .

2) العلمانيــة والالحــاد .

3) الماركسيــــة .

4) الانحرافات العقدية والفكرية في بعض البــلاد الاسلاميـــــة .

5) القاديــانيــــة .

6) الماسونيــــة .

7) البهــائيــــة .

8) محاولات القضاء على لغة القرءان .

وبعد التداول والمناقشة اقرت اللجنة ما يلي :

(1) الصليبيــة والتبشيــر :

الماركسية .. القاديانية .. الماسونية .. البهائية .. العلمانية .. والالحاد . وسائــر الحركات المعادية للاسلام .

(أ) بالاضافة الى اقرار اللجنة للتوصيات السابقة لمؤتمري وزراء الاوقاف والشؤون الاسلاميــة فانها تتبنى مذكرة الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي المقدمة الى مؤتمر المقة الاسلامــي الثالث وتتبنى ايضا ورقة العمل المقدمة مــن الامانة العامة برابطة العالم الاسلامي الى مؤتمر وزراء الاوقاف والشؤون الاسلامية الثالــث كمعالجة سليمة لمواجهة مخاطر تلك التيارات .

(ب) وتؤكد على ضرورة مناشدة حكومــات الدول الاسلامية بتحقيق ما يلي :

اولا : تشجيع العمالة الاسلامية .

ثانيا : تشديد الرقابة على مــا يعــرض في التلفزيون والسينما والصحافة والفيديو لمنع تسرب الافكار المعادية من خلالها والمتأثــرة بتلــك التيــارات .

ثالثا : تشديد الخناق على مروجي تلك التيارات ومنع نشاطاتهم وغلــق محافلهــم ومراكــز اجتماعاتهــم .

(2) الانحرافات العقدية والفكرية داخـل العالـم الاسلامــي :

استعرضت اللجنة بعض الممارسات والانحرافات الخطيرة التي ظهـرت خـلال السنوات الاخيـرة ولاحظت انهـا تسيء الى الاسلام وتشوه معالمـه وتشكك المسلم في عقيدته كالادعاء بعدم اكتمـال الرسالة السماوية وعدم تحقيقها للعدالة بين بنـي البشر او الادعاء بنقص القرءان الكريـم وتحريفـه والاخذ ببعض دون البعض الآخـر كالاعتمـاد على الآيات المكية دون المدنية في التشريع او الطعن في السنة النبوية المطهرة بعدم التوثق في صحتهـا او كادعاء بعض الشخصيات ان لها بعض الخصائـص الشرعية المتفردة .

وبناء على ذلك فقد اوصت اللجنة بما يلي :

1 ــ مقاومة البدع والانحرافات العقدية المتسترة باسم الاسلام والطعن في القـرءان الكريـم والسنة النبوية بدعوى عدم اكتمال الرسالـة وعدم تحقيقها للعدالة الاجتماعية .

2 ــ تدعو اللجنة المؤتمر الموقر الى العمل المشترك وذلك باعداد مؤلف اسلامي جامع على مختلف اللغات الحية المستعملة في العالم الاسلامـي لدراسة الانحرافات واسبابها ومعالجاتها بشكل دقيـق .

3 ــ مناشدة حكومات الدول الاسلاميـة بضرورة محاربة هذه الانحرافات والتيارات في جميـع المجالات التعليمية والتربوية والاعلامية .

(3) محاولات القضاء على اللغة العربية :

تبذل الدول الاستعمارية والجهات التبشيرية جهودا محمومة للقضاء على اللغة العربية عموما وفي الدول الاسلامية بصفة خاصة وذلك لان اللغة العربية هي وسيلة فهم القرءان الكريـم وتعاليـم الاسلام الحنيف ، ويحاولون بذلك قطع الجسور التي تصل المسلم (غير العربي) الى منبع عقيدته وهو القرءان الكريم الذي انزله الله بلسان عربي مبين .

ولخطورة هذا التيار ولضرورة مواجهته بشكل حاسم توصي اللجنة بما يلي :

(1) التأكيـد على وزارات الاوقـاف والشؤون الاسلامية بالحـرص على الاستمرار في نشر القرءان الكريم وطبع المصحـف الشريـف وتوزيعه على الدول الاسلامية الفقيرة بصفتـه خطوة ايجابية لنشر اللغة العربية .

(2) مباركة ودعم جهود الرابطة في المجال المادي والمعنوي حول نشر مدارس تحفيـظ القرءان الكريم في الاحياء والقرى والمدن الاسلامية .

(3) دعوة وزارات الاوقاف بالتعاون مـع وزارات التعليم والجامعات الى انشاء معاهد ومراكـز ثقافية هدفها نشر اللغة العربية في البلاد غير الناطقة بالعربية مع الاستفادة من تجارب الدول الاجنبية في هذا المجال وذلـك باستعمـال المخابر اللغوية .

(4) دعوة وزارات التعليم في البلاد العربيـة الى ايفاد مدرسين الى البلاد غير الناطقة بالعربية بغرض التدريس ونشر اللغة العربية هناك .

(5) دعوة الحكومات العربية الى اصدار قانـون الحفاظ على سلامة اللغة العربية وتحصينها من محاولات القضاء عليها واضعافها .

وبهذه المناسبة القى السيد محمد المرابـط الكاتب العام للوزارة كلمة المغرب نيابة عن السيـد الوزير . وفيما يلي نصها :

كلمة المغرب في المؤتمر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

وبعـــد :

صاحب المعالي الشيخ عبد الوهاب احمد عبد الواسع وزير الحج والاوقاف بالمملكـة العربيـة السعوديـة ..

صاحب المعالي الشيخ محمد علي الحركـان الامين العام لرابطة العالم الاسلامي ..

أصحاب المعالي حضرات السادة :

يشرفني ان أقدم اليكم تحيات صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية ورئيس لجنة القدس وتحيات الحكومة والشعب المغربي المجاهد في سبيل اعلاء كلمة الحق مبتهلا الى الله العلي القدير ان يبارك أعمالنا ويلهمنا طريق الرشاد ويوفقنا للنجاح في مؤتمرنا هذا .

أصحاب المعالي حضرات السادة :

ان المملكة المغربية لتفخر بانها كانت اول من دعا الى عقد مؤتمر قمة اسلامي سنة 1969 ميلادية اثر الجريمة النكراء التي اقترفها الصهاينة لاحراق المسجد الاقصى المبارك . وقد ضم مؤتمر القمة هذا لاول مرة في تاريخ الامة الاسلامية المعاصر ملوك ورؤساء الدول الاسلامية ليتدارسوا قضايا امهم مجتمعين لمجابهة التحدي الصهيوني الذي يستهدف عقيدة الانسان المسلم وأصالته وتاريخه المجيد .

وبالرغم من انه لم ينقض سوى عقد من الزمن منذ انعقد مؤتمر القمة المذكور فان مرحلة هامة قد قطعت في سبيل وحدة المسلمين العقدية والفكرية وحصل تفاهم كبير على الكثير من المشاكل التي فرضها عليهم اعداؤهم اذ توجت جهودهم المحمودة بانعقاد مؤتمر الأمة الاسلامي بالديار المقدسة برئاسة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وقد أعطى هذا المؤتمر للامة الاسلامية نفسا جديداً وقوة دفع هائلة نحو التضامن الاسلامي .

ومع ان الطريق لا يزال محفوفا ببعض المخاطر فان العمل الدؤوب الذي تقوم به البلاد الاسلامية داخل منظماتها الملتزمة بخدمة الاسلام سيعطي لا محالة ثماره بحول الله .

أصحاب المعالي حضرات السادة :

ينعقد مؤتمرنا هذا في ظروف ذات حساسية خاصة لما تشهده المنطقة العربية والاسلامية من احداث خطيرة قد يكون لها الاثر العميق على مستقبل امتنا ومصير شعوبها العقيدي والحضاري ، فانعدام الضمير الانساني والشعور باللامسؤولية دفعا العدو الصهيوني الى الاستمرار في غطرسته واستفزازه لكرامة امتنا الاسلامية حيث يصر على احتلاله للارض الاسلامية وتدنيس القدس الشريف وضرب المنشآت الاقتصادية والعلمية في أراضي المسلمين كي يفقر شعوبها ويتركها عرضة للضياع ونهبا للطامعين ، كما عمل مؤخرا بالنسبة للعراق الشقيق. والمغرب كما هو معروف لديكم بلد اسلامي مجاهد وتاريخه شاهد على انه الحصن الحصين للدين ولغته العربية وهو قلعة الاسلام في غرب العالم الاسلامي اذ انه ما برح يجاهد بقيادة ملكه الهمام جلالة الحسن الثاني في سبيل اعلاء كلمة التوحيد الخالص التي انبثقت أصولها من مكة المكرمة حيث اجتماعنا اليوم وذلك بجانب اخوانه في الدين فهو متمسك بدعوة التضامن الاسلامي التي اذكى فعاليتها جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز واكسبها جهاد جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وولي عهده الامين الامير فهد بن عبد العزيز رسوخا لصالح الاسلام والمسلمين .

أصحاب المعالي حضرات السادة :

لقد أسهمت المملكة العربية السعودية بدورها الاصلاحي الرائد بقيادة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود والملك الشهيد فيصل عبد العزيز الذي عمل الى جانب والده زهاء نصف قرن من العمل التاريخي القويم دفاعا عن الاسلام والمسلمين الى ان سقط شهيدا متمنيا الصلاة في رحاب المسجد الاقصى بعد تطهيره من أردان الصهيونية الماكرة . ولا شك ان أخاه جلالة الملك خالد بن عبد العزيز أمد الله في عمره وولي عهده صاحب السمو الملكي الامير فهد ابن عبد العزيز سائران على النهج القويم الذي خطه لهم أسلافهم وقد ظهر ذلك للعيان في مؤتمر القمة الاسلامي بمكة المكرمة حيث جددت الامة الإسلامية ميثاق الوحدة العقدية تجاه اله واحد.

لقد تحرر العالم الاسلامي من سيطرة الجيوش الاستعمارية لكنه يواجه اليوم تحديا اشد واقوى من الاستعمار العسكري الا وهو الغزو الفكري الاستعماري هذا الغزو الذي تشنه على امتنا الاسلامية فلول الصهيونية والشيوعية والصليبية فهو تحدي حضاري يستهدف مسخ أمتنا والقضاء على مقوماتها الحضارية والثقافية ليسهل عليه السيطرة على مقدراتها .

وتتحمل الشعوب الاسلامية وقادتها اليوم أكبر مسؤولية في تاريخهم لمواجهة هذا التحدي كما واجهه الاجداد بقوة الفكر وقوة المادة ولن يستطيع المسلمون التغلب على الاخطار المحيطة بهم ما لم يتمسكوا بدينهم كي تتحد كلمتهم وتتآخى في الله عزائمهم للعمل صفا واحدا .

ان العدوان الشيوعي على أفغانستان والعدوان الصهيوني على القدس والاراضي العربية المحتلة ليس الا حلقة أولى في المخطط الجهنمي لاحتلال أراضي المسلمين والقضاء على حضارتهم .

أصحاب المعالي حضرات السادة :

ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية لحريصة كل الحرص على تنفيذ قرارات وتوصيات مؤتمر وزراء الاوقاف وذلك حسب ما تسمح لها امكاناتها المعنوية والمادية ، ولقد رفعت الوزارة الى الامانة العامة للمؤتمر مذكرة تحت عدد 344 وتاريخ 3 ربيع الاول 1401 هـ تطلع فيها امانة المؤتمر عما استطاعت الوزارة تحقيقه من منجزات طبقا لقرارات وتوصيات مؤتمر وزراء الاوقاف الثاني الذي عقد بمكة المكرمة .

وبالنسبة لهذا الجمع المبارك فان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تتشرف بان تزف له بشارة انشاء مجلس علمي أعلى في المملكة المغربية برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني . من ضمن أعمال هذا المجلس ربط الصلات بالمؤسسات الاسلامية العليا كرابطة العالم الاسلامي والمؤتمر الاسلامي والتداول في قضايا مهمة يعرضها عليه جلالة الملك .

وتتشرف الوزارة كذلك بأن تتقدم لكم بورقة عمل تشتمل على اقتراح بانشاء خلية داخل رابطة العالم الاسلامي للاهتمام بالمرأة المسلمة وحمايتها من الضياع الفكري والغزو الثقافي والمصير المجهول اذ بدون الاهتمام بالمرأة المسلمة يبقى البيت المسلم بدون عائل فيصبح بدوره معرضا لكل دخل فكري وثقافي أو حضاري مادي .

كما نقترح انشاء صندوق خاص لدعم وزارات الاوقاف والشؤون الاسلامية في البلاد الاسلامية .

وفي الختام أرجو العلي القدير أن يديم علينا نعمة الاسلام ويرزقنا قوة الايمان شاكرا للمملكة العربية السعودية كرم الضيافة مقدرا لها ولعاهلها وشعبها ما يقدمونه لصالح الاسلام والمسلمين . والله الموفق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد المرابط

الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ المملكة المغربية

وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تقترح في مؤتمر وزراء الاوقاف انشاء صندوق خاص لدعم وزارات الاوقاف والشؤون الاسلامية في البلاد الاسلامية .

سينتصر الحسن العظيم

للشاعر الأستاذ احمد تسوكي

الخطب طام والعدى نفروا ... والرجس والشيطان والقدر
وجحافل الأوباش طاغية ... في الارض ، لا تبقي ولا تذر
ومواكب الآثام جررها ... بغي وكبر ليس يغتفر
« صهيون » احتل التراب ... ووالى زحفه ـ كالنار ـ ينتشر
الترب دنسه ومرغه ... والمجد ، والاعلاق ، تنتظر
ومشى على أرجائنا صلفا ... ودنا من الاكناف يعتمر
بالقوة العمياء مفتتن ... بالغارة الرعناء مقتدر
يا امتي ، الخطب مزدحم ... والهم ، والاهوال تعتصر
يا امتي ، القلب منكسر ... والعرق ، والاعصاب تنفطر
والشوق ، والنعماء في خلدي ... والليل بالظلماء معتكر
والحزن ، والخطو الذليل علـ ... ـى درب المشى ، والدمع ينهمر
يا امتي ، استيقظي فلقد ... طال الكرى وتطاول الكبر
استيقظي يا امتي فلقد ... طم الاسى وتطاير الشرر
استيقظي ، اقلم يطل بك هـ ... ـذا الليل ، والادلاج والسفر ؟
استيقظي ، لم تجد اغنية ... الجيل ، تحفزه ولا وتر
قومي الى التاريخ وانتفضي ... ان الخمول يعافه البشر
قومي الى الميدان واقتحمي ... بالسيف ـ لا بالشعر ـ يستعر

المسجد الاقصى تدنس   والقرءان ، والانجيل ، والزبر

ما ذا يقول محمد ، وصلاح الد   ين ، والشهداء ، والعمر ؟

ماذا يقول لنا الغطارفة السو   جهاء ، والآيات والسور ؟

والكتب ، والاسفار ، والشر   ف المزهو ، والاحقاب والعصر ؟

والوثبة الشماء من مضر   استنهض الوثبات يا مضر !

سيجيبها الصمت الكبير   واصداء من المجد تدخر

أن الاباء الحر في المهج الـ   ـكبلى ، نحس به ونعتذر

وقوافل النصر المؤزر في تلعاتنا تصدى وتحتضر !

ورجولة وبطولة وجلالا   نيرا يأبى ويصطبر !

وكرامة وشجاعة وجنانا   ثابتا يدعو ويدكر !

حتام هذا الخلف بالشمم الو   اهي يبعثرنا فننتثر ؟

حتام هذا الخلف ، والعنت المـ   ـكتوم ، والوعثاء ، والخور ؟

حتام يصفو المعتدي ، ونذ   ل ونستكين له ونكتدر ؟

— ❋ —

يا امتي ، نحن الالى عزموا   فانثالت الاطياب والصور

واطل فجر ، وانطوى زمن   من عمرنا ، وتدفق القدر

وترنحت دنيا من الالق الر   يان ، بالامجاد تأتزر

— ❋ —

هذا الفتى العربي جاء ،   فجاء النصر والتأييد والظفر

هذا الفتى « حسن » العروبة والاسلام ، بالالهام يبتدر

سيطهر الاقصى ويفتحه   للمسلمين وتقرأ السور

سيحرر الاقصى ويفتحه   للعالمين وينقضي الخطر

وسينصر الحسن العظيم وتر   جع قدسنا ، قسما سينتصر

احمد تسوكي

في المكتبة المغربية :

المعيار المعرب والجامع المغرب

عن فتاوى أهل افريقية والاندلس والمغرب

تأليف : أبو العباس احمد الونشريسي
نشر : وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
المغرب

● تعززت الخزانة الفقهية في المغرب بصدور موسوعة الامام أبي العباس احمد الونشريسي المسماة (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب) وتقع هذه الموسوعة العلمية التاريخية في اثني عشر مجلدا ضخما يتضمن كل مجلد حوالي 500 صفحة من القطع الكبير ، هذا الى جانب مجلد اضافي يحتوي على الفهارس الكاملة ، وبذلك تصدر هذه الموسوعة في ثلاثة عشر مجلدا !.

وقد اشرفت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب على اخراج وطبع ونشر هذا العمل العلمي الذائع الصيت .

وكان كتاب المعيار قد طبع لاول مرة في المطبعة الحجرية بفاس عام 1897 م في اثني عشر جزءا بعناية ثمانية من الفقهاء الخطاطين والمصححين ونفدت نسخ هذه الطبعة .

ويعتبر كتاب المعيار مرآة للحياة الاجتماعية والتاريخية بالمغرب في القرن العاشر الهجري ، فقد حوى الكثير من الاشارات الى أحوال المجتمع الاسلامي في هذه المنطقة ، من عادات في الافراح والاتراح ، وانواع الملموسات والاطعمة وحالات معينة في الحرب والسلم والعمران وما الى ذلك ، الامر الذي يجعل من هذه الموسوعة الهامة مصدرا وثيقا للمؤرخ الاجتماعي مثلما هو للفقيه .

وقد كتب الدكتور محمد حجي عميد كلية الآداب بالرباط تقديما مستوفيا لكتاب المعيار وترجم لمؤلفه الذي ولد بالجزائر وارتحل الى المغرب واستوطن فاس ، وعاش في البيئة العلمية المغربية فنبغ وذاع صيته كعالم عالي الكعب غزير المادة متمكن من العلوم الاسلامية .

صدر الكتاب عن دار الغرب الاسلامي ببيروت.

والجدير بالذكر ان كتاب المعيار يصدر بأمر من صاحب الجلالة نصره الله ، باعتباره قمة من القمم الفقهية والعلمية التي تعلي من شأن المغرب . ويأتي صدور هذا الكتاب مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، انسجاما مع بوادر الصحوة الاسلامية المباركة التي تشهدها البلاد الاسلامية عموما ●



للشاعر الأستاذ محمد الحلوي

لا تضع فوق جراحاتي ضمادا! … انا من آلامي اصبحت جمادا !

كان ليلي طافح النور فاضحى … بالاسى نور مصابيحي سوادا!

كلما قلت : مضى الحزن وولى … من حياتي اقبل الحزن وعادا!

واذا ما التام جرح تكأتـ … ـه يد شؤم وعثت فيه فسادا

طفحت كاسي وعافتها يدي … وشدا السامر لحنا مستعادا

وبكى كل شجي شجوه … بعيون لم تذق الا السهادا

بلغ الحزن به قمته … واضاع الفكر منه والفؤادا!

فرش الدهر له أدربه … وهو يمشي هائما فيها قتادا!

بسمات الكون في أعينه … مأتم يعلن باكوه الحدادا!

وغناء الطير في مسمعه … صوت ناع ازعج الحي ونادى

ما لقينا من حياة لم تزل … تتحدى حبنا الا العنادا!

لم ينل منها بنوها غرضا … او منى الا اختلاسا واصطيادا!

غادة نسجد في محرابها … ومصلاها جموعا وفرادى ..

في هواها نبذل الروح ومن … اجل عينيها نعادي ونعادى

ربما تشفي الجراحات يد … لم تقبلها وتمنحها الودادا !

ويعاديك اخ اعددته … سندا تأوي اليه وعمادا ! ..

يا رفاق الدرب يا من ضمنا … واياهم موكب أحيا الجهادا!

يوم رددنا اناشيد الفدا ... واحلنا شعلة البغي رمادا

وسقينا بدمانا ارضنا ... وبدانا وحدة توري الزنادا

طالما شاءت فرنسا عبثا ... نسف قوانا فلم تبلغ مرادا

ثورة خضنا جميعا نارها ... وشربنا مرها سبعا شدادا

واقتحمناها سويا لم يهن ... عزمنا فيها ولا اخترنا الحيادا

ان تكن ثورتكم شبت على ... قمم الاوراس والله المنادى

فلقد كنا هنا اهلا وكان الا ... طلس الحر ملاذا ومهادا

ان رزئتم في شهيد فقضى ... أعلن المغرب في الرزء الحدادا

او نصرتم كبر الشعب هنا ... وكست أعلامه الحمر البلادا

لحمة الارحام والقربى التي ... جمعتنا صنعت منا اتحادا

فلما ذا الحب اضحى احنا ... ولما ذا قربنا عاد ابتعادا ؟

كيف صارت قبلات النصر والحـ ... ـب سبابا وهجاء مستجادا ؟

وعناق الروح أضحى مدفعا ... وصواريخ وموتا وعنادا ؟

وبتمانا وصرعى بغيكم ... لعنات كالسماوات امتدادا ؟

يا رفاق الدرب يا اخوتنا ... لا تزيدوا الجرح عمقا وفسادا

لو جرى في القدس ما تسفكه ... من دمانا لرأينا القدس عادا !!

قصة قصيرة :

اختراق الحواجز

للأستاذ محمد احمد اشماعو

فى الصف الممتد على اليمين جلس علية الضباط ، من ادارة الشؤون الفرنسية لسياسة الاهالي بالمغرب ، لباسهم ثمين ، وصدورهم محلاة بأوسمة فاخرة ، أو بالاحرى محلاة برموز لها فقط ، اذ لو حملت الصدور الاوسمة كلها لسار حاملوها ، ومن حواليهم رنين وحسيس ، تماما كما يسمع من التيوس الاليفة ، وهي تسير واعناقها مزينة بأجراس صغيرة رنانة ، القبعات الموضوعة على الطاولة الكبيرة لماعة في جدتها وزخرفتها ، لكأن صانعيها لم يرفعوا ابرهم منها الا منذ قليل ... وهم قبل ان يجلسوا حرصوا على ان يرتبوا بذلاتهم وسراويلهم ، وان يحافظوا على الثنيات تمام المحافظة ، الاناقة على اشدها تجلت فى الشعور السوداء والشقراء المرجلة بكامل العناية ، اللهم الا ما كان من الذين حرموا الشعر ، وتبقت لهم صلعات من مختلف الاحجام ، لا تخلو من جمال .

قبالتهم جلس لفيف من السياسيين خبراء الشؤون الاهلية ، وهم فعلا خبراء ، والا ، فلماذا تدور اعينهم في محاجرها ، دوران الدهاء والاحتياط والتيقظ الكامل ... وهم في ازيائهم لا يقلون أناقة عن العسكريين ، فكلهم باللباس الاسود الثمين ، بالاقمشة البيضاء المنشاة . اختلاف واحد بينهم يظهر في قيمة رباطات العنق ، تلك الرباطات التي اجتهد بعضهم ان يعتنق منها ما يلفت الانظار طيلة مدة الاجتماع ، وكلهم في صميم أنفسهم يحسدون العسكريين امامهم على البشرات الملفوحة بحرارة شمس المغرب ، والتي اضفت عليهم رجولة مليحة ، وهيبة وملامح الصرامة ، بينما هم أمامهم في بياض يشبه بياض النساء ، واولا ذلك الشيب الذي وخط شعر الراس لما شعروا باية جاذبية ، ولما وجدوا اى تاثير من شانه ان يضمن لهم الاحترام .

الاحترام — في الواقع — هو الذي فاز به (المونسيور) الذي دخل في هذه اللحظة بعد التئام الجمع . لقد قاموا كلهم ، مدنيون وعسكريون ، اجلالا له ، وتمادى بعضهم فشد على الكف عند المصافحة، وطبع عليها قبلة بحرارة وشغف ، منتظرا ان يباركه الراهب بوضع راحته على كتفه .

افتتح الرئيس الجلسة بكلمات مختارة انيقة ومبشرة ، وابى الا ان يشكر الجميع على الحضور ، واعلن ان جدول الجلسة به النقط الآتية :

— عن الحالة — والعشرينيات على وشك الانتهاء — يبهجه ان يعلن باسم المسؤولين عن الحماية الفرنسية بالمغرب ان الوجود الفرنسي يكاد يشمل جميع البقاع .

— انه باسم المقيم العام لفرنسا بالمغرب يسعده ان يوجه للضباط ممثلي الجيوش البرية

والبحرية والجوية التحيات والتهاني ، على العمل العظيم ، الذي انجز وينجز لاخضاع القبائل والجهات الثائرة ، او الواقفة في وجه تقدم الجيوش .

— وانه ستسلم للذين يمثلون تلك القوات اوسمة رفيعة باسم رئاسة الجمهورية وسيكون ذلك بيد سعادة المقيم العام نفسه .

— وانه بقرار من الحكومة الفرنسية ، ومن اجل الحفاظ على الامن والاستقرار سيقسم المغرب الى ثلاث مناطق : منطقة لا يدخلها احد من غير سكانها ، مهما كان السبب اذ سكان هذه المناطق اشداء ، ومعتزون بانفسهم ، ومنكمشون ، فيجب ان يبقوا كذلك ، وهم — والكلام هنا للسادة الضباط — أحسن مزود للجيش الفرنسي باشد المحاربين واشرسهم .

مناطق اخرى سيضرب عليها الحصار بصورة اقل ، انما الدخول اليها سيكون بموافقة السلطة ، اعني حاكم الناحية ، وهو الذي سيوقع على دخول اي اجنبي عن المنطقة من سكان السهول والمدن ، وطبعا مواطنونا لا يسري عليهم هذا الحكم !

مناطق ثالثة ، وتشمل جل الحواضر ، وهذه مفتوحة في وجه الجميع ، وحكمها — كما تعرفون — ليس هينا ، ان « نارها تحت التبن » كما يقولون في مثلهم ، لهذا فهي تتطلب حذرا شديدا ، ويقظة تامة، وتتبعا مستمرا ، ومعرفة دقيقة بكل ما يجري اقوالا وافعالا .

قال قائل من المدنيين الحاضرين ، المتحملين للسلطة والمسؤولية :

— هل من خريطة محدودة توضح هذه الاوامر بدقة ؟

اجاب رئيس الجلسة :

— نحن لا نقدم على عمل الا بعد الدراسة الدقيقة ، ومن ثم نجعل خطة العمل واضحة ، لا يمكن ان نترككم تتخبطون ، الاوامر ستكون واضحة ، وتطبيقها لا يكون فيه اي تساهل .

تناول ملفا عامرا كان موضوعا امامه وقلب الاوراق ، ثم استخرج مجموعة منها ، وحاول ان يتابع الحديث ، لكن الكاهن المحترم قاطعه :

— جميل ومعقول ان يكون هذا الاهتمام بمسائل اقامة الحواجز على بعض المناطق ، بالمناسبة ، أعيد على أسماعكم مثالا صالحا عميقا ، كان قد ضربه لنا احد الآباء المبجلين ، وذلك عند ما استدعوه لاجتماع قيم كهذا ، ولا اجد عندي مثالا أبلغ منه ، اذكره لكم ، ولن آتي بحديث آخر ، لان حديثنا نحن الرهبان — عادة — لا يخلو من ملل ... قال الاب الجليل : قال ، ما قال ، وبين يديه حمامة ، وهو يحدق في العيون بنظرات عازمة ، واكد ان هذه الحمامة يمكن ان تطير بسهولة ، وحرة طليقة اذا تركت لها ريشها النابت في الجناحين ، ولكن انظروا ، اذا ما ريشت جناحيها ، وفعلا اخذ يريش الجناحين بكامل الحنان والعطف والرحمة ، ثم وقف — قدس الله ذكره — ولوح بها في الجو ، وبالفعل لم تستطع الطيران ، فسقطت من اعلى على الطاولة ، فما كان منه — صان الله مقامه — الا ان تناولها بكل شفقة ، وأودعها في صندوق خاص ليتولى رعايتها من جديد ، ثم اعلن بصوت مؤثر عميق هز قلوبنا يومئذ قائلا :

« ان محكومينا من الاهالي المسلمين لهم جناحان مثل هذه الحمامة يستطيعان بهما الطيران ، الجناح الاول — اسمعوني جيدا — هو الاسلام ، والجناح الثاني ، عرفتموه بلا شك ، انه اللغة العربية، فلو ابقيتم لهم دينهم ، بلا تدخل منكم فسينتعشون بعد انهاك وانهيار ، وتقوم قيامتهم من جديد ، ولو ابقيتم لهم اللغة العربية الفصيحة ، لاجتمعوا بعد تفرقهم وتيقظوا بعد غفلتهم ، واقبلوا على ما يصل من الشرق من مطبوعات ، وصارت ثقافتنا وفنوننا عندهم في الدرجة الثانية ، وانصرفوا عنا ، ومتى انصرفوا لغويا انصرفوا قلبيا ، ودخل الكره بدل المحبة ... لن اطيل عليكم فأثقل ، فنحن تنقصنا اللباقة في الحديث ، والمهارة في التأثير التي تتميزون بهما ايها السياسيون .. ولا نحسن الخطاب القوي الذي هو عندكم ايها العسكريون ...» وابتسم الجميع لهذا المثال الحكيم .

جلس الراهب يمسح عرقه ، ورمق الوجوه فلاحظ الاستبشار ، وعندئذ عرف انه كان فصيحا

وبليغا ومؤثرا ، ومن أجل ذلك احتال واخرج قليلا من السعوط وتنشقه ، وللفور شعر بكامل الارتيـــاح ، والتفت الى الاركان متوقعا ان يرى وجوهـــا حسنة ذات رواء ، معهودة في السكريتاريات ، ولكنه لم ير احدا ، فلم يسعه الا ان يخفي اسفه ... وقامت في نفسه رغبة في ان يعود الى الكنيسة ، فبين لحظـــة واخرى تحضر احدى التائبات لتدلي باعترافاتهـــا ، وهنالك يتمعن الوجوه الحسان ، والعيون الحالمة ، والشفاه رباه ويصيخ الى الصوت النسوي العذب ، ويرتاح الى لمسات الانامل الحريرية ، وقد يكون في هذا اكتفاء .

واسعد الحظ فتحققت رغبات الرجل الوقور ، اذ دق لرئيس الجلسة الجرس ، فبرزت مجموعة من الحسان الفاتنات ، الملحقات بالسكريتارية الخاصة ، وشرعن يوزعن من ابتساماتهن وتحياتهن الرقيقـــة ، وهي هدايا استعذبها الجميع ، فالشوق للحسن لـم يكن عند الرجل الوقور وحده ... وتسلم كل واحد ملفه ، وعليه اسمه مكتوبا بخط ممتاز ، وكان عامـــرا بالوثائق ، ومن جملتها مشروع خريطـــة المناطـــق الاطلسية المحرمة ، والمناطق المراقبة ، والمناطق المباحة ، وبمناسبة التوزيع فاز الكاهن بميـزة على الجميع ، هي ان كل مارة به كانت تترك قبلة حـــارة على جبينه اللامع المحمر ، الناضح بالعـــرق ، الا ان القبل الحارة من الشفاة المعطرة كانت تزيد في حرارة ذلك الجبين ، وبالتالي في انبجاس المزيد من العرق وعاد الرئيس الى الحديث معلقا على كلام الكاهـــن ، ولو ان التعليق جاء متاخرا ... واعلن للاب الجليل، وهو متلفت اليه بكليته :

ـــ ان الغرض من الحصـــار المضـــروب على المناطق المشار اليها في مشروع الخريطة يرمي الى تحقيق ما اشرتم اليه في مثالكم الوجيه ، وربما تكون مسالة الامن في الدرجة الثانية بالنسبة الى قضيـــة ابعاد سكان جبال الاطلس عن الاسلام وعن اللغـــة العربية ، ان الابعاد عنها هو الغاية الاولى .

وضج المكان بالتصفيق ، وكان اشد الجميـــع حرارة في التصفيق هو الكاهن الموقـــر ، العامـــر القلب بالخير والطيبوبة ، وعاد الى هدوئـــه واخـــذ يسرحه بصرا غير حاد في الافـــراد الجالسيـــن ، واعجبه الشكل المجتمعين وهزه القصـــد القـــوي والجدية ، فاثنى في داخليته على الرب الذي وهـب الامة مثل هؤلاء الرجال النبغاء الحاذقين الجاديـــن البعيدي النظر ، وخالجه اطمئنان على حسن المصير ونجـــاح المساعـــي .

قام بتؤدة ووقار واعلن للجميع ان يكتفي بهـذا القدر من الوقت الذي شرفهم به . فهناك زبناء لا بد ان يكونوا في انتظار ... وهنا قام الجميع مودعيـــن شاكرين ، انما الافراد في أعماق صدورهم لم يكونوا آسفين على خروجه ، فوجوده في الحقيقة اثقـــل مناخ الجلسة ، وحرم أصحاب الدعابات والتسفل من ان يداعبوا الحسان ولو بكلمات ، وما اكثر الكلمات على الشفاة بحضور الحسنوات !

واقبل المجلس ـــ في مرح وجـــد معا ـــ على فحص الملفات ، وقراءة الخريطة المقترحة ، وتـــم الاتفاق على كل الاجراءات المقترحة كذلك ، وزيـــد عليهـــــا .

* * *

لا يعرف احد كيف بلغ الخبر الى رجال الحركة الوطنية ، فلقد علموا بأن مناطق من المغرب صارت محرمة ، وضعت على مداخلها سلاسل مانعة وحراسة قوية ، وان اى غريب على مساكن الاطلسيين الجبلية لا بد وأن يرجع من حيث أتى ، سواء أتى من فاس او الرباط او سلا او الدار البيضاء او مراكش او غيرها، كل الحاضرين من سكان السهول والوهاد يمنع عليهم الاتصال بالامازيغ ، انها أوامر صارمة ، ولا تراجـــع فيهـــــا !

ومع ذلك تحركت الحافلة المهلهلة نحو المناطق المحرمة ، وفعلا كان ركابها من الاطلسيين الذيـــن لا يخاطبون بعضهم الا بالامازيغية ، ويتميزون فوق ذلك بالوشم على ارنبات انوفهم وبالوجوه البيض والمناخر القنى ، وبالنحافة والعمائم الصغيرة بيضاء وملونة ، لم يكن بينهم من لا يتمتع بهذه الميزات الا (مساعـــد السائق) ولم يكن أحد يلتفت اليه وليس هنا مـــن يسأله عن أصله وفصله ، فطاقيته مباهتة الالـــوان وملطخة ، واكثر منها تلطيخا ملابسه الزرقاء المتلاشية، غير ان احدا لم يلتفت بالذات الى نظراته الذكية والى صرامة الرجولة المتجلية على جبينه النقي ، المجمل

بطابع السجود ! كما ان الشيخ الطويل اللحية ، المكحل العينين الضخم السبحة ، الذي اندس اندساسا وسط جلبابه الصوفي الغليظ . واخذ في داخله معتزله وراحته ! ولذلك لم يهتم به أحد ، واذا ما ساله سائل فانه لا يجيب ويكتفي بهز راسه اماما وخلفا ، يعني به .. نعم .. ويمينا ويسار ويعني به .. لا .. ويديره تدويرا ويقصد بـه الاستغراب والهول مما يرى أو يسمع ! ثالث ، لا يعرف احد كيف صعد الحافلة ، ولا كيف غافل العيون المترصدة ، لعله استفاد من نعمة الله عليه بضآلة الجسم وبفتوة المظهر ... لقد ارتدى « فريولا » لونه بني باهت ، وغطى راسه بطاقية صارخة الالوان تصل الى ما تحت اذنيه ، وحلق تلك الشعيرات النابتة في ذقنه ، وهكذا يحسبه زبانية الطريق من (الجندرمة) ولدا لاحد الراكبين .

ووصلت الحافلة في رحلتها مخترقة السلاسل المضروبة حصارا على الطريق ، وتوجه مساعد السائق الى افراد معينين يعرفهم ، ومن ثم انصرف الى محادثتهم موصيا بـ « الشيخ » خيرا ، ليسهلوا له المرور والاقامة ، حيثما كان ، خلال وجوده في مضارب الاطلس ، وأن يسهلوا عليه الاتصال بوجهاء الاطلس الامازيغ .

اوصى الرجال الذين وجدهم في المحطة ، وكان واثقا من مقدرتهم ووفائهم ... وانصرف بعد ذلك الى اعداد دابة للرجل النحيف ، الذي يحترف « العطارة » الشيء الذي يمكنه من جولات في الدواوير والمداشر والقرى المعلقة في هضبات الاطلس ، من حيث يبيع النساء وللعذراوات المناديل الملونة ، والحلي الرخيصة ، والعطور والمدمام والحرقوس والحناء والمرايا والمكحلات ... وخلال البيع يتمكن من محادثة النساء ، ويخبرهن بكيفية مباشرة او غير مباشرة — عما يجري في المدينة ، وينذرهن بأن النزول الى المدينة صار محرما ، فلن يزرن الضريح ، ولن يشترين الحلي الذهبية والفضية ولن يتخيرن في الملابس الحريرية ، ولن يحضرن اعراس المعارف ابناء وبنات المدينة . ومن جهة اخرى ، لن يحضر الى ضيافتهن الضيوف الكرام من المدينة ، ولن يزورهن الاصهار ، وهكذا فان المسلم المغربي ابن الجبل لن يرى — بعد اليوم — اخاه المسلم ابن المدينة ، وسرت الدعاية مسرى الهواء ، في كل مكــان ..

* * *

بعد شهرين اجتمع الرجال الثلاثة : مساعد السائق ، والعطار ، وشيخ الطريقة الصوفي ، واتضح ان الشيخ الصوفي ما هو الا أحد الفقهاء السلفيين المتمسكين بالكتاب العزيز وبالسنة المحمدية الطاهرة ، وان العطار ما هو الا احد الادباء المشغوفين بالمطالعة وابداع الشعر ، ومغازلة عرائس الخيال ، ولم يكن مساعد السائق سوى تاجر ناجح من تجار البلدة ، ومن الذين وهبوا انفسهم وراحتهم وأموالهم في سبيل وطنهم .

قال الفقيه المتزيي بزي الشيخ :

— لقد ربطت الاتصال باحدى وعشرين شخصية من شخصيات الاطلس المتوسط ، في هذه المرة ، وكلهم وثقوا بي كما وثقت بهم ، والتزموا امامي بشرفهم وعزتهم الوطنية بأنهم لن يرضوا بالتفرقة ، ولن يعملوا لها ولن يوافقوا عليها ، وقد جمعني كل واحد منهم بأبنائه واحفاده ، وعقدنا حلقات للذكر ظاهريا ، وسريا لربط المواثيق بين يدي كتاب الله ، صلينا جماعة ، وذكرنا الله جماعة تضليلا للاعداء والمتجسسين ، ولكننا في الخلوات خططنا ما خططنا ، لقد صاروا دعاة ضد الانفصال أكثر مني ، هم متأكدون انهم سيجدون الآذان الصاغية أكثر من اي واحد ، وسينفذون الى القلوب ، وسيمتلكون المشاعر ، ولا احد غيرهم يقدر على ذلك ، اما الاجلاف — كما سموهم — مؤيدو الاستعمار العاملون للتفرقة فهم عندهم بمثابة الحطب اليابس ، لا يستحق الا الاحراق ... بعد هذا أمددتهم بعناوبننا ليزورونا عندما تسنح الفرصة ، لكم سروا بذلك ، وهم مصممون على القدوم الى المدينة ، وسينتزعون انتزاعا هذا الحق من الحكام الفرنسيين ومن القواد الغاشمين ، ولن تستطيع قوة من ردهم عن رغبتهم ، وعدوني انهم سيحضرون الموسم السنوي الذي يقام بهذه المدينة ، بالجملة انني سعيد بأنني حققت الجانب الذي تكلفت به ، وانني ضللت كل الخصوم والاعداء والجواسيس ، فهاكم ملابس الشيخ ، واتركوني ارجع لسلفيتي !

قال الاديب ، الذي كان متزييا بزي عطار :

— اما أن فآه ثم آه من مهمتي ، لقد كانت سهلة وعسيرة في نفس الوقت ، سهلة لانني وجدت آذانا صاغية ، وقلوبا واعية ، وصعبة لانني وقعت في شراك عيون الامازيغيات وجمالهن ، لو امكنني التزوج مرة اخرى بحثت بثلاث أطلسيات في حلاوة عصفورات ورشاقة فراشات ... الا ان مهمتي لم تكن بهذه الاغراض ... انما كنت أجامل والاطف واغازل — سامحني الله — لاصل الى اهدافي ، وقد وصلت ... والله ، والله انني ما وجدت واحدة ، عجوزة كانت ام شابة ام كهلة منصرفة عن كلامي وهمساتي . كلهن ضد التفرقة ، وضد الفصل عن دين الاسلام ... وقلن لي : انهن لا يقبلن بمعتقل كبير ومعتزل كئيب ، اكدن انهن سيشجعن الرجال على « النزول » الى المدن ، ومن قبل مصاحبتهن صاحبنه . والله يا عزيزي الكريمين لم أر في المواطنين عنصرا يحتقر الاستعمار « الرومي » مثل هؤلاء النساء ، الجميلات صورا ، الطيبات قلوبا ، انهن لا يعبأن بحضورهم اذا حضروا ، ولا يحيينهم كما يحييهم الرجال ، ولا يستجبن لاي تجمع يدعين اليه ، ويرفضن تماما ان يرقصن لهم ، ومن تطفل على مجلسهن ثقيلا ، جعلنه محلا للسخرية والتنكيب والمضايقة حتى يذهب .

بالجملة ان ضآلة جسمي وخفة شعري ، جعلتا في بعض الانظار غلاما ، ولم يعرف أحد اني في صدري قلبا فحلا ، من اعتى القلوب فحولة ، والحمد لله على انني حققت اهدافي ، ولم يعبأ بي الخصوم لظنهم انني صغير السن ! مع هذا ، يظهر ان أسهل مهمة هي التي قام بها « مساعد السائق » !

— لا ، بل هي أصعب ، انني كنت الزم نفسي ان أقوم بدوري عند كل سفرة ، بمجرد ما تقلع الحافلة أوعز لصاحبي السائق ببدء الحديث ، وابقى متتبعا للاقوال ، واحرص على أن اجعل الجميع يتحدث ، وكل من تكلم يكون ملزما بمسايرة الجماعة، وبالتالي يصير أسيرا للكلمات التي قالها ، وكل امازيغي لا يعرف المراوغة ، ولا يرضى أبدا ان يكون ذا وجهين ، غالبا ما تصل الحافلة الى محطتها ، واذا بالجميع من الركاب قد شاركوا في استنكار الفصل بين ابناء الوطن الواحد ، ويتوقع من ورائه شرا مستطيرا لمستقبل المغرب ، ويؤكد انه ضدك على هذه المؤامرة وانه سيكثر من الاسفار بين الجبل والمدينة ، وانه سيكثر من الصداقات الحضرية ، والمعاملات التجارية مع المدن الحضرية . لا اخفي عليكم ، انني في كل سفرة كنت أتوقع ان تنكشف هويتي ، واساق الى مكاتب « الجندرمة » الجفاة ، لاعامل معاملة عاتية ، ولكن اي حر من الامازيغيين لم يفكر في ان يبيع سري ، هل بعد هذا من نجاح ؟

الله أكبر ، قوموا ، لقد انتهى المؤذن لصلاة العصر ، لن ينجح أبدا أعداء الوحدة الاسلامية والوطنية ! .

الاشتراكات
في مجلة " دعوة الحق "

الاشتراك السنوي بالداخل ——— 55,00 درهما
الاشتراك السنوي بالخارج ——— 67,00 درهما

سنة المجلة ثمانية أعداد

ملامح المغرب الحديث :

بوادر المسرح الإسلامي بالمغرب

للأستاذ زين العابدين الكتاني

سبق لي ان قدمت في عدد سابق دراسة من (ملامح المغرب الحديث) في موضوع (بوادر المسرح الاسلامي بالمغرب) (1) وقد سرني ان يكون الموضوع محل نقاش من طرف عدد من الاوساط المهتمة والعلمية ـ الا المختصة ـ شارك فيها عدد من السادة العلماء الاجلاء بالخصوص ، وهذا النقاش الهام دفعني الى العودة الى الموضوع .

والملاحظة الاكثر اهمية فيما استنتجته من هذا الحوار هو ان عددا من علمائنا اضافوا الى ان رسالة المغرب الحديث ، وان حركة النهضة التي ابتدات في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ترتكز على أسس ومعطيات لها أهميتها البالغة . وتتمثل هذه المعطيات في :

1 ـ ان حركة النهضة قامت على أكتاف عدد من العلماء وبرعايتهم انطلاقا كما يجمع عدد من الذين واكبوا ظهور الحركة الفنية الجديدة ، انها طريقا من طرق الاتصال بمختلف المواطنين وفئاتهم ، كما كان مظهرا من مظاهر توعية المجتمع المغربي ، والتزامه للتطور الزمني المطلوب تبعا لـ : (حركة الانبعاث والتطور) التي عرفها المغرب ولدعوة الذين آمنوا منذ العقد الثامن من القرن التاسع عشر من ضرورة بعث الوعي الجديد ، والتخلص من تهمة الانزواء ، والتقوقع ، التي اتهم بها من البعض ، او تخيل البعض الآخر ان الاراء الشاذة والمتطرفة التي ظهر بها بعض العلماء مقياسا الفكر المغربي الذي أعلن مؤمنا في نفس الوقت ان وسائل الاعلام هي في الحقيقة حرب بالاقلام ، وان الحركة الفنية قد ارتكزت اولا على منطلق استفاد من اسس المعرفة الانسانية مصارعا الذين لا يدركون حقيقة الاختيار المغربي الاصيل لا في مضمونه ولا في مفهومه .. فكان الاختيار الجديد في المجال الفني يستخدم الوسائل الوقتية الحماسة للوصول الى الغاية ... وهو : اختيار يستهدف تركيز الوعي بصفة عامة ، والانطلاق نحو التخلص ، مؤكدا ان هذا الاختيار لم يكن عفويا ، او يتمركز في المجال الفني ، على التمثيلية بمفهومها العام من جهة ، والحماسية من جهة ثانية .

2 ـ ان هؤلاء الرواد كانوا اهلا لتحمل هذه الحركة بما فيهم بعض الذين توحي الينا اليوم هيأتهم العامة انهم مجرد « فقهاء » .

وترتكز هذه الملاحظات على ما سجلته من ان هؤلاء ناقشوا هذا الموضوع التقني من منطلق الالمام الشامل ، والوعي الكامل بالمسؤولية ما داموا فقهاء زمانهم ، ومثقفي عصرهم ، مما يدعو الى الاعتزاز والفخر بهؤلاء :

(1) دعوة الحق ـ السنة : 19 ، عدد : 9 ـ شوال 1398 هـ ـ شتنبر 1978 م صفحات : 60 ـ 64.

فالملاحظـــة الاولى :

الاقتناع الكامل بان المسرح اصيلة في المغرب. وعرفت تطورا مختلفا حسب الامكانيـــات الزمانيـــة والظرفية . فاذا كان المغرب اهتم بـ « الحلاقـــي » الى درجة تسخيرها الى العمل السياسي والعسكري مما لا يتسع له المجال في هذا العرض ، فانه ركـز هذا الاهتمام على صور البطولات الاسلامية ، ومواقف الشرف والدفاع ، فان (مسرح البساط) (2) كان تطورا ضروريا لهذا النوع من التعبير خصوصا بعـد انرعبة السلطات العليا ، وقام بدور مدروس. حيث نجد بوادر المسرح العصري وجد صداه في وقـــت مبكر جدا عندنا ويؤكد ذلك الصراع الذي احدثه بين السادة العلماء حتى تناولوه من حيث راي الشرع فيه هل هو حلال أم حرام كما هو الشأن بالنسبة لكــل جديد ، وكل تحول مما تعرض اليه صاحب كتـاب : (تحذير المسلمين من مذهب العصريين) (3) عنـد انتقاده لفرقة قامـــت بتمثيـــل رواية بعنـــوان : (يـــوم القيامـــة) .

الملاحظـــة الثانيـــة :

ان الذين ناقشوا الموضوع يعلمون جيـــدا أن حركة المسرح الاسلامي ابتدأت خارج المغرب قبل سنة 1941 بل قبل عرض مسرحية (عبد الرحمـن الناصر) . . .

واذا كان اغلب هؤلاء العلماء بالخصوص يتابعون ذلك عن طريق الوثائق التي تناولوها من قبل بخصوص هذا الموضوع ، فان البعض الآخر يعلـم جيدا ان المسرح يبتدىء بظهور مسرحية (يوسف الصديق) التي نشرت بمجلة (الهـــلال) في مـــارس 1897 وبرواية (محمد) لتوفيق الحكيم المنشورة سنـــة 1936 ، وبمسرحية : (مولد الهدى) للاستاذ احمد الشرباطي المنشورة سنة 1955 ، الى غير ذلك من المعلومات القيمة التي يحيط بها العالم المغربي في عدة جهـــات .

* * *

واذا كنت قد ارتكزت في البحـث السابـــق بخصوص المنطلق المغربي على تمثيلية : (في ليلـة المولد) للاستاذ احمد زياد المطبوعة (سنة 1367 هـ 1947 م) فانني أرى من الضـــروري ان اتنـــاول بالتعريف مسرحية (مولد الهدى) للدكتور احمـــد الشرباصي المطبوعة (سنة 1382 هـ 1962 م) نظرا لاهميتها العلمية من جهة ، واعتبارا لقيمتها الفنية ، وهي مسرحية ــ كما يؤكد مؤلفها ــ (4) تتحدث عن « مولد الهدى » ، فيها لشخصية الرسول تصوير ، ولحياته تجلية ، ولدعوة الاسلام العادلة الفاضلـــة تمجيد ، تأتي من بعيد من ناحية كتابتهـــا ، لانهـــا صيغت (5) حينما بدأنا وضع اللبنات الاولى في بناء « المسرح الاسلامي » ، وكان هذا المسرح الوليـد يتطلع يومئذ الى زاد يحدو به خطواته الوئيدة الاولى، وكانت هذه المسرحية جزءا متواضعا من هذا الزاد، ثم مرت عليها السنون وهي على حالها ، تصور بلغـة الحوار واسلوب القصة ما دار من احداث ، وما انبثق من اضواء ، وما كان حول هذه الاضواء من ضـــلال ، حين شاءت عناية الله العلي الكبير ان يمن على العالم بهذا الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ونستطيع ان نجدد معالم هذه المسرحية في المعالم التالية :

أولا : في صدر هذه المسرحية نرى تصويـــرا للفترة التي كانت قبيل ميلاد النبي الرسول ، عليـــه السلام ، ونرى كيف كانت الدنيا محتاجة اليه ، يقوم عوجها ، ويصلح فسادها ، ويقيمها على سواء السبيل، وكيف كانت الارهاصات والرموز البادية او الخافية تشير الى قرب هذا الظهور ، وكيف نـــال بعضهـــا تزيين التصور او التخيل .

ثانيا : ثم تنتقل المسرحية لتظهر لنـــا كيـــف اشرقت شمس المولود الفقير في ماله ، النبيل في

(2) انظر مجلة (صوت الشباب) ع : 6 يناير 1961 ، صفحـــة : 18 ــ 19 .
(3) الكتاب للاستاذ محمد الزمزمي بن الصديـــق طبع بطنجة سنة 1938 (انظر صفحة : 25)
(4) في مقدمة المسرحية بسلسلة (كتـــب ثقـــافية) المصرية ، صفحات : 10 ــ 13 بتصرف .
(5) نشرت ومثلت خلال عامـي 1955 ــ 1956 باسم (مولد الرسول) ، انظر (مجلة الشبان المسلمين) القاهرية عـــدد : مايو 1979 صفحة : 29 .

عنصره ، الطهور في حسبه ونفسه ، المعد لقد حافل بجلائل الاعمال وعظائم الاصلاح ، ثم كيف تجلت الاشارات والامارات على ملامح هذا النشء الكريم : تشير الى ان له مع الدنيا والناس والحياة تاريخا اي تاريخ ...

ثالثا : ثم يتحدث النص كيف يبلغ الامين سن الاربعين من عمره ، ويستوي عوده ، ويكتمل شبابه ، ويتم عقله ، ويصبح صالحا لحمل الامانة وتادية الرسالة ، فاذا سفير السماء وامين الرحمن جبريل عليه السلام يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بباكورة الدعوة وطليعة التنزيل وهو يتعبد في غار « حراء » يهبط عليه جبريل ليردد على مسمعيه قول ربه عز من قائل : « اقرا باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » واذا رجفة كبرى تهز هذا الكيان البشري الطهور ؛ كيان محمد عليه الصلاة والسلام ، ولم لا والواجب خطير ، والمهمة جليلة ؟ وما هي الا لحظات او ساعات ، حتى يعاود جبريل نزوله ، ويهتف في مسمعي النبي الرسول بناء ربه له : « يا ايها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر » .

رابعا : وينهض المدثر عليه السلام بالدعوة الكبرى ، ونرى المسرحية تصور لنا المجهود الضخم الذي يبذله ، والعنت الشديد الذي يلقاه من أهل الشرك والكفران والعناد والوان التعذيب هو المؤمنون الاولون ، وقد كانوا في اول الامر قلة ضعفاء فقراء ، ومنهم من جار عليه الزمن ، واستبد به طغيان البغاة، فانزله على حكم الرق او الخدمة للمتجبرين في الارض .

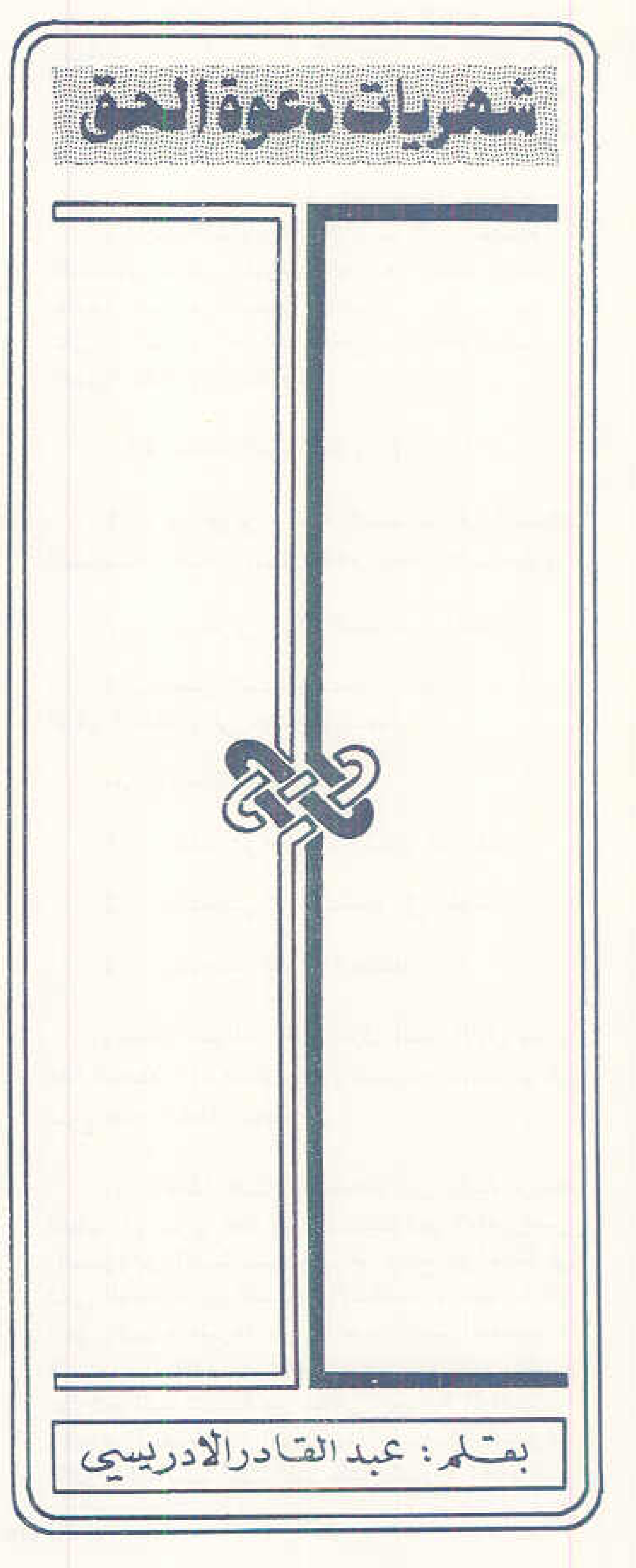
خامسا : وكان كل هؤلاء الضعفاء والارقاء يملكون قوة اخرى هائلة : انها قوة تفوق قوة المال ، والجاه ، والسلطان ، انها قوة اليقين والايمان : ولذلك هم يصبرون على ما نالهم في سبيل الله صبرا جميلا، هم يصبرون على ما نالهم في سبيل الله صبرا جميلا، يبذلون لوجهه من ذوات انفسهم وارواحهم بذلا جليلا ، وهم يوقنون بان غدا قريبا سيطلع فجره ، ويشرق نوره .

سادسا : وتتالق شمسه ، فاذا الربوبية لله وحده ، واذا الاسلام يسري في الارجاء سريان الاضواء في الانحاء ، واذا العدل والخير والبر والاخاء شعارات نبيلة كريمة لهذا الدين الالهي السمح العظيم ، واذا تطبيقه يؤيد قول الله فيه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » ، حيث ينتهي موضوع المسرحية وهو يصور شخصية سيدنا محمد النبي الامين التي تبلغ من الجلال والجمال منزلة تتقاصر عنها بمراحل ومراحل ؛ هذه الصفحات التالية التي ان فخرت بشيء فانها تفخر اولا وقبل كل شيء بأنها تشرف نفسها بالانتساب الى الحديث عن الرسول الذي قال عن نفسه : « انما أنا رحمة مهداة » وهو بقوله هذا يفسر قول ربه مخاطبا اياه : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ».

* * *

وبعد ، فان المنطلق الذي استهدفته من تقديم هذا التعريف بمسرحية (مولد الهدى) يرتكز على أن هذه المسرحية تعتبر بحق من المسرحيات الاسلامية كان لها أثر في الفكر المغربي وان كانت لا ترقى من حيث التركيب المسرحي الى ما وصلت اليه مسرحيات أخرى من بعد ، فان دورها من حيث الموضوع والمبادرة تجعلها في مقدمة النماذج العلمية الرائعة لانها اعتمدت نصا مكتملا يعتمد على القيمة العلمية التي استطاع مؤلفها العالم الكاتب ان يبرزه بهذا النص الذي لا يمكن ان يغفله سواء الباحث او الدارس او المختص في مجال المسرح الاسلامي بصفة عامة ، وهذا ما سنراه فيما سناتي عليه في جزء قادم من هذا البحث بعون الله في نطاق البحث عن بوادر المسرح الاسلامي بالمغرب .

زين العابدين الكتاني



تحريف التاريخ وانحراف العقيـــدة

زود الدكتور ابراهيم حركات المكتبة المغربية بكتاب خصب وغني بالافكار والآراء . ليس من صنف الكتب الادبية التي يزعم مؤلفــوها أنهـم يناقشون القضايا ويحللون الظواهر ، في حين أن عملهم لا يعدو ان يكون ترديدا لاصـداء سائدة وتكرارا لمقـولات رائجة . وانما هو كتاب فكر عبر فيه مؤلفه ، بشجاعة عقلية وجسارة ادبية ، وكفاءة علمية ، عن وجهة نظره في التاريخ وقضاياه ، وفي العقائد وخلفياتها ، وفي المذاهب السياسية المعاصرة وما يتفرع عنها مـن اتجاهات وتيارات وميول . فهو يناقش ويـدرس ويبسط القول في أمور دقيقة تتصل بالفكر والحيـاة والمجتمع ، ويستعرض أطوار التاريخ ، ويغوص في أعماق الاحداث البارزة التي طبعت مسيرة الشعوب والامم بطابعها الخاص . والمؤلـف في كل هـذه الجولات صاحب رأي وعقيـدة ، ملتـزم بالامانـة العلمية كأقوى ما يكون الالتزام بالامانة في مثل هذه الحالات . فاذا قلت منذ البداية ان هـذا الكتـاب خصب ، فهو حقيق بهذا الوصف ، اذ ان خصوبـة الكتاب تأتي من قدرة مؤلفه على طرح قضايا فكريـة على جانب كبير من الاهمية في هذا الظرف الدقيق من مرحلة التحول التي يشهدها العالم الاسلامي .

يحلل الدكتور ابراهيم حركات الايديولوجيتين السائدتين في العالم المعاصر على النحو التالي :

1 ـ الرأسمالية والليبرالية :

— تشبع حاجة الراسماليين الى المـال ، ولا يستفيد الا المحظوظون وهم قلة .

— بالنظر لما تحققه من ثـروات فرديـة ، تتيح بذخا اكثر ، وتشجع التفسخ الذي يبدا مـن هذه الفئة ويسري بصورة تتدنى وتنحط كلما تدرجت نحـو القاعـدة .

— لا تضع القيم الروحية في الاعتبار ، وفي احسن الحالات لا تعبأ باقرارها اذا اتخذتها مبدا .

2 ـ الماركسيـــــة :

— تضع ثروات الامة بين يدي حزب واحد.

ــ تعمل على توزيع التقشف بعدل أكثر نسبيا بين فئات الامة ، لان تحقيق رفاهية شاملة شيء صعب مع افراغ جهد كبير في التسلح والعمل العسكري وتناقص الثروات .

ــ تحارب الدين . على الاقل حسب افكار ماركس نفسه .

ويخلص المؤلف الى النتائج التالية :

ــ الماركسية في كل اشكال تطبيقها حتى الآن تسير مع ديكتاتورية الحزب المسير في خط متواز ، وعمليا ، فصوت الديمقراطية مخنوق بشكل متفاوت ، في الشعوب التي تمارسها .

ــ الماركسية مثل الراسمالية الدولية ، كلتاهما ماديتان سياسيا واقتصاديا وعقائديا ، وهما تتخطيان حدودهما للتطلع الى ما عند الآخرين . ان ظروف التنافس على ثروات الارض التي تنضب بسرعة ، اصبحت بالنسبة للطرفين معا ، مسألة دفاع عن الحياة .

ويتساءل د. حركات :

ــ ماذا يريد المعسكر الشيوعي الآن ؟ .

ثم يجيب :

ــ انه يريد ان يضع قدمه في كل ارض ممكنة ، ومناطق انبساطه هي قبل كل شيء ، تلك التي تحقق له قوة مادية : بترول ، معادن ، قواعد عسكرية ، انها نفس الفكرة الراسمالية التي سبقت زمنا ومكانا .

ــ الراسمالية فاسدة وذات نظام طبقي .

ــ الماركسية رمز لدكتاتورية الحزب الواحد وللتصفية الجسدية .

ــ المادية العلمية للماركسية تختلف من وجوه عن مادية الراسمالية ، فان الاولى تستعبد جميع الافراد ليحققوا نوعا او أنواعا من الكسب بالطرق والوسائل التي يريدها الحزب الوحيد ، حتى ولو كان فيهم من لايتفق مع الحزب في الطرق والوسائل وشكل الانتاج والتصرف .

ــ الراسمالية تستغل جهد الكادحين ولا يستفيدون من انتاجهم بشكل عادل ، لا سيما حيث لا توجد تشريعات تحقق توازنا منصفا في الاستفادة من العائدات بالنسبة لمجموع الاطراف المعنية في الامة .

ويدرس المؤلف الاساليب التي يعتمدها الاستعمار لفرض ايديولوجياته وهو جانب دقيق يكشف كثيرا من الخبايا والاسرار . ولا بأس ان ننقل ما كتبه د. حركات بالحرف الواحد لتتضح الصورة كاملة غير منقوصة :

(كيف حدث الغزو الفكري الاوربي ؟ :

1 ـ عن طريق برمجة التعليم في البلاد المستعمرة (فتحا) بشكل يخدم الهدف الاستعماري.

2 ـ عن طريق الفكر المكتوب ثم المذاع .

3 ـ بجعل المثقف المصنوع فكريا من ابناء الوطن الاسلامي في خدمة الاستعمار .

ومن الناحية الاجتماعية :

1) تنظيم الرحلات والاسفار للشباب .

2) بالتغاضي او بتشجيع كل الميعات .

3) بتشجيع الزواج المختلط) .

ويفصل المؤلف القول حول البند الاول من هذا المخطط الاستعماري . ولندعه يستمر في شرح هذه النقطة بالخصوص :

(.. هكذا كانت المخططات قبل وأثناء برمجة التعليم ان يتولى عدد من المستشرقين القاصرين والمسؤولين السياسيين وغيرهم وضع دراسات في شتى المجالات عن الشعوب الاسلامية ، مثلما كان الامر بالنسبة لغيرها من الشعوب التي خضعت للاستعمار : تقدم معلومات تافهة ومشوهة ، وتلح على الجوانب السيئة من مظاهر الحياة الماضية والحاضرة لدى هذه الشعوب . وهذه النشرات والدراسات بينها ايضا أطروحات دكتوراه تخدم نفس

الهدف وبنفس الطريقة . وكل هذا الفكر المكتوب يوضع قبل كل شيء بين أيدي العاملين في حقل التعليم مربين واساتذة حتى يعتمدوه دون غيره كفكر موجه) .

ويمضي المؤلف في هذا النسق المتزن يكشف الحقائق ، في غير ما تشنج او انفعال زائد ، ويسجل آراءه في تواضع وموضوعية . ويكتسي الكتاب ميزة خاصة – وان كان النقد المغربي قد تجاهله كما يتجاهل سواه من الكتب الجادة الهادفة – يستمدها من منزلة المؤلف كباحث ودارس واستاذ جامعي له رصيده العلمي الذي يشرف بلده ، ويستمدها ايضا من طبيعة الموضوعات والمسائل التي يدير حولها البحث .

ومثل هذا الكتاب جدير بأن يكون له موضعه البارز في المكتبة المغربية وأثره العميق في الساحة الفكرية بالبلاد .

عبد المجيد بن جلون في ذمة الله

●● توفي الى رحمة الله الكاتب المغربي الكبير الاستاذ المرحوم عبد المجيد بن جلون عن سن تناهز 62 سنة ، وذلك على اثر مرض لازمه خلال الفترة الماضية حيث دخل مستشفى ابن سينا بالرباط وقضى به فترة الى أن حان الاجل المكتوب .

كان الفقيد من الرعيل الاول الذي شق للادب والصحافة والثقافة والشعر في المغرب دروبا في دأب وكدح واستمرار على مدى اربعين سنة ، واسهم بحظ وافر وملحوظ في النهضة الادبية والفكرية والصحافية في بلادنا ، وكتب ونشر مئات المقالات والابحاث والدراسات والمذكرات وترجم عشرات القصص والمسرحيات والموضوعات الادبية والسياسية عن اللغة الانجليزية ، والف كتبا عديدة ستظل تحمل طابعه المتميز في الثقافة المغربية وتشهد على علو كعبه وسمو أدبه وريادته لفنون ادبية متنوعة نذكر منها فن السيرة الذاتية .

وتضم مجلدات دعوة الحق مجموعة من مقالات وقصائد الفقيد العزيز ، فقد واكبها بالجيد والشيق من انتاجه ، وحرر فيها باب (السياسة الدولية) الذي كان يصدر في أعداد سنواتها الاولى ، وظل ينشر في هذه المجلة بين الحين والآخر ، الى أن ارغمته ظروفه الصحية على التوقف ، وان كان قد استمر على اتصال بها : يزودنا بين الفينة والاخرى بنصائحه ، ويحثنا على المزيد من الابتكار والتجديد، ويشجعنا بما يهديه الينا من كتب ، ويخصنا به من توجيه .

لقد خلف الاستاذ عبد المجيد بن جلون ثروة فكرية وادبية بالغة الاهمية ، فلقد كان منتجا ، لا يكف عن الكتابة والترجمة ونظم الشعر ، وتعد مؤلفاته في الطليعة من الذخائر الادبية التي يعز نظيرها ، بما تمتاز به من اصالة وابداع . وقد نفدت معظم كتب الفقيد ، نذكر منها على سبيل المثال (هذه مراكش) و (وادي الدماء) و (براعم) وهو ديوان شعره . وهي روائع جديرة بأن يعاد طبعها . كما ان انتاج الفقيد في حاجة هو الآخر الى الجمع والتبويب واعداده للنشر .

واسهاما من (دعوة الحق) في فهرسة انتاج الاستاذ عبد المجيد بن جلون ، ننشر فيما يلي ثبتا بكتابة الفقيد بهذه المجلة وهي تبتدىء كما نرى من العدد الاول من السنة الاولى الذي صدر في يوليوز عام 1957 الى العدد الثاني من السنة الثامنة عشرة . ونشير الى أن هذا الثبت مأخوذ من الفهرس العام لمجلة (دعوة الحق) الذي وضعه الاستاذ المرحوم مصطفى الكوش رئيس مصلحة الحج والعلاقات الاسلامية بالوزارة سابقا .

فهرس كتابات الاستاذ عبد المجيد بن جلون في (دعوة الحق)

الموضوع	العدد	السنة	الصفحة
الصفحة السياسية	1	1	35
خلف الحقيقة	2	1	16
عودة محمد الخامس	5 + 4	1	23
صراع في ظلال الاطلس : يحيى بن يوسف	5 + 4	1	47
محنة ايمان	6	1	29
رسالة منتحر (قصة روسية)	8	1	19
حمى	12	1	54
العدد الماضي لكن دون ميزان	7 + 6	8	75
محمد	7 + 6	8	112
البحر	8	8	103
توحيد اللغة العربية	10 + 9	8	40
اهاب جديد	10 + 9	8	138
في الحضارة المغربية	2	9	27
دمعة الشاعر	2	9	116
طريق قوس قزح	4	9	117
الرقيق في الامبراطورية الرومانية	1	10	28
يحيى يوسف	8	15	46
من خلالها عبادتي	10 + 9	15	171
محاولة اصلاح	1	16	186
صندوق الموسيقى للكاتب ملاتشي اونيابكر	2	16	202
لن اراك بعد اليوم ، للكاتب راس براد بورس	6	16	216
سيرة روعتها من روعتك	2	18	39

المغـــــرب :

● كان لـــــوزارة الاوقـــاف والشـــؤون الاسلامية حضور متميز في الـــدورة التاسعـــة والعشريــن للمعـــرض الدولي بالدار البيضاء . وقد خصص يوم الجمعة 11 رجب 1401 الموافق 15 ماي 1981 للاوقاف، وبهذه المناسبـة القـى الدكتور أحمد رمـــزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية كلمة أوضـح فيها الخطوط العريضة للسياســة الاسلاميـــة الهادفة التي تنهجهـــا هذه الوزارة .

وفيما يلي نص كلمة السيد الوزير :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلـــم على سيدنـــا محمد وآلـــه وصحبـــه .

في المملكة المغربية التي اشتهرت برسوخ الفكـــر والحضارة الاسلاميين ، والتي ظل الحكم فيهـــا ــ وعلى رأســه امـــرة المومنين ــ مظهرا مــن مظاهر الاصالة العاقلــة والوعي الذكي الـــذي يدفـــع الى التجديـــد والابتكار والاقتباس ، في اطار الشخصية المغربية القحة ، تتلخص رسالة الاوقاف الاسلامية فيما يلـــي :

ــ المحافظة على الحياة الروحية عن طريق رعاية الشعائر الدينية وتوفير شرائطهـــا وظـــروف ممارستها ، باقامة اماكن العبـــادة وتجهيزهـــا التجهيز الروحي والمادي الـــلازم .

ــ انشـــاء المراكـــز الدينية التعليمية لتعميق الثقافـــة الاسلاميـــة والعربيـــة .

ــ المساهمة في الميدان الاجتماعـــي بتشييـــد البنايات السكنية، وفتح اوراش العمل للعاطليـــن وصـــرف الاعانـــات والمساعدات للعاجزيـن والمعوزين .

ــ بعث واحياء نفائس التراث المخطوط الذي يعكس وجه الامة الفكري ودورها العلمي .

ــ المشاركة في الاصلاح الزراعي ، باستصـــلاح الاراضي وغرسها وتوفير المردود الكافي والحد من الهجـــرة القرويـــة ، بتشغيل اليد العاملـــة المحليـــة .

ــ ربـــط الحاضـــر بالماضي بالمساهمة في تشييد المراكز الاسلامية والمؤسســـات الدينيـــة بالخارج واستقبال الطلبة الافارقة الراغبيـــن في متابعة دراساتهم بالمعاهد والجامعـــات الدينيـــة استمرارا للدور الطلائعي الذي لعبه المغرب عبـــر العصور كمركز اشعـــاع روحي وثقافي في القارة الافريقيـــة .

وما احـــدات وزارة خاصة بالاوقاف الاسلامية في عهد الدولة العلويـــة الزاهر الا اهتمام بالـــغ بهذا الجانب الروحـــي والاجتمـــاعـــي للامـــة واحاطته بما يضمـــن الخلود والدوام لتـــراث السلف الصالح رضوان الله عليهم .

ولما شعـــرت هـــذه الوزارة بأن عدة جوانب من نشاطاتها ومنجزآتها تظل خفية عن عـــدد لا يستهان به من المواطنين، فقد سعت الى الاهتمام بالجانـــب الاعـــلامـــي والتعريفي ، قد دعـــت الى أول نـــدوة لنظـــار المملكة في شهر محـــرم 1398 (ينايـــر 1978) حضرها مندوبون عـــن عدد من الوزارات والى عقـــد سلسلـــة مـــن الاجتماعـــات الدوريـــة للنظـــار خـــلال 1398 (1978) توجت باجتماع عام في شهر صفر 1399 (يناير 1979) وظـــل هذا الاجتمـــاع يعقـــد سنويا ، كما تـــم اصدار كتاب أبيض بعنـــوان : ((الاوقاف في مواكبـــة مسيرة النمـــاء)) يعرف تعريفا كافيا بمنجـــزآت الاوقـــاف الاسلاميـــة وتطلعاتها فيما يستقبل، وخصـــت الاوقـــاف الاسلاميـــة لاول مـــرة بلجنة وطنيـــة تدارست مشـــروع التخطيـــط الخماسي 1981ــ1985 كما تمت دراسته مـــن قبـــل المجلس الاعلـــى للتخطيـــط والانعـــاش الوطني واستمرارا لهذا المسلســـل الاعلامـــي والتعريفي جاءت مشاركة الاوقاف الاسلامية لاول مرة في المعرض الدولي

للدار البيضاء في دورته الثامنة والعشرين (سنة 1979) تحت شعار «الاوقاف الاسلامية في خدمة المجتمع»، ولما اتت هذه المشاركة بالنتائج المرجوة حيث حصل الرواق على احدى الميداليات من جهة وعبر زواره عن ارتسامات مشجعة بما خطوه في السجل الذهبي من جهة أخرى، فقد قررت الوزارة المشاركة للمرة الثانية برواق اكبر بكثير من الرواق الاول، حيث استطاعت أن تعرض عددا لا يستهان به من الثروات الفنية التي تزخر بها مساجد وأضرحة المملكة ونفائس من المخطوطات الموجودة في الخزانات الحبسية بالاضافة الى نماذج وتصاميم لعدد من المؤسسات الدينية والمشاريع العمرانية، وقد عرف هذا الرواق ولا يزال اقبالا منقطع النظير منذ فتحت أبواب المعرض، حيث أطلع الزوار على تراث الاجداد ومجهودات الاحفاد.

وفي غمرة الاحتفال بيوم الاوقاف الاسلامية يسعدني أن ابلغ خالص تشكرات هذه الوزارة والعاملين بها الى جميع الذين ساهموا في انجاح مشاركتنا الثانية هذه وعلى رأسهم السيد عامل صاحب الجلالة ومساعديه والسيد المدير العام للمعرض ومعينيه، كما يتجه شكري الى الزوار الكرام الذين تفضلوا بالتعبير عن ارتساماتهم وملاحظاتهم القيمة سائلا العلي القدير أن يبلغنا المقاصد، ويحقق الغايات المثلى، في ظل راعي الوقف الامين، مولانا امير المومنين، جلالة الحسن الثاني، أمد الله في عمره وحفظه في سمو ولي عهده الامير المحبوب سيدي محمد وصنوه السعيد المولى الرشيد وكافة أفراد الاسرة الملكية الكريمة انه تعالى مجيب وبالاستجابة جدير والسلام.

• عقد بمقر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية مؤخرا اجتماع لنظار الاوقاف بمختلف اقاليم المملكة. وقد ترأس الاجتماع السيد محمد المرابط الكاتب العام للوزارة بحضور الدكتور الامين الاسماعيلي مدير ديوان السيد الوزير والسيد الهرم المفتش العام للاوقاف، ورؤساء الاقسام والمصالح بالوزارة.

وقد خصص هذا الاجتماع لاعداد برنامج التوجيه الديني والتوعية الاسلامية خلال شهر رمضان المعظم.

• أعد الاستاذ محمد العربي الخطابي كتابين للطبع. الاول بعنوان: (الالفاظ والمعاني) والثاني عن (الفكر الاسلامي). آخر ما صدر للاستاذ الخطابي محافظ الخزانة الملكية كتاب عن الزكاة ومقارنتها بالقوانين الاقتصادية المعاصرة.

• صدرت بمدينة طنجة مجلة اسلامية جديدة باسم (البلاغ) برأس تحريرها الاستاذ مصطفى بديع السوسي.

• صدر للاستاذ محمد المنوني عن مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية كتيب (ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة).

كما صدرت للباحث فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مجلد 55 ج 2) بعنوان (نماذج من اهتمامات المؤلفين العرب بالمقدمة الخلدونية).

• صدر مؤخرا بالبيضاء كتاب (سبتة ومليلية: تاريخ وواقع) من اعداد ابراهيم بوطالب وبوغالب العطار.

• أصدرت الدار التونسية للنشر مؤخرا طبعة جديدة لديوان الشاعر بودلير (زهور الالم) مترجما الى العربية بقلم الاديب المغربي مصطفى القصري

وقد قدم لهذا الكتاب الاستاذ الصادق مازيغ صاحب احدث ترجمة بالفرنسية للقرآن الكريم.

ويحلل هذا التقديم مفهوم الحسرة المريرة التي تهيمن على شعر بودلير وهي حسرة مطعمة بسحر الفردوس الذي يتضوع عبيره من خلال رؤى الشاعر الفرنسي واهازيجه .

كما يشيد الاستاذ مازيغ بعمل السيد مصطفى القصري الذي قال عنه بانه اقام الدليل بهيامه النادر ، وتذوقه الحكيم على ان مادة التجربة الشعرية واحدة في لبها بين الشعوب والحضارات والعصور التاريخية . ثم اكد الاستاذ مازيغ ان العربية الفصحى قادرة كل القدرة على تبليغ الراي العام اي الهام شعري مهما بلغ القمة في بابه وتفرد عن اضرابه .

وزاد قائلا : ولقد كسب حقا مثل هذا الرهان اخونا العلامة في نقله الى الضاد هذه التحف بل التحف البودليرية ، وان هذا العمل الجليل الذي قام به السيد مصطفى القصري قد يستعصي على عامة النقلة السطحيين ولكنه يكون طوع ذوي الاناة والصبر وطول النفس وبعد الغور ممن يؤمنون بوحدة مادة الشعر والالهام وان تعددت مناهج التعبير والبيان .

ثم يقول السيد مازيغ ان تجربتي كمترجم ومعرب تحدو بي الى مضاعف الارتياح للعمل الذي تفرغ له الاستاذ القصري مما يمثل لي في شخصه انموذجا رائعا عن مفهوم الاديب الناقل الناقد المحص الذي من شانه ان يقوم بدور بالغ الاهمية .. دور السفير والمعرف والرائد الحاذق والمتنطس الحصيف .

يشتمل الكتاب على مقدمة تطرق فيها الاستاذ القصري الى الجو الفني الذي احاط بحياة الشاعر شارل بودلير منذ نعومة اظفاره والى دور امه وابيه في تربية ذوقه الفني والى المراحل التي قطعها الشاعر الفرنسي في حياته .

كما قام الاستاذ القصري بتحليل معمق في هذه المقدمة لديواني الشاعر وهما : (زهور الالم) و (قصائد نثرية) ولدور المراة في حياة الشاعر ولهيكل الديوان ومحتوياته .

وبعد ذلك خصص السيد مصطفى القصري بعض الصفحات من كتابه لاقوال الشاعر وآرائه ومواقفه من الحكمة والفلسفة والفن والشعر والمراة وكريات المشاغل الانسانية .

ثم يقدم السيد القصري ترجمة لخمس وستين قصيدة من الديوان (زهور الالم) ولعدد آخر من القصائد النثرية ويختم الكتاب بتعليقات وشروح لبعض غوامض هذه القصائد .

● نظمت مدرسة علوم الاعلام التابعة لكتابة الدولة في التخطيط والتنمية الجهوية والمركز الوطني للتوثيق والجمعية الوطنية للاعلاميين في اطار البرنامج الثقافي السنوي سلسلة من المحاضرات القاها اساتذة مرموقون وذلك حسب البرنامج التالي :

– الاربعاء 8 ابريل 1981 : جامعة القرويين للدكتور عبد الهادي التازي .

– الثلاثاء 14 ابريل 1981 : الوثائق التاريخية بالمغرب للاستاذ جرمان عياش.

– الخميس 16 ابريل 1981 : تقنيات المقارنة في ميدان المكتبات للاستاذ شنديريس عميد كلية علوم الاعلام بشفيلد بانكلترا .

– الخميس 23 ابريل 1981 : وسائل جعل اللغة العربية لغة تكنولوجية للاستاذ احمد الاخضر غزال .

– الابعاء 4 ماي 1981 :مفهوم التيليماتك للاستاذ كنون .

– الخميس 14 ماي 1981 :خزانة الكنكريس

الامريكي للاستاذ عبد العزيز عبيد .

مصـــر :

● من تحقيق المرحوم الدكتور محمود قاسم صدر كتاب (تخليص كتاب المقولات) لابن رشد . راجع الكتاب واكمله وقدم له وعلق عليه د. تشارلس بتروث و د. احمد عبد المجيد هريدي .

● (خمسة من شعراء الوطنية) صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب وهو من اعداد : د. عثمان أمين ، د. نعمات احمد فؤاد ، نيقولا يوسف ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، د. عبده بدوي .

● صدر للكاتب المسرحي نعمان عاشور كتاب (شعب مصر : صفحات دراميه من تاريخ الجبرتي) .

● (القوى الاجتماعية في الثورة العرابية) كتاب جديد للدكتورة لطيفة محمد سالم . صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

● توفي الى رحمة الله الشاعر المصري (فوزي العنتيل) . وهو من شعراء الجيل الثاني في مصر الذين ظهروا في الساحةالادبية بعد جيل الرواد . وقد خلف الشاعر الفقيد مجموعة من الاعمال الشعرية والادبية نذكر منها :

- عبير الارض (ديوان شعر)

- رحلة في أعماق الكلمات (ديوان شعر)

- التربية عند العرب (دراسة)

- بين الفلكلور والثقافة الشعبية (دراسة).

● (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) صدر عن الهيئة العامة للكتاب من تحقيق مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد .

الكتاب من تأليف أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي . وهو شرح لكتاب ادب الكتاب لابن قتيبة .

● صدر ، حديثا ، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب - كتاب جديد ؛ من تاليف الدكتور عبد الحكيم بلبع ؛ موضوعه (حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق) .

تـــونس :

● نشر في تونس فهرس العالم الاديب أبي محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الغرناطي المتوفى حوالي سنة 541 هـ الذي اشتهر بتفسيره الكبير (المحرر الوجيز) الذي أبدع فيه وناصر اهل السنة .

نشرت هذا الفهرس الهام دار الغرب الاسلامي الموجودة في بيروت بتحقيق الاستاذين محمد ابو الاجفان المدرس بالكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين بتونس ، ومحمد الزاهي المتخرج من جامعة السربون بباريس .

وقد بذل المحققان جهدا ملحوظا في اقامة النص سالكين منهجا علميا في التحقيق معتمدين نسختين خطيتين أولاهما نسخة المؤلف نفسه وهي مقروءة عليه وتحتفظ بأصلها مكتبة الاسكوريال وبصورتها مكتبة معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية ، وثانيتهما من المكتبة الكتانية

وفي مقدمة التحقيق تعريف بمؤلف الفهرس عبد الحق بن عطية وبكتابيه التفسير والفهرس وتعريف بفهارس الشيوخ وأهميتها يعطي صورة واضحة عن هذا الصنف من التاليف التي يندرج ضمنها فهرس ابن عطية .

ويتضمن الفهرس شيوخ مؤلفه الذين وصلوا الى الثلاثين ، في مقدمتهم والده الفقيه أبو بكر غالب بن عطية الذي كانت له رحلة حجازية زار خلالها افريقية واخذ عن بعض العلماء بالمهدية .

ويعطينا الفهرس لمحة عن الحركة العلمية في عصر المؤلف وعن الكتب التي كانت تدرس وعن الاهتمامات العلمية وعن الصلة الثقافية بين الاندلس وغيرها من الاقطار الاسلامية .

يقع الكتاب في 141 صفحة من الحجم العادي في اخراج أنيق وسفر جميل .

يستغرق التقديم 40 صفحة ويتواصل نص المفهرس من ص41 الى ص 110 ، والبقية للفهارس المتنوعة، وثبت المصادر والمراجع .

● تحت اشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم انعقدت اخيرا بالمركز الثقافي الدولي بمدينة الحمامات التونسية ندوة حول (قضايا الشعر العربي المعاصر) ، وذلك بمشاركة عدد كبير من الكتاب والشعراء والنقاد العرب .

ولقد أشرف على افتتاح ندوة (قضايا الشعر العربي المعاصر) الاستاذ البشير بن سلامة وزير الثقافة التونسي الذي حلل في البداية اهمية الشعر في الحياة العربية منذ القديم ، لان (الشعر هو ديوان العرب) والمعبر الصادق عن احوال معاشهم وظروف حياتهم واطوار ادبهم .. وان القضية الاساسية هي قضية الشعر العربي في مختلف مراحله وتطوراته ذلك ان قضية الشعر العربي في جوهرها (هي قضية لغة الشعر ولكنها ايضا قضية اللغة العربية قبل كل شيء) .

اما الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فلقد تناول بالدراسة (ذاتية الابداع الفني) متسائلا هل ان الناقد الادبي بايديولوجيته الفنية والفكرية هو الذي يقود الابداع والانتاج ويرسم للشاعر المنهج والاسلوب والصيغة ام ان المبدع هو الذي يخلق النقد ويقود الناقد الذي يتولى تقريب ذلك الابداع وعرضه وادماجه في حياة المجتمع ؟ وهل يكون الناقد الادبي شخصا مبدعا ام شخصا دارسا ؟ وهل يكون مؤسسة او يكون سلطة؟ وما هي الفروق بين (العالم) و (التكنولوجي) وبين(الناقد) و(الشاعر)؟ وما هي الاشياء التي تجمع بينهما ؟ .

المملكة العربية السعودية

● من مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض صدر، حديثا ، في الرياض كتاب جديد يتناول « جريمة الرشوة في الشريعة الاسلامية ، مع دراسة نظام مكافحة الرشوة في المملكة العربية السعودية » من تاليف الاستاذ عبد الله ابن عبد المحسن المنصور الطريقي .

الكتاب رسالة جامعية عالية نال بها المؤلف درجة « الماجستير » في الفقه الاسلامي ، من المعهد العالي للقضاء ، قبل ست سنوات ، تحت اشراف الدكتور عبد العال عطوة ، والدكتور محمد عبد الجواد محمد،الاستاذين بالمعهد .

يقع الكتاب في مائتين وست وثلاثين صفحة من الحجم الكبير ، موزعة على : مقدمة ، وأربعة أبواب ، وخاتمة .

● على نفقة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السليمان الحمدان واخوانه صدر ، عن مطابع دار الهلال للاوفست ، في الرياض، ديوان (العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين) في طبعة جديدة منقحة ومزيدة .

جمع نصوص القصائد، وحققها ، ورتبها ، وشرح الفاظها : الاستاذ سعد بن عبد العزيز بن رويشد ، وراجعها ، وصححها، وأعد معجمها وفهارسها الفنية المتنوعة، وأشرف على طباعتها : السيد احمد أبو الفضل عوض الله .

يقع الديوان ، في طبعته الجديدة هذه ،

في نحو ستمائة صفحة من القطع الكبير موزعة على : مقدمة هذه الطبعة، ومقدمة الطبعة الاولى ، وترجمة حياة الشاعر ، ومنهج الناشر في جمع الديوان ، وترتيب قصائده ، وشرح ألفاظه، وقصائد الديوان في سبعة اقسام .

● نوقشت ، مؤخرا، بقاعة المحاضرات الكبرى بجامعة ام القرى ، بمكة المكرمة الرسالة العلمية العالية ، المقدمة الى قسم الدراسات العليا الشرعية، بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالجامعة ، من الاستاذ محمد سعيد بخاري ، الدارس بفرع الكتاب والسنة بالقسم ، وموضوعها : (عبد الله ابن مبارك : محدثا وناقدا) .

ناقشت الرسالة لجنة مكونة من :

1) الاستاذ الدكتور السيد احمد صقر ، المشرف على الرسالة – رئيسا .

2) الاستاذ الدكتور السيد محمد الحكيم – عضوا .

3) الاستاذ الدكتور اسماعيل الدفتار – عضوا .

● من تاليف الدكتور السيد محمد بن علوي المالكي الحسني، رئيس لجنة التحكيم الدولية فى مسابقة القرءان العالمية الاولى والثانية والثالثة صدر ، في جدة ، حديثا عن مطابع سحر ، كتاب جديد ، اسماه (حول خصائص القرءان) وضمنه مجموعة من الابحاث والدراسات العلمية المتعلقة بخصائص القرءان الكريم ومزاياه؛ كخصائص المنهج العلمي للقرءان ، وخصائص الاسلوب القرآني ، والخصائص المتصلة بشرفه وفضله ، وخصائص بعض الآيات والسور .

يقع الكتاب في مائة وثلاثين صفحة – من الحجم الكبير – موزعة على ثلاثة عشر بحثا ، تقفوها كلمة المؤلف في مسابقة القرءان الكريم، المنعقدة بمكة المكرمة، عام 1399 هـ، و 1400هـ و 1401 هـ .

● عن مكتبة الحرمين بالرياض ، ومكتبة دار الارقم بالكويت صدر ، مؤخرا ، في الرياض والكويت ، كتاب جديد للاستاذ منير محمد الغضبان ؛ عنوانه : (من معين التربية الاسلامية)

يتناول الكتاب عددا من القضايا التربوية الحديثة ، ويعيد أصولها الى القرءان الكريم ، والسنة النبوية الشريفة، ويؤكد ضرورة الرجوع اليهما فى أعمالنا التربوية واتخاذهما نبراسا نستضيء بهما فى حياتنا، قبل الاقبال على الفلسفات التربوية الوافدة ؛ الطيبة منها والخبيثة ، والاغترار بما لها من المظهر الجميل ، والمصطلح الخلاب .

يقع الكتاب فى مائة واثنتي عشرة صفحة – من القطع المتوسط .

● من تاليف الامام القرطبي ، مفسر القرآن الكريم ، وتحقيق د. احمد حجازي والاستاذ احمد السقا عن نسخة خطية مصورة فى (معهد المخطوطات العربية) عن نسخة تركيا ، اصدرت دار التراث العربي بمصر مؤخرا كتاب (الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام ، واظهار محاسن دين الاسلام ، واثبات نبوة نبينا محمد عليه السلام).

يقع الكتاب في أربعة اجزاء ، وموضوعاته شبيهة بالموضوعات التي في كتاب (اظهار الحق) للشيخ رحمت الله بن خليل الهندي (المتوفى سنة 1308 هـ) فى مكة المكرمة ، والذي اشتهر بمناظرته للقسيس « فندر » في الهند ، سنة 1854م، وبتأسيسه المدرسة الصولتية في مكة المكرمة .

لبنان :

● صدر ، حديثا ، كتاب جديد للاستاذ يوسف أيوب حداد ، يتناول(خليل السكاكيني: حياته مواقفه آثاره) فى

عدد من المباحث من بينها :

- السكاكيني والاوضاع العامة في فلسطين ، ابان حياته .
- السكاكيني رجل الدين .
- السكاكيني العربي .
- السكاكيني الناقد .
- السكاكيني اللغوي .
- السكاكيني الاديب ، والانسان .

● عن دار زهير البعلبكي للطباعة والنشر صدر ، في بيروت ، مؤخرا كتاب (باقات من حدائق مي) من تاليف الاستاذ فاروق سعد ؛ وهو في أدب (مي زيادة) مع مقتطفات من تراثها الشعري والنثري .

● عن دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع صدرت ، مؤخرا في بيروت طبعة جديدة منقحة لكتاب الدكتور يوسف حسين بكار (اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري) .

● اصدرت دار العودة للطباعة والنشر والتوزيع ، في بيروت ، دراسة جديدة للدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد ، عنوانها (قضايا الشعر في النقد العربي) .

تركيا :

● عقدت اللجنة الدولية للتراث الاسلامي المنبثقة من منظمة المؤتمر الاسلامي اجتماعا في اسطنبول لوضع خطة عمل من اجل تنشيط حركة احياء التراث الاسلامي في جميع المجالات وتوجيه العناية لدراسة المخطوطات الاسلامية وصيانتها وكذا تحقيقها ونشرها .

باكستان :

● اقترحت باكستان انشاء منظمة اسلامية دولية لمراقبة المقالات التي تنشر حول الاسلام في الغرب حتى يتم تلافي التشويه الذي يلحق بالدين الحنيف .

وقد تقدم بهذا الاقتراح السيد (قيروهي) مستشار الرئيس الباكستاني ضياء الحق الشيخ عبد الرحمان بيصار شيخ الازهر أثناء محادثة رسمية جرت في اسلام اباد .

الهند :

● نظم المكتب التنفيذي بجامعة (بلكهو) بالهند ندوة للآداب الاسلامية وحضر هذا الملتقى عدد كبير من الشخصيات من مختلف الدول الاسلامية وناقش المنتدون بعض البحوث التي قدمها المشاركون في الندوة والتي تناولت موضوع الاسلام وآدابه السامية ونظرته في الآداب الاخرى وتقييمه لها .

وقد اسفرت الندوة عن التوصيات التالية :

أولا ـ في مجال البحث في الادب الاسلامي وتشجيعه بوجه عام :

1 ـ دعوة الباحثين الى ابراز مفهوم الادب الاسلامي وايضاح موقف الاسلام في الادب ، ومكان الادب في بناء الاسلام للفكر والمجتمع .

2 ـ دعوة الباحثين الى الكتابة في تاريخ الادب العربي وفقا للنظرة الاسلامية الصحيحة ، وعرض تاريخ الادب الاسلامي وابراز المفهوم الاسلامي للنقد .

3 ـ بذل الجهود لاخراج دليل لمكتبة الادب الاسلامي المكتوب بالعربية ، وبلغات الشعوب الاسلامية الاخرى ، وموالاة اصدار النشرات المكتبية ، البيليوغرافية ، الدورية لمتابعة الجديد في هذا المجال .

4 ـ الدعوة الى الاهتمام بالادب الاسلامي المعاصر والاعلام به وعرضه ونقده نقدا موضوعيا والعمل على تشجيعه ونشره بكل الوسائل الممكنة .

5 ـ حث المؤسسات التعليمية والثقافية ، حكومية وشعبية على تشجيع ذوي الطاقات المبدعة وتوجيهها الوجهة الاسلامية وتنظيم المسابقات لكتابة القصص

والمسرحيات والمسلسلات التي ترتكز الى القيم الاسلامية وتقديم الجوائز السخية للانتاج الفائز ونشره .

6 – انشاء امانة دائمة لندوة الادب الاسلامي والتقدم بالرجاء الى دار العلوم ندوة العلماء لقبول أن تكون مقرا لها ، وتتولى هذه الامانة متابعة قرارات هذه الندوة وما يعقبها من ندوات ، كما تضطلع بتنظيم الندوات المتوالية على فترات دورية مناسبة في مختلف البلدان الاسلامية ، والاهابة بكل المؤسسات العلمية والثقافية والادبية ، في هذه البلدان للمؤازرة بكل الامكانات المتاحة في اقامة هذه الندوات الدورية للادب الاسلامي .

ثانيا – فى مجال تعليم الادب الاسلامي :

1 – دعوة الجامعات فى البلاد الاسلامية وغيرها الى ان تشتمل خطط الدراسة بها على مقررات فى الادب الاسلامي ، تبين مناهجه التفصيلية مفهومه واتجاهه ومجالاته وتقدم نماذج صادقة معبرة له ، ودعوة هذه الجامعات الى تشجيع الدارسين في الدراسات العليا على اختيار موضوعات بحوثهم في مجال الادب الاسلامي .

2 – دعوة الجامعات الاسلامية والعربية لانشاء مراكز متخصصة للادب الاسلامي تخطط للبحث فيه وتنظم الندوات والمؤتمرات لمناقشة قضاياه وتحديد منهج العمل لاجله ، وتتعاون هذه الجامعات فيما بينها في هذا المجال ، والاهابة باتحاد الجامعات العربية واتحاد الجامعات الاسلامية للمعاونة في ذلك بكل ما يمكن من صور المعاونة.

3 – دعوة الجامعات في البلاد الاسلامية الى تدريس آداب الشعوب الاسلامية المقارنة لتعريف الاجيال المسلمة بآداب المسلمين على اختلاف شعوبهم ولغاتهم ولا سيما آدابهم التي تستند الى القيم الاسلامية .

4 – اعادة النظر في توزيع مقررات الدراسات الادبية وفي مناهجها التفصيلية بمختلف مراحل التعليم ومراعاة أن تنمي هذه المقررات والمناهج وعي الناشىء المسلم بقيمه الدينية الاصيلة ، وتربي فيه الذوق الجمالي السليم وتكون ملائمة لعمره وحاجاته النفسية والفكرية .

ثالثا – في مجال نشر الادب الاسلامي وتنسيق جهود الادباء الاسلاميين:

1 – اختيار النماذج الاسلامية الرفيعة من تراثنا الادبي وابراز القيم التي ترتكز اليها ، والسمات والملامح التي تميزها بحيث تكون هذه النماذج ادبا للنفس كما هي أدب للدرس .

2 – دعوة الادباء الاسلاميين للافادة من كل الاشكال الفنية المقبولة ومنها المقالة والقصة والرواية والمسرحية في تقديم الادب الاسلامي عن طريق مختلف وسائل الاعلام والنشر المتاحة من صحافة واذاعة مسموعة ومرئية وغيرها، مع القيام بواجبهم في حراسة قلوب المسلمين وعقولهم من أي انحراف وابراز ذاتية الفكر الاسلامي وأصالته ، ومن قاعدته ينطلق الادب .

وتذكير دعاة الاسلام بأن الادب البليغ هو من الحكمة والموعظة الحسنة ، فعليهم أن لا يغفلوا جمال التعبير والبيان ليتم البلاغة ويعمق التاثير في النفس، ويتسع نطاقه بين الناس ، ولا يجوز ترك ساحة الادب خلوا لتكون مرتعا لدعاة الفساد والشر ، بل لا بد أن يدفع الاسلاميون بحقهم باطل غيرهم ويكونوا البديل الصالح الذي ينفع الناس ويمكث في الارض .

3 – بذل الجهود لنشر المختار من تراث الادب الاسلامي ونتاج الادب الاسلامي الحديث

بن طريق دور النشر القائمة ما أمكن ذلك مع التفكير في انشاء دار النشر خاصة لهذا الغرض واصدار مجلة للادب الاسلامي والتعاون على تهيئة مجلة (البعث الاسلامي) التي تصدرها دار العلوم ندوة العلماء في لكهنئو لهذا الامر .

4 ـ بذل الجهود في مجال الترجمة لنقل الروائع من أدب الاسلام وفكره من العربية الى سائر لغات الشعوب الاسلامية ، ومن هذه اللغات الى العربية ، ونقل الروائع الاسلامية كافة الى اللغات الحية الاخرى .

5 ـ تنبيه أهل الخير من المسلمين الى تعدد مجالات البر وتعريفهم ان من افضل القربات الى الله الانفاق على الدعوة الى الاسلام ونشر علومه وكتبه ولغته، وتدعيم المؤسسات القائمة على هذه الامور.

6 ـ دعوة الادباء الاسلاميين الى توثيق الاواصر فيما بينهم وتنسيق جهودهم ، ومن خير ما يحقق ذلك اقامة رابطة عالمية لهم يكون من نشاطها تقديم جوائز تقديرية وتشجيعية لاصحاب الاعمال الممتازة في مجال الادب الاسلامي، وتكون هذه الجوائز سنويا او على فترات دورية ملائمة ، وتمولها هيئات الجهات الحكومية والخاصة والافراد وسائر الموارد المشروعة .

رابعا ـ في مجال التربية الاسلامية وادب الاطفال واليافعين والشباب :

1 ـ التخطيط لاصدار مجموعة من الكتب تبين اصول الاسلام عقيدة وشريعة ، واخلاقا وتاريخا لتلبي حاجة الاسرة المسلمة في كل مكان ولا سيما اسر الاقليات المسلمة والمغتربين المسلمين ، هذا الى جانب الافادة من الوسائل الحديثة لنشر المعرفة مثل الاشرطة المسموعة والمرئية ـ الكسيت والفديو ـ في نشر التوجيه الاسلامي والثقافة الاسلامية ، وتشجيع المحاولات الرائدة في هذا المجال.

2 ـ بذل الجهود لانشاء مدارس اسلامية ذات مستوى متميز وكفاءة عالية في مراكز تجمع المسلمين بالبلاد غير الاسلامية ، تعمل على تعليم الاسلام واللغة العربية بصورة أساسية من جهة كما تراعي متطلبات النظم القائمة في الدولة التي تقوم فيها المدرسة من جهة اخرى على ان تشتمل على رياض للاطفال تنشيء ابناء المسلمين على قيم دينهم وتحوطهم بالرعاية الاسلامية منذ نعومة أظفارهم والاهابة بالدول الاسلامية للمعاونة في ذلك بطاقاتها المادية والبشرية .

3 ـ العناية بالادب الاسلامي الموجه للاطفال واليافعين والشباب في مختلف أشكاله الادبية من خلال كافة وسائل الاعلام والنشر،وتشجيع الاقلام المبدعة في هذا المجال والعمل على نشر انتاجها ، وحث الاجيال الناشئةفي مختلف اعمارها على القراءة والافادة من الثقافة النافعة بكل وسائلها المتاحة .

خامسا ـ في مجال نشر اللغة العربية وتعليمها :

1 ـ العمل على نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية في كافة انحاء العالم بوجه عام، وتعزيز مكانة اللغة العربية في سائر الدول الاسلامية بوجه خاص ، باعتبارها لغة القرءان ، ونظرا لوجوب معرفة المسلم العربية قدر طاقته لتصحيح صلاته ، والتعرف على احكام دينه ، وحين تتآزر جهود المسلمين في تعليم اللغة العربية وتعزيز مكانتها بينهم شعوبا وحكومات ، فقد يكون قريبا ذلك اليوم الذي تغدو فيه العربية لغتهم الادبية الواحدة ، ولغة تآليفهم ومؤتمراتهم.

ومن الواجب محاربة الدعوات الهدامة الى غلبة اللهجات العربية المحلية على الادب او استعمال الحروف اللاتينية في كتابة اللغة العربية ، ومن الواجب كذلك بذل الجهود المتضافرة لعودة اللغات الاسلامية التي كانت

تكتب بحروف عربية وانتقلت الى اللاتينية، عودتها الى استعمال الحروف العربية في الكتابة، ومن ذلك اللغات التركية، والملايوية، والاندونيسية والسواحلية.

2 – دراسة احوال المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية في البلاد الاسلامية وغيرها، والتخطيط لنشر العربية بينهم بمختلف الوسائل، والتعاون على تحقيق هذا الهدف باقامة جهاز مشترك متخصص، ورصد المنح والجوائز والحوافز المادية والمعنوية التي تشجع على تعلم العربية والاعتماد على الوسائل العلمية والتكنولوجية الحديثة في تعليمها ونشرها.

3 – دراسة امكانات اختيار الفاظ القرءان الكريم للاستفادة منها في وضع معجم او كتب لتعليم اللغة العربية من خلال الالفاظ القرآنية، والاسترشاد في ذلك للاستاذ عبد الله عباس بالتجربة الرائدة الندوي في كتابه : « تعلم لغة القرآن ».

4 – متابعة الجهود لانشاء المعاهد المتخصصة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وفي اعداد المعلمين في هذا المجال وتدعيم المعاهد القائمة ورفع كفاءتها وتوسيع نطاق خدمتها.

5 – تشجيع زيارة ابناء الاقليات الاسلامية البلاد الاسلامية والعربية بدعوة من المؤسسات العامة والخاصة كالاجهزة المختصة برعاية الشباب والجمعيات لتوثيق روابط هؤلاء الناشئين بالجمعيات الاسلامية وثقافتها وباللغة العربية، والعناية بايفاد شباب البلاد الاسلامية في رحلات تنظمها مؤسساتها العامة والخاصة الى مراكز الاقليات الاسلامية للتعارف بهم ودراسة احوالهم، وتعزيز الروابط معهم، مع اختيار المشاركين في هذه الرحلات بحيث يكونون صورة طيبة لبلادهم الاسلامية دينا وسلوكا وثقافة.

فـرنسا :

● اظهر تقرير لمنظمة اليونيسكو أن هناك تفاوتا كبيرا بين الدول المتقدمة والنامية في مجال التاليف والنشر. اوضح التقرير ان كل مليون شخص يخصص لهم 600 كتاب في أوربا، بينما يصل الى 68 كتابا في آسيا و 26 كتابا في افريقيا، أي ان اوربا تنتج اكثر من نصف الكتب التي تنشر في العالم.

المانيا • غ :

● بحضور عدد من وزراء التعليم العرب والمسلمين، وعدد من ممثلي الدول العربية، ومدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية، وثلاثة ممثلين عن جامعة فرانكفورت، وثلاثة آخرين من المشتغلين في مجال تاريخ العلوم العربية والاسلامية عقد، مؤخرا، في جامعة فرانكفورت، اجتماع اللجنة التاسيسية المعهد الجديد، الذي كانت دولة الكويت قد تبنت فكرة انشائه، في فرانكفورت، لدراسة تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، وقدمت لجامعة فرانكفورت مبنى لائقا، ليكون مقرا له.

وقد اسفر الاجتماع عن وضع اللائحة الكاملة لهذه المؤسسة العلمية الجديدة، التي يتوقع ان تكون مركز اشعاع في مجال دراسة تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، ومجال الدراسات العربية والاسلامية التي يسهم بها الباحثون العرب والمسلمون في الميدان العلمي.

على انه سيتبع، في هذه المؤسسة العلمية، النظام نفسه المتبع في الجامعات المتقدمة، في اوربا، وفي جامعة فرانكفورت، من حيث مستوى الاساتذة، ونظام القبول، ونظام منح المؤهلات العلمية.

ومن المنتظر ان يتم اجتماع آخر للجنة التاسيسية للمعهد، بعد اعتماد المصادقة على نظام المعهد ولوائحه، لدى الدول العربية الاسلامية المشاركة، وجامعة الدول العربية، وسلطات المانيا

الاتحادية ، وذلك بغية البدء بالاعداد الفعلي لانشاء هذا المعهد ، وتيسير أعماله .

السويــــــد :

● ضمن سلسلة الدراسات الشرقية صدر ، مؤخرا ، عن مؤسسة المكتبيست بأستكهولم بالسويد ، كتاب جديد يدرس « اللهجة العربية لسوسة » يقع في مائة وتسعين صفحة من القطع المتوسط لمؤلفه الاستاذ ان تالودي .

انجلتــــــرا :

● سيطر الاسى على وجوه كبار خبراء الكتب والمخطوطات القديمة في بريطانيا خلال الايام القليلة الماضية بعد أن أصبح في حكم المؤكد خسارة البلاد لاهم مخطوطة عرفت في التاريخ وعرضت للبيع بالمزاد العلني .

بذل كبار المسؤولين وهواة الكتب والمخطوطات القديمة الجهود الممكنة من أجل جمع تبرعات من الشعب البريطاني قدرها 930 الف جنيه استرليني لمنحها للمكتبة البريطانية من اجل شراء المخطوطة الفارسية الرائعة الا ان هذه الجهود باءت بالفشل واصبحت السلطات ملزمة باعطاء اجازة تصدير رسمية للسماح باخراج المخطوطة الثمينة من البلاد.

تبرع الشعب البريطاني بمبلغ 535 الف جنيه استرليني بعد النداءات العديدة التي وجهت اليه، الا ان هذا المبلغ لم يكن كافيا.

باسيل غاري محافظ الآثار الشرقيه في المتحف البريطاني الذي اشرف على النداءات والتبرعات قال ان السبب في عدم جمع المال اللازم يعود الى التضخيم المالي وهذا يعني عدم امكان استغناء المواطن العادي عن مبلغ بسيط للغاية بسبب الزيادة في قيمة الفواتير التي يتلقاها كل يوم تقريبا وبسبب فقدان الجنيه الاسترليني قيمته الشرائية .

المخطوطة هي تاريخ العالم لرشيد الدين وهي مؤرخة في عام 1314 وكتبت بالقرب من مدينة تبريز ومزينة بمائة لوحة زيتية صغيرة لا حدود لجمالها وروعتها ودقتها الفنية .

نص المخطوطة كتب باللغة العربية الفصحى وتحدث عن حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعالج تاريخ الصين والهند والسند .

وصلت المخطوطة في عام 1841 الى الجمعية الملكية الاسيوية عن طريق عضو من أعضائها الميجر جنرال توماس ثوردون المؤرخ المشهور واحد ابطال حزب الاستقلال في اليونان .

اعارت الجمعية الملكية الاسيوية المخطوطة الى المكتبة البريطانية والمتحف البريطاني مدة 30 سنة الا انها استردتها في العام الماضي وقررت عرضها للبيع بالمزاد العلني بواسطة مؤسسة سوثبي اللندية .

في شهر يوليوز من العام الماضي قرر الخبراء احتمال جلب المخطوطة مبلغ 500 الف جنيه استرليني الا ان مطرقة المزاد توقفت عند ما دفعت مؤسسة سويسرية 935 الف جنية استرليني ثمنا لها وذلك نيابة عن المشتري الفعلي المجهول الذي رفضت المؤسسة ذكر اسمه حتى الآن .

تقدمت المؤسسة التي اشترت المخطوطة بطلب اجازة تصدير من اجل اخراجها خارج بريطانيا الا ان نورمان سان جون ستيفاس فرض حظرا على تصدير المخطوطة على ان يبقى هذا الحظر حتى 22 ديسمبر من العام (ديسمبر) من العام الماضي ، لكن الوزير مدد الحظر حتى منتصف ليل التاسع من ابريل لاتاحة الفرصة امام شراء المخطوطة من قبل بريطاني .

طلب منظمو الحملة من اجل جمع تبرعات للمحافظة على المخطوطة في البلاد من الجمعية الاسيوية الملكية منحة لتساعدهم على شراء المخطوطة الا ان الجمعية رفضت ذلك ، وكذلك رفضت مؤسسة سوثبي التي حصلت على 85 الف جنيه استرليني كعمولة التبرع ايضا .

فهرس العدد 4 - السنة 22

صفحة

مطبعــة فضالــة ـ المحمديــة

رقــم الايــداع القانونـــي 3 / 1981





من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية





أعداد السنة 21 من مجلة "دعوة الحق"

















